وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية

الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم
(دراسة دلالية)

رسالة تَقَدَّمت بِها الطالبة

هبة نبيل عاجل الوائلي

إلى مجلس كلّيّة العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء
وهي جزءٌ من متطلبات نيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها

بإشراف

أ.م.د. رفاه عبد الحسين مهدي الفَتلاوي

1440هـ 2019م

﴿رَبِّ أَوزِعنِي أَن أَشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتِي أَنعَمتَ عَلَيَّ
وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَن أَعمَلَ صَالِحاً تَرضَاهُ وَأَدخِلنِي
بِرَحمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

[النمل:19]

ترشيح رسالة للطبع

نظرا لإنجاز مباحث وفصول (الرسالة) الموسومة (تحليل الخطاب النسوي وجمالياته في القرآن الكريـــم – دراسة دلالية -) لطالب الماجستير (**هبة نبيل عاجل الوائلي**) فاني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف: أ.م.د رضاء عبد الحسين محمد

مكان العمل : جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التأريخ: ١٨/ ٨/ ٢٠١٩

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (تحليل الخطاب النسوي وجمالياته في القرآن الكريـــم – دراسة دلالية -) التي قدمتها الطالبــة (**هبة نبيل عاجل الوائلي**) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها.

المشرف رضا عبد الحسين مهدي

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ مساعد دكتور

الاسم :

مكان العمل : جامعة كربلاء كلية العلوم الإسلامية

التأريخ: ١٩/٨/١٨م

بناء على توصية المشرفين والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة:

رئيس القسم :

التوقيع:

الاسم : ا.م.د. سلم مالك

التأريخ:

اقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(**الخطاب النسوي في القرآن الكريم "دراسة دلالية"**) وناقشنا الطالبة (هبة نبيل عاجل الوائلي) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد انها جديره بالقبول بتقدير (**جيد جدا**) لنيل درجة الماجستير في لغة القران وادابها .

التوقيع :

الاسم : أ.د. شعلان عبد علي

المنصب في اللجنة : عضوا

التاريخ : ٢٤/ ٢ /٢٠٢٠ م

التوقيع :

الاسم : أ.م.د فضيله عبوسي محسن

المنصب في اللجنة : عضوا

التاريخ : ٢٤/ ٢ /٢٠٢٠ م

التوقيع :

الاسم : أ.م.د رفاه عبدالحسين مهدي

المنصب في اللجنة : عضوا ومشرفا

التاريخ : ٢٤/ ٢ /٢٠٢٠ م

التوقيع :

الاسم / أ.د. مؤيد جاسم محمد

المنصب في اللجنة : رئيسا

التاريخ : ٢٤/ ٢ /٢٠٢٠ م

صدقت في عمادة كلية العلوم الاسلامي

التوقيع:

أ.م.د ضرغام كريم كاظم الموسوي

العميد وكالة

التاريخ : ١/ ٣ /٢٠٢٠ م

الإهـــــــــداء

إلى بضعة الرسول وروحهِ الّتي بين َجنبيه سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء (سلامُ اللهِ عليها) .

إلى شمس الشموس وأنيس النفوس سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا (عليه السّلام) .

إلى قُرَّتَي عيني وَالدَيَّ الكريمين (أعزّهما الله وشكر سعيهما) .

الشكر والتقدير

بدايةأشكُر الله سبحانه وتعالى الذي هداني لهذا ويسَّر لي المصاعب والذي بفضلِهِ تتمُّ الصالحات .

واستناداً إلى قول الرسول (صلى الله عليه وآلِهِ وسلم): "من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق" أتقدّم بالشكر والتقدير لأُستاذتي الفاضلة الدكتورة (رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي) الّتي اقترحت عليَّ موضوع الرسالة وأشرفت على إعدادها واقفة عند كُلِّ جزئية كتبتُها، والّتي يسّرت لي كثيراً من صعوبات البحث بتوجيهاتها المعرفية السّديدة، وإرشاداتها المنهجية القيّمة ، وتزويدي بكُلِّ كتاب احتجتُ إليه، فلم تبخل عليَّ بوقتٍ أو جهدٍ أو توضيح، وبفضلها أُخرج هذا البحث على صورتِهِ الحالية، وأشكرها على سِعة صدرها وصبرها عليَّ مُدَّة إعداد الرسالة سائلةً المولى العليَّ القدير أن يَمُنَّ عليها بالصحّةِ والسّلامة وجزاها الله عني خير جزاء المحسنين .

وأشكر قسم اللغة العربية بدءاً من رئيس قسمها إلى الهيأة التدريسية فيها، واشكر زملائي وزميلاتي في الدراسة.

وأتقدّم بالشكر والتقدير إلى السّادة أعضاء لجنة المناقشة الذين سيثرون الرسالة بآرائهم القيّمة والسديدة لإظهارها على أتمِّ وجهٍ فلهم مني خالص الشكر وفائق الاحترام.

الخلاصة

تهتم هذه الدراسة بالخطاب النسوي في القرآن الكريم مستعملاً في ذلك الدراسة الدلالية لكي تبين طبيعة هذا الخطاب وفرادته وماهي الخروجات الدلالية التي تبرز فيه ، لاسيما وان الخطاب في القرآن الكريم واسع وشامل ومتنوع ولايقتصر على الجنس الرجالي دون النساء بل كان في القرآن جملة من النساء كانت لها مواقف مشهودة محمودة أو مذمومة فكَرم القرآن تلك المواقف أو أبان ضعفها وبذائتها .

وطبقاً لطبيعة الموضوع فقد قسم على ثلاثة فصول مسبوقة بتمهيد وتعقبها خاتمة تضمن التمهيد الخطاب في اللغة والاصطلاح ثم عرَجت الرسالة على ذكر مميزات الخطاب القرآني عموماً والخطاب النسوي بشكل خاص ، وجاء الفصل الاول بدراسة أنواع الخطاب النسوي ، اما الفصل الثاني فقد اهتم بدراسة دلالة الخطاب النسوي من دلالة معجمية أو سياقية أو نفسية ، اما الفصل الثالث فقد درست فيه الباحثة مواضيع عديدة أبرزها التنغيم ، التكرار ، التقديم ، التأخير ، العدول . أما الخاتمة فقد كان منها ان خطاب التكليف في القرآن الكريم جاء موجهاً للرجل والمرأة على حد سواء بما يحقق المصلحة العامة لكلا الجنسين .

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**4 _ 1**
التمهيد	**11 – 5**
الفصل الأول: أنواع الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم	**54 – 12**
1_ الخطاب المباشر	**17 – 13**
2_ خطاب التلوين (الالتفات)	**23 – 18**
3_ الخطاب التشريعي	**35 – 24**
4_ الخطاب التكليفي	**47 – 35**
5_ الخطاب التكويني	**52 – 47**
الفصل الثاني: دلالة الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم	**138– 53**
توطئة الدلالة لغة واصطلاحاً	**55 – 54**
1_ الدلالة الإيحائية	**62 – 56**
2_ الدلالة المعجمية	**69 – 62**
3_ الدلالة السّياقية	**92 – 69**
4_ الدلالة النّفسية	**97 – 92**
5_ الدلالة الشّرعية	**103 – 97**
6_ الدلالة اللغوية وتضمنت	**145 – 103**
1_ المشترك اللفظي	**111 – 104**
2_ التقابل الدلالي	**116 – 111**
3_ الفروق اللغوية	**123 – 116**
4_ دلالة الجمل في الخِطاب النِّسوي	**134 –124**

5_ العطف	**138 – 134**
الفصل الثالث: أساليب الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم ودلالته	**180 – 139**
1_ التنغيم	**155 – 140**
2_ التكرار	**164 – 155**
3_ التقديم والتأخير	**173 – 164**
4_ العدول	**180 – 173**
الخاتمة	**183 – 181**
روافد البحث	**205 – 184**
ملخص باللغة الانكليزية	**A – B**

المُقدِّمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على أشرفِ الخلق أجمعين محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد...

إنَّ الخِطاب في القرآن الكريم واسع، وشامل، ومتنوّع لا يقتصر على جنس دون آخر فهو ليس بمقتصر على الرجال دون النِّساء ولا على النِّساء دون الرجال، وقد تناول البحث الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم دون غيرهِ من أنواع الخِطاب؛ لأنَّ خطابهن كان متميزاً وأكثر تأثيراً في المتلقي؛ ولأنَّه قد نال حظاً وفراً من خِطاب القرآن الكريم، لتكريمهن وإعلاء شأنهن ورفع مرتبتهن لأنَّهُنَّ أساس المجتمع، ونواته، إذ هي: (الأم، والاخت، والزوجة، والبنت) وقد خصص القرآن الكريم سورة كاملة اسماها سورة (النِّساء) وكذلك سورة (مريم) الّتي سمّاها باسم امرأة؛ فقد ذكر القرآن الكريم أمثلة من النسوة اللائي كنَّ يؤمنَّ بالله واليوم الآخِر، منهن امرأة فرعون إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: 11] ومن الأمثلة الأخرى عن الاصطفاء إذ اصطفى سبحانه وتعالى مريم (عليها السلام) وذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42] فقد جعل منزلتها بمنزلة من اصطفى من قبلها؛ أي الأنبياء.

ومن أسباب اختيار الموضوع رغبتي في أن تكون دراستي في القرآن الكريم لجمالهِ وشرفهِ وعلو منزلتهِ أولاً، وثانياً أنَّ هذا الموضوع كان من اقتراح مشرفتي الدكتورة (رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي) فشغفتُ بهِ لأمرين، أولهما أنَّ هذا الموضوع يتعلّق بهذا الكائن الجميل والرقيق المكرّم من الله تعالى وهي المرأة، وثانيهما هو أنَّه جديرٌ بالدراسة لأنَّه تضمن موضوعاً من موضوعات القرآن الكريم لما فيهِ من دراساتٍ دلالية وظواهر جماليّة، فقد شاء الله تعالى أن تكون رسالتي المعدّة لنيل شهادة الماجستير بعنوان: **(الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم دراسة دلالية)**.

وجاءت طبيعة الموضوع مقسمة على ثلاثة فصول مسبوقة بتمهيد وتعقبها خاتمة بأبرز النتائج.

تضمن التمهيد الخِطاب في اللُّغةِ والاصطلاح، ومن ثَمَّ عرّجت الدراسة على ذكر مميزات الخِطاب القرآني عموماً ومميزات الخِطاب النِّسوي خصوصاً، أمّا الفصل الأول: فقد تناولت فيه أنواع الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم وتضمن الخِطاب المباشر، وخِطاب التلوين (الالتفات)، والخِطاب التشريعي بقسميهِ (المعاملات والعبادات)، والخِطاب التكليفي، والخِطاب التكويني. وأمّا الفصل الثاني فقد عرضتُ فيه دلالة الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم ممهدة فيه إلى الدلالة لغة واصطلاحاً ثمَّ تطرقتُ فيهِ إلى أنواع الدلالة في الخِطاب النِّسوي ومنها: الدلالة الإيحائية، والدلالة المعجمية، والدلالة السياقية، والدلالة النفسية، والدلالة الشّرعية، والدلالة اللغوية الّتي تضمنت المشترك اللفظي، والتقابل الدلالي، والفروق اللغوية، ودلالة الجمل، والعطف. وأمّا الفصل الثالث فدرستُ فيهِ أساليب الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم ودلالته وتضمن مواضع عديدة كان أبرزها التنغيم، والتكرار، والتقديم

والتأخير، والعدول. ويعقب هذه الفصول خاتمة بأبرز النتائج الّتي توصّلت إليها الباحثة.

وقد تنوعت المصادر والمراجع الّتي استقيتُ منها وتعددت موضوعاتها بسبب طبيعة الموضوع، منها كتب اللغة والمعجمات مثل معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، ومقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ)، والصحاح للجوهري (ت 398هـ)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني (ت 502هـ)، وكتب التفسير وعلوم القرآن أهمها: جامع البيان للطبري (ت 310هـ)، والنكت والعيون للماوردي (ت 450هـ)، ومعالم التنزيل للبغوي (ت 516هـ)، والكشاف للزمخشري (ت 538هـ)، والمحرر الوجيز لابن عطية (ت 542هـ)، ومفاتيح الغيب للرازي (ت 606هـ).

وسبقت دراستي هذهِ عددٌ من الدراسات والبحوث منها (الخطاب القرآني للمرأة دراسة في ضوء اللسانيات النصية: أنفال رشاد علي(أطروحة دكتوراه)، سنة 2019، وخطاب الرجل والمرأة في القرآن الكريم دراسة تركيبية دلالية: مصطفى عبد الكاظم(أطروحة دكتوراه)، والخِطاب الأنثوي في القرآن الكريم من خلال بعض قصص النِّساء: تغريد الصمادي(رسالة ماجستير)، سنة 2011، وخطاب المرأة اللغوي في القرآن الكريم: هالة حسني بيدس وفاطمة محمد العليمات (بحث منشور) في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 40، العدد 2، سنة 2013، وتحليل الخطاب في ضوءِ نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحِجاجي في الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم: محمود عكاشة، سنة 2013).

وختاماً أقول إنني اخترتُ دراستي هذهِ في القرآن الكريم لتقربني إلى الله تعالى زُلفى وايماناً مني أنَّ كلام الباري عزَّ وجلّ لا يدانيهِ أي كلام من البشر مهما أوتي من بيان وبلاغة. فإن كانت هناك حسنات تُذكر في هذهِ الدراسة فالفضل فيها للهِ

تعالى ومن ثمَّ إلى مشرفتي الأستاذ المساعد الدكتور رفاه عبد الحسين مهدي الّتي أكرمتني بعلمها وحسن توجيهها ومتابعتها، وإن كانت فيها هنات وهفوات فمن نفسي وتقصيري طالبةً العفو.

ولا يسعني إلّا أن أتقدّم بالشكر الجزيل للسادة أعضاء لجنة المناقشة الذين سيكون لهم الفضل العظيم في تقويم دراستي هذه فجزاهم الله عني أوفر الجزاء.

هذا ما استطعت أن أقدّمه وحسبي حسن نيتي، والله لا يضيعُ أجرَ المحسنين والحمد للهِ ربِّ العالمين.

الباحثة

التّمهيد

الخِطاب لغة واصطلاحا

وخصائص الخِطاب النّسوي

التمهيد: الخِطاب لغة واصطلاحاً

الخِطاب لغة:

جاء في مقاييس اللغة (ت 395هـ): ((الخَاءُ وَالطَّاءُ وَالبَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلَامُ بَينَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: خَاطِبُهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، والْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ))[1].

أمّا الزمخشري (ت 538هـ) فقال: ((خطب: خاطبه أحسن الخِطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة))[2].

وقال ابن منظور (ت 711هـ): ((خطب: الخَطْبُ: الشَّأْنُ أَو الأَمْرُ، صَغُر أَو عَظُم ...، والخَطْبُ: الأَمر الَّذِي تَقَع فِيهِ المخاطَبة، والشأْنُ والحالُ ...، ورجلٌ خَطَّابٌ: كَثِيرُ التَّصَرُّفِ فِي الخِطْبةِ ...، والخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ، والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ عَلَى المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة))[3].

وذهب الفيومي (ت 770هـ) إلى أنَّ: ((خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا هُوَ الْكَلَامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْخُطْبَةِ بِضَمِّ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا بِاخْتِلَافِ المَعنَيَيْنِ، فَيُقَالُ: فِي الْمَوعِظَةِ خَطَبَ الْقَوْمَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَابِ قَتَلَ وخُطْبَةً بِالضَّمِّ هِيَ فُعْلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ نَحْوُ نُسْخَةٍ بِمَعْنَى مَنْسُوخَةٍ وَغُرْفَةٍ مِن مَاءٍ بِمَعْنَى مَغْرُوفَةٍ وَجَمْعُهَا خُطَبَ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ فَهُوَ خَطِيبٌ وَالْجَمْعُ الْخُطَبَاءُ وَهُوَ خَطِيبُ الْقَوْم إذَا كَانَ هُوَ المُتَكَلِّمَ عَنْهُم))[4].

---

[1] ابن فارس (خطب) 198/2.

[2] أساس البلاغة 255/1.

[3] لسان العرب (خطب) 360/1، 361.

[4] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (خطب) 173/1.

ونستشف ممّا ورد في المعجمات اللغوية أنَّ الخِطاب يكون بين شخصين اثنين متكلم وسامع.

الخِطاب اصطلاحاً:

يورد الكفوي (ت 1094هـ) في كتابهِ (الكليات) تعريفاً للخِطاب فيقول: ((إنّه الكلام اللّفظي أو الكلام النّفسي الموجّه نحو الغير للإفهام))[1].

والخِطاب بوصفهِ عمليّة اتّصال تتمّ في إطارين هما: الإطار اللّغوي، فقد يكون متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة، ينتجها مرسل واحد أو متخاطبون عديدون كما يحدث في الحوار أو غيره، وإطار غير لغوي وهو الذي يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق، والخِطاب بوصفه حدثاً كلاميّاً فإنَّه يتألف من عناصر عديدة هي: المرسل، والمستقبل، أو الجمهور أو المتلقي والرسالة أو الموضوع والهدف، ويؤثر هذا الهدف تأثيراً جليّاً في استراتيجيّة المرسل فيملي عليهِ اختيارات معيّنة من البدائل الّتي يُتيحها له النظام اللّغوي، وقد يؤثّر في صورة الحديث وطريقة بنائه، كما أنّه يفسّر الكثير من المتغيّرات الأسلوبية الّتي ترافق عمليّة التعبير اللغوي[2].

ويقول محمود عكاشة إنَّ الخِطاب هو: ((القول الموجّه المقصود من المتكلّم (أنا، نحن) إلى المتلقي المُخاطب (أنت، أنتما، أنتم، أنتن)؛ لإفهامهِ قصده من الخِطاب صريحاً مُباشراً، أو كناية، أو تعريضاً في سياق التخاطب التواصلي))[3].

أمّا في الفكر الغربي فإنَّ إيميل بنفنيست عرّف الخِطاب بقولهِ: ((هو كُلّ تلفظ يفترض مُتكلماً ومستمعاً وعند الأول هدف التأثير في الثاني بصورة ما))[1].

---

[1] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: 419.

[2] ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق: خلود العموش: 23.

[3] تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: 17.

أمّا الخِطاب القرآني فهو خطاب ربّاني صادر من الله الخالق، فهو منزه عن المشابهة، فخِطابه خِطاباً معجزاً لا يشبه أي خطاب بشري، ويتضمّن هذا الخِطاب موضوعات عديدة أساسية بوصفها تعبر عن منهج يضبط جميع مناحي الحياة الإنسانية فهو يشمل الخِطاب العقدي والاجتماعي والأخلاقي والسياسي[2].

خصائص الخِطاب القرآني:

امتاز الخطاب القرآني بميزاتٍ عديدة وخصائص كثيرة فاقت فيه الفنون بأنواعها المختلفة ومن هذه الخصائص: إنَّه خِطاب محكم البنية والأسلوب والدّلالة، ولا يحتمل المغالطة أو التلبيس، وإنَّ الخِطاب القرآني هو خِطاب متنوع، فهو خِطاب موجّه أو حوار أو حديث أو شكوى أو مناجاة أو دعاء، فهو متعلق بالسِّياق اللغوي، ومتفاعل مع السياق الخارجي الذي أُنتجَ فيهِ، وكان يستدعي الحدث القديم، فيعرضه في الحال حيّاً مُجسداً بالحركة والصوت والصورة في مقامهِ الذي حدث فيه، وكان المكان والزمان من عناصرهِ التّوثيقية الّتي تؤرخ الحدث المحكي، ومن خصائصهِ أيضاً أنّه يسند القول والحدث إلى صاحبهما من دونِ إضمارٍ أو إبهام، ويعتمد على مُسلماتٍ عقلية مقبولة وأدلة واقعية ثابتة، وأنَّ المثال فيهِ مطابق للمضروب له، ومكافئ له، وامتاز بأنَّه موجز اللفظ من غير خلل، وغزير المعنى من غير زلل، ومؤنس في الوحشة[3].

ومن خصائصهِ أيضاً عالمية الخِطاب القرآني، إنَّ الخِطاب في القرآن الكريم يتميّز بأنّه خطاب عالمي، فهو يحتوي على حياة الناس جميعاً، إذ إنَّ الأحكام الشرعية التي صدرت عنه تعالى جاءت للناس كافة، وفي كُلِّ زمان إلى يوم الدين،

---

(1) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري: 37.

(2) ينظر: الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية: كريم حسين الخالدي: 15.

(3) ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: 402، 403.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]، فهو خِطاب يستوعب الحياة البشرية بأكملِها؛ لأنَّه خِطاب قادر على استيعاب خصوصيات الناس وسائر أنماط حياتهم الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية[1].

((وإنَّ الخِطاب القُرآني مُعجِزٌ، فهو ليس كأي خِطاب بشري؛ لأنَّه خطاب مُطلق يشمل الإنسان والمجتمع والواقع أي واقع، ويتجاوزه ليستوعبه بما يحمل من قدرات الخِطاب المُهيأ للتنزل على أي واقع مهما كانت المتغيرات النّوعية فيهِ، فهذا الخطاب الرباني المتمثل في القرآن والسنة النبوية قادرٌ على التفاعل والعمل في أي مجتمع سواءٌ كان متخلفاً في الجانب المادي كالمجتمعات الأفريقية الّتي تعاني من الفقر، فهو يدعو الناس إلى الستر والأخلاق الحميدة والعدالة والمساواة والعمل والبناء صعداً للوصولِ إلى القمّة السامقة الّتي يهدف إلى الوصولِ إليها، كما أنّه يعمل في أكثر المجتمعات تقدّماً في الجانب المادي كمجتمع السويد وغيرهِ، ويبدأ من النقطة الّتي وصلوا إليها ويصعد بهم في عالم القيم والأخلاق والمثُل العليا فضلاً عن علاجِ الأمراض الّتي تؤدي إلى انحطاط المجتمع وانتكاسه في حمأة الرذيلة والفساد))[2].

خصائص الخِطاب النِّسوي:

يتميّز الخِطاب النِّسوي بتقنية لغوية عالية، قوامها السرد الوصفي التفصيلي والأدلّة المدعمة بالحجج اللغوية والمنطقية، والاستناد إلى الواقع، والاستشهاد بالوقائع والأمثلة، ويعدُّ من خصائصه التكرار، وكثرة التفاصيل، وإعادة طرح الموضوع،

---

[1] ينظر: مفهوم الخطاب القرآني للمؤمنين في ضوء سورة النور: الدكتور عصام العبد زهد (بحث منشور)، الجامعة الإسلامية_ غزة: 9.

[2] المصدر نفسه: 9.

والتجدد في الصياغة والأسلوب، وتوليد الفكرة من الفكرة، والاستعانة بالعالم الخارجي، وتجسيد المعنى بالتعبير التمثيلي، وأهم ما امتاز بهِ خطاب المرأة ما ذكره الدكتور محمود عكاشة[1] وعلى النحو الآتي:

1_ إنَّه استجابة مباشرة لانفعالاتها وسرعة تفاعلها مع الحدث وتأثرها بهِ، وأنَّ الانفعال يغلب العقل أحياناً.

2_ إنَّه يملك مهارة خاصة في الأداء، تتفاعل بها مع خطابها، فتصوِّر المعنى تصويراً دقيقاً تعبيراً وتمثيلاً.

3_ إنَّه يهتم بالتفاصيل الدقيقة وجوانب المشهد ومكملاته وخلفيته.

4_ إنَّه يستدعي متعلقات المشهد وأبعاده في تفسيرهِ، والحكم عليه.

5_ إنَّه يُقيم الحدث ويتحكّم في سياقه الحي المباشر استجابة لمعطياتهِ، وتأثراً بهِ، واستجابة عفوية لمقاصده.

6_ إنَّه يستجيب لمشاعرها دون توجيه أو توظيف، فتتفاعل مع الحدث، وتُعبّر عنه عفواً، خالياً من التكلّف، وممارسة التوجيه المصطنع، ووسائل الضغط السلطية.

7_ إنَّه يحرص على تأكيد المعنى باللفظ والحركة والانفعال.

8_ إنَّه يخاطب الوجدان والوعي ثُمَّ العقل والقيم العامة.

9_ إنَّ خطابها أكثر تأثيراً من خِطاب الرجل الذي يتكلّم عن قصدٍ وإعداد، ويتجاهل التفاصيل أحياناً والمؤثرات النّفسية، وقد لا يُبالي بعناصر الإقناع كثيراً.

---

[1] ينظر: تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: 401، 402.

الفصل الأول

أنواع الخِطاب النِّسوي
في القرآن الكريم

1_ الخطاب المباشر:

((ويراد به الخِطاب الذي يتمّ فيه إدخال عبارة ما لقائل ما في صيغة الخطاب بشكل مباشر، ويعدّ التداوليون هذا النوع من الخطاب من أقصى درجات الموضوعية؛ لأنَّه يلتزم عموماً بالنقل الحرفي دون تحريف، حتى أَنَّ بعضهم يعتقد أنَّه يمكن أن يصل الخطاب الذي يستخدم هذه الطريقة إلى نسبة 100% من الموضوعية، لكن الموضوعية لديهم لا تتوقف على شرط المطابقة فقط، بل تتوقف كذلك على رصد تدخل المتكلم وتحريفه للمعنى، وهذا التحريف يحدث غالباً في الواقع اليومي عندما نقتطع الكلمات من سياقها اللغوي وغير اللغوي الذي قيلت فيه، لندخلها في علاقة حوارية جديدة بكلمات محيطة أخرى، سرعان ما تضفي عليها دلالة جديدة مغايرة، وتتوقف كذلك على الصيغة الصوتية الخاصة بالمتكلم والخاضعة لمستويات عديدة من الإستلاب والإمتلاك التي يخلعها على كلام شخص آخر، فعندما نذكر كلمات شخص آخر في خطاب مباشر، فإنَّ هذا يفترض أننا نعطيه الكلمة بشكل كامل، ممّا يتطلب إعادة تصوير السياق الذي جرى فيه القول بطريقة لا يمكن الوفاء بها مطلقاً، فالمتكلم إذن لا يستطيع أن يتبخر نهائياً ويلغي وجوده وموقفه ليضع مكانه الشخص صاحب الحديث))[1].

أمّا الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم فهو الخِطاب الصادر من مرتبة عليا إلى مرتبة دنيا أو العكس، أو هو مجيء الخطاب الرباني بصورة مباشرة موجهاً للنساء بالتنفيذ والتطبيق، كأن يكون هذا الخطاب موجهاً بتنفيذ أمرٍ ما أو الانتهاء عن فعلٍ معين مذكور في النص القرآني، وقد يصدر الخطاب من مرتبة دنيا إلى مرتبة عليا لغرض الدعاء، أو قد يكون هذا الخطاب صادراً من متكلمٍ إلى مستمع على أن يكونا

---

[1] التحليل التداولي الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية: هاجر مدقن(بحث منشور)، مجلة الأثر، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب: 127.

من المرتبة نفسها، وقد وجد البحث جميع هذهِ الأنواع في الخطاب النِّسوي وعلى النحو الآتي:

أ_ الخطاب الصادر من مرتبة عليا إلى مرتبة دنيا:

وذلك في قولهِ تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 30، 31].

يُخاطب الله سبحانه وتعالى نساء النَّبي وقد افتتح خطابه لهنَّ بـ(ياء) النداء؛ لأنَّها تصلح لجميع مستويات الخِطاب البعيد والقريب، فيناديهن بأشرف الألقاب إليهن، وهو نسبتهن إلى النَّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول تعالى واعظاً إيَّاهن بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقرَّ أمرهن تحت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النِّساء[1] فيقول: (يا نساء النَّبي من يأتِ منكن بفاحشة مُبيّنة).

ذكر الماوردي أنَّ المراد بـ(الفاحشة) هنا هو الزِّنا والنشوز وسوء الخُلق[2]، ويرى ابن عطية أنَّ (الفاحشة) إذا جاءت معرفة فهي الزِّنا واللواط، وإذا جاءت منكرة فهي سائر المعاصي وكلّ ما يُستفحش، وإذا وردت موصوفة بالبيان فهي عقوق الزوج وفساد عشرته، ولذلك يصفها بالبيان إذ لا يمكن سترها، والزنا وغيره هو ممّا يتستر به ولا يكون مبينا، ولا محالة أن الوعيد واقع على ما خفي منه وما ظهر[3]، وذكر إنَّ قوله: (بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) يعمّ جميع المعاصي، وكذلك الفاحشة كيف وردت. ولما

[1] ينظر: تفسير ابن كثير 362/6.

[2] ينظر: النكت والعيون 397/4.

[3] ينظر: المحرر الوجيز 381/4.

كان أزواج النَّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله تعالى ونواهيه قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر ممّا يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأجر والعذاب[1].

والمراد بالضعفين هنا المِثلين والضِّعف فِي كَلَام الْعَرَب: المِثْل إِلَى مَا زَاد، وَلَيْسَ بمقصور على مثلين، يُقَال: هَذَا ضِعْفُ هَذَا؛ أَي مِثْلُه، وَهَذَا ضعفَاهُ أَي مثلاه، وَجَائِز فِي كَلَام الْعَرَب أَن تَقول: هَذَا ضِعفاه أَي مثلاه وَثَلَاثَة أَمْثَاله، لِأَن الضعْف فِي الأَصْل زِيَادَة غير محصورة[2]. وقد ضُعِّفَ العذاب ضعفين لأنَّ القبح الذي يأتي من نساء النبي هو أقبح من الفعل الذي يأتي من سائر النِّساء؛ لأنَّ زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة، وليس لأحدٍ من النِّساء فضل مثل فضل نساء النبي ولهذا جعل العذاب ضعفين أي مرتين[3]، وإنَّ تضعيف العذاب جاء لحكمتين هما الأولى: أنَّ زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أتت بفاحشة تكون قد اختارت غير النبي، ويكون ذلك الاجنبي خيراً عندها من النبي وأولى، والنبي أولى من النفس التي هي أولى من الآخر، فقد نزلت منصب النبي مرتبتين فتعذب من العذاب ضعفين وثانيتهما: إنَّ هذا إشارة إلى شرفهن، لأن الحرة عذابها ضعف عذاب الأمة إظهارا لشرفها، ونسبة النبي إلى غيره من الرجال نسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم، فكذلك زوجاته وقرائبه اللاتي هن أمهات المؤمنين، وأم الشخص امرأة حاكمة عليه واجبة الطاعة، وزوجته مأمورة محكومة له وتحت طاعته، فصارت زوجة غير النبي بالنسبة إلى زوجة النبي كالأمة بالنسبة إلى الحرة فلذلك

---

[1] ينظر: المحرر الوجيز 381/4، 382.

[2] ينظر: تهذيب اللغة (ضعف) 304/1.

[3] ينظر: الكشاف 536/3.

جعل العذاب ضعفين[1]، فقد تضمن الخطاب الصادر من مرتبة عليا إلى مرتبة دنيا النصح والإرشاد.

ب _ الخطاب الصادر من مرتبة دنيا إلى مرتبة عليا:

ومنه قولهِ تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 35، 36].

فقد خاطبت امرأة عمران ربها بصورة مباشرة، على الرغم من أنَّه سبحانه وتعالى لم يباشر الخطاب معها، فقد ابتدأت خطابها بلفظ (ربي) تضرعاً وتأدباً واستئناساً لقربهِ منها، فقد خاطبته بضمير التكلّم (إني) وذلك شكراً على الحمل فقد نذرت ما في بطنها لله سبحانه وتعالى ثم ختمت قولها بذكر الوصفين (السميع العليم)؛ لأنَّها اعتقدت النذر، وعقدته بنيتها، وتلفظت به، ودعت بقبوله، فناسب ذلك ذكر هذين الوصفين[2]، فقد تضمن هذا الخطاب الدعاء لقبول النذر.

ج _ الخِطاب الصادر من المرتبة نفسها:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 166/25.

[2] ينظر: البحر المحيط 114/3.

إنَّ الخِطاب المباشر في هذهِ الآية هو خطاب امرأة لامرأة، إذ خاطبت أمّ موسى أخته وقالت قُصّيه؛ أي: قُصِّي أثره[1]، فقد ورد في لسان العرب أنَّه يُقال: قَصصت الشيء: إذا تتبّعت أثره شيئاً بعد شيء، ويجوز بالسين: قَسَسْتُ قسّاً، ومنه قولنا: تقصَّصَ الخبر: تتبَّعه، والقاصُّ: هو من يأتي بالقصةِ على وجهها كأنّه يتتبع معانيها وألفاظها، وقصَّ آثارهم يقصُّها قصّاً وقَصَصاً وتقصّصَها: تتبعها بالليلِ، وقيل: هو تتبع الأثر في أيّ وقتٍ كان[2].

وقد بيَّن سبحانه وتعالى لطف صنعه في تسخيرهِ لفرعون حتى تولى تربية موسى فقال: (وقالت) والمقصودة أم موسى (لأختهِ) يعني أخت موسى (قُصّيه) أي: تتبعي أثره وتعرفي على أخباره، إذ أمرت أخته بتتبع أثر موسى وأن تأتي لها بالأخبار طمعاً منها بالتعرف على حالهِ، وقد أفاد هذا الخطاب تنفيذ أمر ما وهو تنفيذ أمر أمها بالبحث عن موسى (عليه السلام)، (فبصرت بهِ عن جنب) أي: عن بُعدٍ فذهب الطبرسي أنَّ في الكلام حذفاً واقتصاراً، تقديره: فذهبت أخت موسى فوجدت آل فرعون قد أخرجوا التابوت وأخرجوا موسى فبصرت بهِ، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّه يدلُّ على الإيجاز الدّال على الإعجاز باللفظ القليل على المعنى الكثير[3]، فروي أنَّها خرجت في سكك المدينة مُتخفية، فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يتطلبون لَه امرأة تُرضعه، بعد تحريم الله المراضع عليهِ، فقصت أثره، فأبصرته عن بعدٍ وهم لا يشعرون بتطلبها له، ولا بإبصارها، وقيل: أبصرته عن جانبٍ؛ لأنَّها كانت تمشي على الشط وهم لا يشعرون أنَّها تقص، أو لا يشعرون أنَّها أُخته[4].

---

[1] معاني القرآن: الأخفش 469/1.

[2] ينظر: لسان العرب (قصص) 74/7، 75.

[3] ينظر: مجمع البيان 304/7.

[4] ينظر: البحر المحيط: أبو حيان 102/7.

2_ خِطاب التَّلوين (الالتفات):

ويُسمّى هذا الخطاب بالالتفات وهو الانتقال من لون لآخر مثل قولهِ تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه: 49].

فالخطاب المذكور أولاً خِطاب للمثنى في قوله: (فمن ربكما) وهو خِطاب لموسى وهارون ثُمَّ جرى الالتفات من خطاب المثنى إلى خِطاب المفرد وذلك في قولهِ: (ياموسى) وهو التفات من خطاب المثنى إلى المفرد[1].

ويطلق عليه الثعالبي اسم المُتلوّن كقولهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1] [2].

ويُسمّى بالالتفات عند علماء البلاغة الذين كانوا ينظرون إليه كلٌّ بحسب العلم الذي يراه مناسباً فمنهم من يضعه تحت باب علم البيان، ومنهم من يضعه تحت باب علم المعاني، ومنهم من يضعه تحت باب علم البديع[3].

وعرَّف ابن المعتز الالتفات بقوله: ((هو انصراف المتكلّم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر))[4].

---

[1] ينظر: الاتقان في علوم القرآن: السيوطي 294/3، وينظر: الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني: خالق داد ملك (بحث منشور)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور. باكستان، العدد الثاني والعشرون، 2015م : 68.

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي 246/2.

[3] ينظر: الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية (بحث منشور): 65.

[4] البديع في البديع: 152.

وأَمّا الزمخشري فقد عرّج على ذكر الالتفات في تفسيرهِ لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 4]، إذ قال: ((فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب قلت: هذا يُسمّى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلّم))[1].

وأمّا أبو يعقوب السّكاكي (ت 626هـ) فحدَّه بقوله: ((واعلم أن هذا النوع: أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يخص المسند إليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويُسمّى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني))[2].

وذكره ابن الأثير (ت 637هـ) بقوله: ((هو أن ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مُستقبل، أو من مُستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك))[3].

وعند ابن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ) الالتفات هو: ((أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيمرّ فيه إلى أن يفرغ من التعبير عنه على وجه ما، فيعرض له أنه متى اقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولا من وجه غير الوجه الذي بنى معناه عليه فيلتفت إلى الكلام، فيزيد فيه ما يخلص معناه من ذلك الدَّخَل))[4].

ومن صور الالتفَات الواردة في الخِطابِ النِّسوي الآتي:

1_ الالتفَات عن الغيبة إلى الخطاب.

---

[1] الكشاف 10/1.

[2] مفتاح العلوم: 95.

[3] المثل السائر 168/2.

[4] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: 125.

2_ الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة.

3_ الالتفات عن التكلّم إلى الغيبة.

وهذه الصور الّتي ذُكرت أعلاه الخاصة بالالتفَات قد ذكرها السَّكَّاكِي جميعاً فِي كتابهِ (مفتاح العلوم)، وقد وجدت الباحثة هذهِ الصور جميعها، وفيما يأتي سنتناول هذهِ الصور تباعاً وعلى النحو الآتي:

1_ الالتفات عن الغيبة إلى الخِطاب:

من مواضع هذا اللَّون من الِالتِفَات قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...﴾ [يوسف: 23].

فالالتفات هنا جاء من ضمير الغيبة في قولهِ: (وراودته) إلى الخِطاب في قولهِ: (هيتَ لكَ).

ابتدأت الآية الكريمة بفعل (المراودة) والذي يُراد بهِ هو التَّردد في طلب الشيء برفق، وأن تتنازع مع غيرك طلباً للإرادة[1]، إذ لم يُشر القرآن الكريم من هي المرأة المراودة وإنَّما اكتفى بذكر الضمير الذي يدلّ عليها وهذا الضمير يعود إلى امرأة العزيز، وجاء التعبير عنها بضمير الغيبة؛ وذلك لمراعاة القرآن لحسن الأدب مع الإيماء إلى الإعراضِ عنها[2]. وقد استعمل هذا الفعل على سبيل الكناية عن طلب النكاح والمخادعة لأَجلِه بمعنى خادعته عن نفسه، ولذلك عُدّيَ بحرف الجر (عن)،

[1] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 371.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم 97/3.

وقال الّتي هو في بيتها، ولم يُصرّح باسمِهَا ولا بامرأة العزيز، ستراً على الحرم وذلك أَنَّ العرب كانت تضيف البيوت إلى النِّساء[1].

والتعبير ((عن امرأة العزيز بطريق الموصوليَّة في قوله: (الّتي هو في بيتها) لغرض ما تؤذن به الصِّلة من تقرير عصمة يوسف (عليه السلام) لأَنَّ وجوده في بيتها من شأنه أَن يطوعه لمرادها))، وجاء التعبير عن النفس هنا ((لغرض الكناية عن المُواقعة، فالنَّفس أُريد بِها عفافه وتمكينها منه لما تريد، فكأنَّها تراوده عن أَن يُسلِّم إليها إرادته وحكمه في نفسه))[2].

((وفي قولها (هيت لك) هو التِفات منها إلى يوسف (عليه السلام) لقصد الترغيب. إذ إنَّ (هيت) هي اسم فعل أمر ومعناها بادر، وإنَّ أصل هذه الكلمة هي من اللغة الحورانيّة، وهي نبطية وقيل: هي من اللغة العبرانية، واللام في لك جاءت لزيادة بيان المقصود بالخطاب وتخصيصه))[3].

2_ الالتفَات عن الخِطاب إلى الغيبة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ...﴾ [آل عمران: 36].

جاء الالتفات من أسلوب الخِطاب في قوله: (قالت ربِّ) ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى أسلوب الغيبة في قولهِ: (والله أعلم بما وضعت).

---

[1] ينظر: البحر المحيط 6/ 256.

[2] التحرير والتنوير 250/12.

[3] المصدر نفسه 251/12.

خاطبت امرأة عمران ربها على سبيل التحسر والتلهف، إذ تلهفت لأنهم كانوا لا يحررون الإناث لخدمة المساجد والكنائس ولا يجوّزون ذلك إذ كانت العادة عندهم أن الذي يُحرّر ويُفرّغ لخدمة المسجد وطاعة الله هو الذكر دون الأُنثى فقالت (ربِّ إنّي وضعتها أُنثى) خائفة من عدم قبول نذرها وأنه لم يقع الموقع الذي يعتمد به ومعتذرة من إطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار[1].

وجملة (والله اعلم بما وضعت) اختلفت القراءة في كلمة (وضعت) فمنهم من قرأها بالضم (وضعتُ) على تقدير أنَّه حكاية كلامها، والغرض في هذا الكلام أنّها لمّا قالت إني وضعتها أُنثى خافت أن يظنّ بها أنَّها تُخبر الله تعالى، فأزالت الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت وثبت أنَّها إنَّما قالت ذلك للاعتذار لا للإعلام، ومنهم من قرأها بالسكون (وضعتْ)؛ أي بالجزم على أنَّه من كلام الله[2]، وبهذه القراءة يكون المعنى أنَّه تعالى قال: والله أعلم بما وضعت وذلك تعظيماً لولدِها، وتجهيلاً لها بقدرِ ذلك الولد، وكان المعنى: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعله آيةً للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً فلذلك تحسرت[3].

وإنَّ رفع التاء بالضم في قوله (وضعت) الذي يكون من كلامها فإن اسم الجلالة التفات من الخطاب إلى الغيبة فيكون قرينةً لفظية على أنَّ الخبر مستعمل في التحسّر[4].

3_ الالتفَات عن التكلُّم إلى الغيبة:

---

[1] ينظر: المحرر الوجيز 1 /424، 425، مفاتيح الغيب 8 /203، 204.

[2] ينظر: الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه: 225.

[3] ينظر: مفاتيح الغيب 204/8.

[4] ينظر: التحرير والتنوير 3/ 233.

وهذا في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: 12].

الالتفات في الآية جاء من أسلوب التكلُّم في قولهِ: (فنفخنا) إلى أسلوب الغيبة في قولهِ: (فيه، وصدّقت بكلمات ربها، وكانت من القانتين).

يتكلّم سبحانه وتعالى هنا على مريم ابنة عمران الّتي أحصنت فرجها، ومعنى أحصنت أي منعت فرجها عن الرِّجال ومنه جعل الشّيء حصيناً أي لا يسلك إليه، وبعد ذلك جاء الالتفات بأسلوب التكلّم في قولهِ: (فنفخنا فيه من روحنا) فكلَّمها الله بأنه جزاها على إحصانِ فرجها، بأن كوّنَ الله فيه أي في فرجها نبيّاً بصفةٍ خارقة للعادة فخلّدَ بذلك ذكرها في الصالحات، وحقيقة النَّفخ هنا مستعار من نفخ الريح في الشيء لسرعة إبداع الحياة في المُكوّنِ في رحمها، وإضافة الرُّوح إلى ضمير الجلالة لأَنَّ تكوين المخلوق الحيّ في رحمها كان دون الأسباب المعتادة[1].

ثُمَّ انزلها الله منزلة الغائب بعد أن ذكرها باسمِها في بداية الآية فقال (ومريم ابنة عمران)، وجاء تصديقها بكلمات ربها قيل: بعيسى (عليه السلام)، إذ سُمّي عيسى بـ (كلمة الله) في مواضع من القرآن، وقيل: الكلمات التي شرع لها دون القول، فكأنَّ المعنى صدّقت الشرائع الّتي جاء بها وأخذت بها وصدّقت الكُتب فلم تكذّب[2]، وإنَّ قوله: (من القانتين) جاءت بصيغة التذكير دون التأنيث، وذلك لأنَّ القنوت صفة تشمل من قنت من الذكر أو الأُنثى، فغلب ذكوره على إناثه، ومن للتبعيض[3].

3_ الخِطاب التّشريعي:

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير 28 /378.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب 30 /575.

[3] ينظر: الكشاف 4 / 573.

إنَّ مصطلح الخِطاب التّشريعي مركب من كلمتين هما الخِطاب والتّشريع، وقد تمَّ تعريف كلمة الخِطاب فيما سبق لغة واصطلاحاً، أمّا كلمة التّشريع فسيتمُّ تعريفها لغة واصطلاحاً تواليا:

التّشريع لغة:

جاء في الصحاح: ((الشَريعَةُ: ما شَرَعَ الله لعباده من الدين. وقد شَرَعَ لهم يَشْرَعُ شَرْعاً، أي سنَّ))[1].

وفي المحكم والمحيط الأعظم: ((والشَّريعة، والشِّرْعة: مَا سنّ الله من الدَّين، وَأمر بِهِ، كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْم وَالْحج، وَسَائِر أَعمال الْبر))[2].

أمّا اصطلاحاً فقد عرّفه الدكتور شعبان محمد إسماعيل بأنَّه: ((ما شرَّعه الله لعبادهِ من أحكام اعتقادية أو عملية أو خلقية))[3].

وخلصت الباحثة إلى أنَّ تعريف التّشريع في اللغة يوافق تعريفه في الاصطلاح إذ كلاهما يدور حول تشريع الله أحكامه للعباد، فما سنّه الله من دين وأمر به إنّما سُمّي شريعة لوضوحهِ وبيانهِ.

وقد قسمتُ الخِطاب التّشريعي الوارد في الخِطاب النِّسوي في آيات القرآن الكريم على قسمين هما:

أ _ المعاملات.

ب _ العبادات.

---

[1] الصحاح (شرع) 3/ 1236.

[2] المحكم والمحيط الأعظم (شرع) 370/1، وينظر: لسان العرب (شرع) 175/8.

[3] التشريع الإسلامي مصادره وأطواره: 7.

أولاً: المعاملات:

عُرّفت المعاملات بأنَّها ((مجموع الأحكام الشّرعية المُتعلقة بأمر الدنيا بالنظر إلى بقاء الشخص كالبيع والشراء والإجارة وغيرها))[1].

ثانياً: العبادات:

عُرّفت العبادات بأنَّها عبارة عمّا يُجمع كمال المحبة والخضوع والخوف[2]، وهي الشرعة التي ينوي بها الفرد التقرب إلى الله تعالى، نحو: طلب العلم، إصلاح ذات البين، الابتسامة في وجه أخيك، اماطة الأذى عن الطريق..الخ.

اشتمل القرآن الكريم على المقاصد الأساسية، والقواعد الكلية للشريعة الإلهية، فهذهِ المقاصد تُنظم شؤون الحياة كلها، وتحقق العدل بين المجتمع، فالشريعة تريد من المكلفين أن يقصدوا إلى ما قصدت هي، وأن يسعوا إلى ما هدفت وتوخت، فالتشريعات الّتي ذُكرت في القرآن يراد بها صلاح الفرد وإذا صحّت عقيدة المسلم كان عليهِ أن يأخذ شرائع القرآن الكريم في الفرائض والعبادات، وكل عبادة مفروضة يراد بها صلاح الفرد، ولكنَّها في الوقتِ نفسه ذات علاقة بصلاح الجماعة[3].

فقد بدأ القرآن الكريم بتصحيح العقيدة أولاً، فنزلت بذلك الآيات الّتي تدعو إلى طاعة الله وعبادته وحده وتحذّر من عبادة الأوثان، وتدعو إلى التفكّر في المخلوقات، إذ يؤدي هذا التفكّر بالوصولِ إلى عظمة الخالق (ﷻ)، وذُكرت

---

[1] التعريفات الفقهية: محمد البركتي: 209.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 142.

[3] ينظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان: 278.

القصص والشواهد في القرآن من أجلِ إثبات العقيدة الصحيحة، ونزلت بعد ذلك الآيات المتعلقة بأصول الشريعة كالصلاة، والزكاة، والصيام، والأخلاق، وغيرها[1].

ويَتحدَّث سيد قطب في تفسيرهِ عن روعة التشريع القرآني فيقول: ((إنَّ الإنسان ليقف في عجب وإعجاب أمام التعبير التشريعي في القرآن، إذ تتجلّى الدقة العجيبة في اختياره الكلمات في التعبير التشريعي، ويربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل عميق الإيحاء قوي التأثير دون الإخلال بترابط النص...، فلا ينتقل من لفظة إلى أُخرى إلّا وقد استوفى النقطة التشريعية إذ لا يعود إليها إلّا حين يقع ارتباط بينها وبين نقطة جديدة يقتضي الإشارة إلى الرابطة بينهما))[2].

وبما أَنَّ موضوع البحث هو الخِطاب النِّسوي ونخصُّ منه التشريعي، كان لا بُدَّ لنا من وقفةٍ سريعةٍ لمعرفة حقيقة أحوال المرأة قبل الإسلام وبعده، ومن ثُمَّ العروج على ما جاء بهِ القرآن الكريم من خطاب تشريعي خاص بها.

فقد كان الناس يعيشون في فوضى وجاهلية قبل الإسلام وكانت المرأة تعيش في أسوأ الظروف وتعاني من تلك الهمجية وتعامل أسوأ معاملة وتباع وتشترى كالسلع وتُنتهك حرمتها وعرضها، فمنذ ولادتها كانت تدفن حية دون ذنب، وإنْ نَجت وكبرت تعرّضت للزنا والأسر والبيع في الأسواق والضرب من الأزواج إلى غير ذلك من الآلام والظلم[3].

وعندما جاء الإسلام صحح كُلّ هذه الأوضاع، وطهّر المجتمع من الرذيلة والعادات السيئة، وحفظ للمرأةِ حقها وكرامتها وعرضها، فحرَّم الزِّنا ووضع له عقوبة

---

[1] ينظر: عظمة القرآن الكريم: محمد الدوسري: 558.

[2] في ظلال القرآن: سيد قطب 334/1.

[3] ينظر: تكريم المرآة في الاسلام: محمد بن جميل زينو: 7.

رادعة وشجع على الزواج وأمر بغض البصر، وحفظ الفرج ومنع من الاختلاط الفاحش، وجعل هناك آداباً في دخولِ المنازل والاستئذان ووضع اللباس والزينة، وكل ذلك للحفاظ على حرمة المرأة وحماية حقوقها، وكرامتها، وحمايتها من الاستغلال والتعدّي، والتكفّل لها بحياة كريمة بعيدة عن امتهان النفس، وضياع الشرف لتعيش تحت ظل زوجٍ يحترمها ويتكفّل بحقوقها ورعايتها أو أبٍ ودود يرعاها ويغير على عرضها، وهذا من رحمة الله بالعباد لينظم حياتهم ويطهّرهم ويحفظ لكُلِّ ذي حق حقه[1].

فمن الحقوق الّتي أعطاها الإسلام للمرأة والّتي لم ترد في أي دين من قبل ولم نسمع عنها في أي قانون أو نظام وضعي هي:

1_ حق المرأة في الحياة الكريمة:

قبل الإسلام كانت المرأة تقتل خشية العار أو الفقر أو غير ذلك، ولقد أشار إلى ذلك القرآن، فيقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8، 9]، فحرّم الإسلام ذلك، وأعطاها حق الحياة مثل سائر المخلوقات، وكان العرب ينظرون إلى المرأة على أنَّها عار وسوء ولقد أشار القرآن إلى ذلك فقال الله (ﷻ): ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: 58]، جاء الإسلام وساوى بين الرجل والمرأة في الاحترام والتقدير والكرامة، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [التوبة: 71].

2_ حق المرأة في الميراث:

---

[1] ينظر: الحقوق والمسؤوليات الاقتصادية للمرأة في الإسلام: الدكتور حسين شحاتة، سلسلة دراسات وبحوث في الفكر الاقتصادي الإسلامي: 6.

أعطى الإسلام للمرأة الحق في الميراث وأساس ذلك من القرآن الكريم هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النِّساء: 7].

3_ حق المرأة في العمل والكسب:

كانت المرأة قبل الإسلام من متاع البيت، وينظر لها على أنّها من الدرجة الثانية، وجاء الإسلام وأعطاها حق العمل الشريف الطيب الذي يتناسب مع طبيعتها، وأنوثتها وقدراتها، وهذا في إطار مجموعة من الضوابط الشرعية منها: التزامها بحجابها وعدم الخلوة والعمل الطيب، كما أعطى الإسلام للمرأة حق مباشرة المعاملات الاقتصادية.

ومن هُنا تبيّن لنا كيفَ كانت المرأة مُهانة لا حقَّ لها في أي شيءٍ، وجاء الإسلام ليصون كرامتها ويحفظ حقوقها كما سنلاحظه من طريق الآيات القرآنية المتضمنة الخطاب النِّسوي الخاص بالمعاملات والعبادات وعلى النحو الآتي:

قال تعالى: ﴿...وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: 6].

يبين الله سبحانه وتعالى في هذهِ الآية حكم المرأة الحامل المطلقة فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن يعني حق الرضاع وأجرته، ((وهو دليل على أن اللبن وإن خلق لمكان الولد فهو ملك لها وإلا لم يكن لها أن تأخذ الأجر، وفيه دليل على أن حق الرضاع والنفقة على الأزواج في حق الأولاد وحق الإمساك والحضانة والكفالة على

الزوجات وإلا لكان لها بعض الأجر دون الكل))[1]، ((ثم بين قدر الإنفاق بقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: 7] أمر أهل التوسعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات على قدر سعتهم ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على مقدار ذلك، ونظيره: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: 236] وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7] أي ما أعطاها من الرزق، قال السدي: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني))[2]، فقد فرض الله على الأزواج أن يعطوا للمرأة أجرها عند الرضاع وذلك لأن اللبن ملك لها.

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ [البقرة: 233].

نزلت هذهِ الآية المباركة في مقام التَّشريع، وبيان الأحكام الفقهية، فهُنا جاء الخِطاب موجهاً من الله سبحانه وتعالى للوالدات؛ أي الزوجات، و(الوالدات) جمع والدة بالتاءِ للتفريقِ بين المذكر والمؤنث، والمعنى: النِّساء اللواتي بِنَّ من أزواجِهنَّ، ولهن أولادٌ قد ولدنهم من أزواجهن قبل بينونتهنَّ منهم بطلاق، أن (يرضعن أولادهن) فـ(يرضعن) هنا بمعنى الخبر في معنى الأمر المؤكد، و(كاملين) هنا توكيد كقولهِ: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196]، لأنَّه ممّا يتسامح فيه وهذا المعنى هو ما ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان[3]، وهنا دلالة على مبلغ غاية الرضاع وهو حولين؛ أي سنتين، لمن أراد أن يُتم الرَّضاعة، فقُرأت (الرِّضاعة) بكسر الراء، فالمراد هنا أنَّه

---

[1] مفاتيح الغيب 563/30.

[2] المصدر نفسه 564/30.

[3] ينظر: الكشاف 455/1، البحر المحيط 222/2.

يجوز النقصان، و(أن يُتم الرضاعة) رُفع الفعل تشبيهاً لـ(أن) بـ(ما) إذ يتآخيان في التأويل[1].

وإنَّ اللام في قولهِ: (لمن أراد) متعلقة بـ(يُرضعنَّ)، كما في القول: أرضعت فلانة لفلان ولده، أي: يُرضعنَّ حولين لمن أراد أن يُتمَّ الرضاعة من الآباء، وقيل: إنَّ المراد بالوالدات هُنا المطلقات[2]، ((وإنَّ الوجوب بالنفقة والكسوة لأجل الرضاع، (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فالمولود هنا جنس واللام فيهِ موصولة وصلت باسم المفعول و(أل) كـ(من) وما يعود الضمير على اللفظ مفرداً مذكراً، ويجوز أن يعود على المعنى بحسب ما تريده من المعنى من تثنيةٍ أو جمعٍ أو تأنيث، وهنا عاد الضمير على اللفظ فجاء له))[3].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النِّساء: 7].

أعطى الإسلام للمرأة الحق في الميراث وإنَّ أساس ذلك من القرآن الكريم، فكما أعطى للرجالِ نصيباً من الميراث أعطى للنِّساءِ كذلك نصيباً منه، كان أَهلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، ويقولونَ لَا يَرِثُ إِلَّا مَن طَاعَنَ بِالرِّمَاحِ وَذَادَ عَنِ الحَوزَةِ وَحَازَ الْغَنِيمَةَ، فَبيَّنَ الله سبحانه وتَعالى أَنَّ الإرثَ غَيرُ مُختَصٍّ بالرِّجالِ، بَل هُوَ أَمرٌ مُشتَرَكٌ فِيهِ بَينَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ[4]، وإنَّ قول الله (نصيب) هو إثباتٌ لحقّها، وإنَّ (اللام) المتقدمة على لفظ الرجال والنساء تُشير إلى أنَّ الميراث للرجال والنساء معاً

[1] ينظر: الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه: 97.

[2] ينظر: الكشاف 455/1.

[3] البحر المحيط 223/2.

[4] ينظر: مفاتيح الغيب 502/9.

على حدٍ سواء، إذ إنَّه اثبت ذلك باستعمال أسلوب الإجمال باستعمال لفظة (نصيب) الّتي وردت نكرة والّتي كان ورودها عاماً مطلقاً لا يمكن تفسيره، لأنه لم يذكر سهمها من الميراث، وإنَّ لفظة (نصيب) ذُكرت مرتين إشارة إلى التأكيد بأنَّ لها نصيباً من الإرث وإعلام الجميع أنَّ للجميع نصيباً من تركة الوالدين والأقربين، وهو بذلك حكم عام مُطلق، دون أن يُفصّل الحديث فيهِ، حتى جاءت الآية الّتي بعدها فبينت نصيب المرأة وسهمها من الميراث[1].

فبما أنَّ للرجال نصيباً وللنِّساء نصيبهن المغاير لنصيب الرجال الذي هو من النصب بمعنى الإقامة والأقربون هم المتوارثون بالقرابة فكان التعبير عن الأقرباء بالأقربين ولم يَقل ذوي القُربى ونحوها فإنَّ ذلك لا يخلو من الدلالة على أنَّ الملاك في الإرث اقربية الميت من الوارث[2].

ومن آيات العبادات قولهِ تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النِّساء: 34].

بعد أن تكلّم سبحانه وتعالى على الرجل التفت بعد ذلك إلى ذكر النِّساء فذكر منهن الصالحات فوصف الله الصالحات منهن وصفا يفيد رضاه تعالى، فقال: (فالصالحات قانتات)، والقانتات: المطيعات لله. والقنوت: عبادة الله ودوام الطّاعة، وقدمه هنا وإن لم يكن من سياق الكلام للدلالة على تلازم خوفهن الله وحفظ حق أزواجهن، ولذلك قال: حافظات للغيب، أي حافظات أزواجهن عند غيبتهم. وعلق الغيب بالحفظ على سبيل المجاز العقلي لأنه وقته. والغيب مصدر غاب ضد

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 202/9، وينظر: الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني (دراسة في الدلالة القرآنية): سيروان الجنابي (أطروحة دكتوراه): 36.

[2] ينظر: الميزان في تفسير القرآن 199/4.

حضر. والمقصود غيبة أزواجهن، واللام للتعدية لضعف العامل، إذ هو غير فعل، فالغيب في معنى المفعول، وقد جعل مفعولا للحفظ على التوسع لأنه في الحقيقة ظرف للحفظ، فأقيم مقام المفعول ليشمل كل ما هو مظنة تخلف الحفظ في مدته: من كل ما شأنه أن يحرسه الزوج الحاضر من أحوال امرأته في عرضه وماله والباء في (بما حفظ الله) للملابسة، أي حفظا ملابسا لما حفظ الله، و (ما) مصدرية أي بحفظ الله، وحفظ الله هو أمره بالحفظ، فالمراد الحفظ التكليفي، ومعنى الملابسة أنهن يحفظن أزواجهن حفظا مطابقا لأمر الله تعالى، وأمر الله يرجع إلى ما فيه حق للأزواج وحدهم أو مع حق الله[1]، فجعل سبحانه وتعالى الخوف والطاعة والقنوت من ضمن العبادة.

وإنَّ عبادة المرأة التي تؤمن بالله سبحانه وتعالى رباً وبمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) نبياً وبالقرآن الكريم دستوراً لا شك أن تكون مبنية على الإيمان، إذ تلتزم بما جاء بهِ من أوامر وتنتهي عمّا نهى عنه من أمور، وتتمثل بأخلاقهِ ومبادئهِ؛ لأنَّ أخلاقها ومعاملاتها جزءان لا يتجزءان من عباداتها النابعة من إيمانها والمبنية على أصولِ دينها، إذ نرى أنَّ عبادة المرأة من الأمور التي أشاد بها القرآن الكريم، وهي مجال واسع يضُمَّ كل ما تلتزم به طاعة لله تعالى، وما يتبع ذلك من تنفيذ ما أمر بهِ، وترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى فهذا شأن المرأة المسلمة مع ربها إيمانٌ بالله عميق وتسليم بقضائهِ وقدره وإقبال صادق على عبادتهِ، وطاعة مطلقة لأوامرهِ واجتناب نواهيه وتمثّل واعٍ لمعنى عبوديتها لله وعملٌ دائب على نصرة دينه وتحقيق

[1] ينظر: التحرير والتنوير 40/5.

كلمته، وإنَّ اعتزازها بشخصيتها المسلمة نابعٌ من قوة إيمانها ونقائهِ وحسن تفهمها للهدف من وجود الإنسان في هذهِ الحياة[1].

ومن آيات العبادة أيضاً قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].

فقد بدأ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بذكر جميع العبادات التي تشمل الذكور والإناث فهي تذكر الطرفين الرجال والنساء فقد بدأ سبحانه بذكر الإسلام الذي هو مجرد الدخول في الدين، والانقياد له مع العمل، كما ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما سأله جبريل عن الإسلام قال: ((هو أن تشهد أن لا إله إلا الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان)) ثمَّ عطف على المسلمين المسلمات تشريفا لهن بالذكر. وهكذا فيما بعد، وإن كن داخلات في لفظ المسلمين والمؤمنين ونحو ذلك، والتذكير إنما هو لتغليب الذكور على الإناث، كما في جميع ما ورد في الكتاب العزيز من ذلك، ثم ذكر: المؤمنين والمؤمنات وهم من يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، والقانت: العابد المطيع، وكذا القانتة، وقيل المداومين على العبادة والطاعة، والصادق، والصادقة: هما من يتكلّم بالصدق، ويتجنب الكذب، ويفي بما عوهد عليه، والصابر، والصابرة: هما من يصبر عن الشهوات، وعلى مشاق التكليف، والخاشع، والخاشعة: هما المتواضعان لله الخائفان منه الخاضعان في عباداتهم لله، والمتصدق،

[1] ينظر: الخطاب التربوي للمرأة في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم الجامعي: رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي (أطروحة دكتوراه): 130، 131.

والمتصدقة: هما من تصدق من ماله بما أوجبه الله عليه[1]. وقيل: ذلك أعم من صدقة الفرض والنفل، وكذلك: الصائم والصائمة، قيل: ذلك مختص بالفرض، وقيل: هو أعم، والحافظ، والحافظة لفرجيهما عن الحرام بالتعفف، والتنزه، والاقتصار على الحلال، والذاكر، والذاكرة: هما من يذكر الله على أحواله، وفي ذكر الكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر الله سبحانه بالقلب واللسان، واكتفى في الحافظات بما تقدم في الحافظين من ذكر الفروج ثم قال وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ أي المداومين على الطاعة، وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ في القول والعمل وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ على الطاعات وعن المعاصي. وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم. وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ بما وجب في مالهم. وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ الصوم المفروض، وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ عن الحرام، وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ بقلوبهم وألسنتهم، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات، وَأَجْراً عَظِيماً على طاعتهم، والآية وعد لهن ولأمثالهم على الطاعة والتدرع بهذه الخصال، فقد روي في سبب نزول هذهِ الآية أن أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قلن: يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت، وقيل: لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت، وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري، وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله (مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ) وفائدته الدلالة على أن إعداد المُعد لهم للجمع بين هذه الصفات[2].

ومنها أيضاً قولهِ تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي

[1] ينظر: فتح القدير 325/4.

[2] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 232/4.

بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 32_ 34].

جاء سبحانه وتعالى بمجوعة من العبادات التي خصَّ بها نِساء النبي (صلى الله عليه وآله) ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال تعالى مخاطبا نِساء النبي (صلى الله عليه وآله) بأنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النِّساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله فبعد أن نهاهن عن الشر من الخضوع في القول والتبرج أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين وأطعن الله ورسوله وهذا من باب عطف العام على الخاص[1]، وأدّين الصلاة على الوجه القيّم المعتبر شرعا، وأعطين زكاة أموالكن كما أمركن الله. وخص هاتين العبادتين بالذكر لما لهما من كبير الآثار في طهارة النفس وطهارة المال أي واذكرن نعمة الله عليكن، بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله من القرآن الكريم وما ينزل على الرسول من أحكام الدين ولم ينزل به قرآن، فاحمدن الله على ذلك واشكرنه على جزيل فضله عليكن. ولا يخفى ما في هذا من الحث على الانتهاء والائتمار فيما كلّفنه، كما لا يخفى ما في تسمية ما نزل عليه من الشرائع بالحكمة، إذ فيه الحكمة في صلاح المجتمع في معاشه ومعاده، فمن استمسك به رشد، ومن تركه ضلّ عن طريق الهدى، وسلك سبيل الردى[2].

4_ الخِطاب التَّكليفي:

[1] ينظر: تفسير ابن كثير 363/6، 364.

[2] ينظر: تفسير المراغي 6/22، 7.

التَّكليف لغة واصطلاحا:

التّكليف لغة:

قال ابن فارس (ت 395هـ): ((الْكَافُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِيلَاعٍ بِالشَّيْءِ وَتَعَلُّقٍ بِهِ. ومِنْ ذَلِكَ الْكَلَفُ، تَقُولُ: قَدْ كَلِفَ بِالْأَمْرِ يَكْلَفُ كَلَفًا... وَمِنَ الْبَابِ الْكَلَفُ: شَيْءٌ يَعْلُو الْوَجْهَ فَيُغَيِّرُ بَشَرَتَهُ))[1].

وعن ابن منظور كَلِف بِالشَّيْءِ كَلَفاً وكُلْفَة: لهِج بِهِ، والمُكَلَّف والمُتَكَلِّف: الوقّاعُ فِيمَا لَا يَعْنيه. والكُلْفَةُ: مَا تكلَّفْت مِنْ أَمر فِي نَائِبَةٍ أَو حَقّ والكَلَف: الوُلوع بِالشَّيْءِ مَعَ شَغْلِ قَلْبٍ ومَشقة. وكَلَّفه تَكْلِيفاً أَي أَمره بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ. وتَكَلَّفْت الشيءَ: تجشَّمْته عَلَى مشقَّة وَعَلَى خِلَافِ عَادَتِكَ[2].

وعلى ذلك يكون التكليف في اللغة هو الولوع بالشيء والتعلق به مع شغلِ قلبٍ ومشقة على خلاف العادة.

وجعل الراغب الاصفهاني (ت502هـ) التكلّف على ضربين هما: ((محمود: وهو ما يتحرّاه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلا عليه ويصير كلفا به ومُحبا له، وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلّف العبادات. والثاني: مذموم: وهو ما يتحرّاه الإنسان مُراءاةً وإياه اعني بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86]))[3].

التّكليف اصطلاحا:

---

[1] مقاييس اللغة (كلف) 136/5.

[2] ينظر: لسان العرب (كلف) 307/9.

[3] المفردات في غريب القرآن: 490.

عرّفه الشريف الجرجاني (ت 816هـ) بأنَّه: ((إلزام الكلفة على المُخاطب))[1].

وعند الطوسي هو طلب الشارع ما فيه كلفة من فعل أو ترك وهو شامل للأحكام التكليفية الخمسة وهي: الوجوب، والحرمة، والاستحباب، والكراهة، والإباحة[2].

أي خطاب الشارع بفائدة شرعية مختصة به تفهم منه، وهو بهذا يخرج عن الخطابات الأخرى الّتي يُفهم منها الإخبار بالمحسوسات والمعقولات[3].

وخطاب التكليف في القرآن الكريم موجهاً إلى الرَّجلِ والمرأة على حدٍ سواء؛ وذلك لأَنَّ هذا الخطاب امتداد طبيعي يقتضيهِ العمل باركان الإسلام والأهلية القائمة عند كلّ منهما لذلك تكشف عن قبس من قبسات الحكمة البالغة في إيداع الإنسان _ ذكراً كان أو أنثى _ أهليّة هذا التكليف.

فكل ما ورد في الشريعة من صيغ التكليف أمراً ونهياً كان الخِطاب فيه للمكلفين من أجل دين الإسلام بصرف النظر عن الذكر والأنثى إلّا ما ورد فيه تخصيص الرجل بالحكم من دون المرأة، أو المرأة من دون الرجل.

وجاء خطاب التّكليف في القرآن الكريم على نمطين هما:

1_ خطاب الأمر

2_ خطاب النَّهي

1_ خطاب الأمر:

---

[1] التعريفات: 65.

[2] ينظر: الاقتصاد فيما يجب على العباد: الطوسي: 128.

[3] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 441.

عرّفه أبي بكر الباقلاني (ت 403هـ) بأنَّه القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور بهِ[1].

وعند يحيى بن حمزة العلوي (ت749هـ) بقولهِ: ((هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبىء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء))[2].

وجاءت صيغة الأمر في الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم على الأنماط الآتية:

أ _ صيغة فعل الأمر:

ومثالها في الخطاب النِّسوي قوله تعالى: ﴿...وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: 34]، فقوله تعالى: (فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) الوارد بصيغة الأمر المقصود منه التّرتيب وعدم الجمع بين الثلاثة، فالواو هنا يراد بها التقسيم بالنظر إلى أقسام النِّساء في النشوز، (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) ضمير المخاطب فيه يجري على نحو ما تقدّم في ضمائر (تخافون) وما بعده والمراد الطاعة بعد النشوز؛ أي إن رجعن عن النشوز إلى الطاعة المعروفة، والخطاب في الآية صالح لكل من جُعِل له سبيلٌ على الزوجات في حالة النشوز على ما تقدّم[3].

---

[1] ينظر: أصول السّرخسي 20/1.

[2] الطراز: العلوي 281/3، 282.

[3] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي 44/4، التحرير والتنوير: ابن عاشور 42/5

وقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...﴾ [النور: 2]، أمر الله في هذه الآية أن يُجلد الزّاني والزّانية إذا لم يكونا محصنين كل واحد منهما مائة جلدة، وإذا كانا محصنين أو أحدهما كان على المحصن الرجم بلا خلاف[1].

والآية المباركة هي ابتداء كلام وهو ((كالعنوان والترجمة في التبويب فلذلك أتي بعده بالفاء المؤذنة بأن ما بعدها في قوة الجواب وأنّ ما قبلها في قوة الشرط. فالتقدير: الزانية والزاني ممن أنزلت له هذه السورة وفرضت. ولمّا كان هذا يستدعي استشراف السامع كان الكلام في قوة: إن أردتم حكمهما فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وهكذا شأن هذه الفاء كلّما جاءت بعد ما هو في صورة المبتدأ فإنّما يكون ذلك المبتدأ في معنى ما للسامع رغبة في استعلام حاله))[2].

وتفهم الباحثة من ذلك أنّ دخول الفاء في قولهِ: (فاجلدوا) لأنّه موضع أمر، والأمر مضارع للشرط وفيه معنى الجزاء إن زنى زانٍ فافعلوا بهِ كذا.

وممّا يُلاحظ في الآية الكريمة أنَّ الزانية قد ذُكرت أوّلاً؛ ((لأنّ ممارسة هذا العمل الذي يخالف العفة هي في غاية القبح، وتزداد قبحاً وبشاعة بالنسبة للمرأة فحياؤها أكثر من حياء الرجل، والخروج عليه دليل تمرد شديد جداً، فضلاً عن عاقبته المشئومة بالنسبة لها أكبر رغم فداحته ووباله على الطرفينِ كليهما))[3].

---

[1] ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي 398/7، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيرازي 13،12/11.

[2] التحرير والتنوير 145/18.

[3] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل 15/11.

في حين نجد في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا . . .﴾ [المائدة: 38]، قدّمَ المذكر على المؤنث؛ لأنّ السرقة في الرجالِ أكثر والزِنا في النِّساءِ أكثر، فقدّم الأكثر وقوعاً[1].

ب _ الجملة الخبرية الدالة على الأمر:

تَدُلّ الجُملة الخبريّة على الأمر في الطّلب في مقام الإنشاء؛ لأنّها تُشبه من جهة الوجوب صيغة (افعل) الدّالة على الطلب إلّا أنّها مرتبطة بقرينة في دلالتها على الأمر[2].

وقد جاءت الجملة الخبريّة الدّالة على الأمر في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228]، لفظه خبر ومعناه أمر[3].

وقال الزمخشري: ((وَالْمُطَلَّقاتُ أراد المدخول بهن من ذوات الإقراء، فإن قلت: كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم؟ قلت: بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه، فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك. فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر. وأصل الكلام: وليتربص المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص، فهو يخبر عنه موجوداً. ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك الله، أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة،

---

[1] ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة 65/2.

[2] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي 171/1،172.

[3] ينظر: مجمع البيان 57/2، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود 271/1.

كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد))[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233]، ذهب الطبرسي إلى أنَّ الوالدات هن الأمهات وقوله: (يرضعن أولادهن) صيغته الخبر ويراد بهِ الأمر أي: ليرضعن أولادهن، كقوله: (يتربصن بأنفسهن)، وجاز ذلك في الكلام إذ لو كان خبراً لكان كذباً لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل. وقيل: هو خبر بمعنى الأمر وتقديره والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين في حكم الله الذي أوجبه على عباده فحذف للدلالة عليه، وهذا أمر استحباب لا أمر إيجاب [2]. في حين ذكر أبو السعود أنّ قوله: (والوالدات يرضعن أولادهن) ((أمرٌ أُخرِجَ مُخرجَ الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونِه ومعناه الندبُ أو الوجوبُ إن خص بمادة عدم قَبول الصبيّ ثديَ الغير أو فقدانِ الظِئْر أو عجزِ الوالدِ عن الاستئجار والتعبيرُ عنهن بالعنوان المذكور لِهزّ عَطفِهن نحوَ أولادِهن والحكمُ عام للمطلقات وغيرهن وقيل: خاصٌّ بهن إذ الكلامُ فيهن))[3].

وترى الباحثة أنَّ جُملة (والوالدات يرضعن أولادهن) مطلقة تشمل المطلقات وغير المطلقات إلّا أنّ الجملة اللاحقة لها وهي (فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما

---

[1] الكشاف: الزمخشري 298/1، وينظر: إرشاد العقل السليم 271/1.

[2] ينظر: مجمع البيان 64/2.

[3] إرشاد العقل السليم 276/1.

وتشاور فلا جناح عليهما) توضّح أن الآية تقصد النساء المطلقات مع وجود هذا الحق للأمهات كلهن، لكن في حالة عدم وجود الطلاق فلا أثر عملي لهذا الحكم[1].

2_ خطاب النَّهي:

وهو طلب الكف عن الفعل استعلاءً، وصيغته لا تفعل وهي حقيقة في التحريم[2].

وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أُخرى تستفاد من السياق والقرائن. وطلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء بمعنى أَنّه عكس الأمر؛ لأن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، أمّا النهي فهو طلب الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء بمعنى أنَّ الأصلَ في النّهي أن يَكونَ صادراً مِن الأَعلَى مَنزلة إلى الأَدنَى مَنزِلَة، ويكونُ الأَصلُ فِيهِ طَلَب الكَفِّ على سبِيل الإِلزَام.

وجاء خطاب النّهي في القرآن الكريم على الصور الآتية:

أ _ الفعل المضارع المقرون بلا الناهية:

تدخل (لا) الناهية على الفعل المضارع فتجزمه وفي ذلك يقول ابن الأنباري (ت 577هـ): ((فأمّا (لا) في النَّهي فإنّما وجب أن تجزم حملاً على الأمر؛ لأنّ الأمر ضد النهي وهم يحملون الشيء على ضده كما يحملونه على نظيره...))[3].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 458/6.

[2] ينظر: المطول على التلخيص: سعد الدين التفتازاني: 241، الإتقان في علوم القرآن: السيوطي 243/3.

[3] أسرار العربية: 236.

وقال الرّضي: ((و(لا) النَّهي تجيء للمخاطب والغائب على السواء، ولا تختص بالغائب كاللام، وقد جاء في المتكلم قليلاً كلام الأمر، وذلك قولهم: لا أريتك هنا؛ لأنّ المنهي في الحقيقة ههنا هو المخاطب أيّ؛ لا تكن ههنا حتى لا أراك))[1].

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ...﴾ [البقرة: 221]، ذهب ابن عاشور إلى أنَّ في هذه الآية غاية للنهي فإذا آمنَّ زال النهي وفي قوله: (ولأمة مؤمنة خير من مشركة) تنبيه على دناءة المشركات وتحذير من تزويجهن ومن الاغترار بما يكون للمشركة من حسب ومال وجمال إلّا من لم يستطع تزوج حرة مؤمنة فليتزوج أمة مؤمنة خير له من حرة مشركة، فالكلام في هذه الآية وارد مورد التناهي في تفضيل أقل أفراد هذا الصنف على أثم أفراد الصنف الآخر، فإذا كانت الأمة المؤمنة خيراً من كل مشركة فالحرة المؤمنة خير من المشركة بدلالة فحوى الخطاب الّتي يقتضيها السياق، ولظهور أنّه لا معنى لتفضيل الأمة المؤمنة على الأمة المشركة فإنّه حاصل بدلالة فحوى الخطاب لا يشك فيه المخاطبون المؤمنون[2].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 22]؛ أيّ حرّم عليهم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب وتقدير الكلام: ولا تنكحوا نكاح آبائكم؛ أيّ مثل نكاح آبائكم وهنا يدخل فيه النهي عن حلائل الآباء وكل نكاح كان لهم فاسداً[3].

---

[1] شرح الكافية 89/4.

[2] ينظر: التحرير والتنوير 361/2.

[3] ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي 153/3.

والله عزَّ وجل لتأكيد هذا النَّهي استعمل ثلاث عبارات شديدة حول هذا النوع من النكاح فيقول: (إنه كان فاحشة) ثُمَّ يضيف فيقول: (ومقتاً) أي عملاً سيئاً تنفر منه العقول ولا تستسيغه الطباع البشرية السليمة، ثمّ يختم ذلك بقوله: (وساء سبيلاً)؛ أيّ أنها عادة خبيثة وسلوك شاذ[1].

_ لا الناهية مع صيغة تفعلين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7] وقد طرحت النون هنا علامة للجزم في (لا تخافي، ولا تحزني)، وفي هذه الآية أمران ونهيان وخبران وبشارتان، الأمران هما: (أرضعيه، فألقيه)، والنهيان هما: (لا تخافي، ولا تحزني)، والخبران هما: (إنا رادوه إليك، وجاعلوه من المرسلين)، والبشارتان في ضمن الخبرين، وهما: رده إليها وجعله من المرسلين[2].

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24]، أيّ؛ لا تحزني[3]، في حين ذهب البيضاوي إلى أنّ قوله: (ألاَّ تَحزَنِي) لا تحزني أو بأن لا تحزني[4].

وفي قوله: (ألّا تحزني) تسلية لها لما أصابها من الحزن والغم؛ فلا توجد مصيبة أمرّ وأشقّ على المرأة الزاهدة والناسكة من أن تتهم بعرضها، وخاصة إذا

---

[1] ينظر: الأمثل 167/3.

[2] ينظر: مجمع البيان 213/7، إعراب القرآن وبيانه: الدرويش 577/5.

[3] ينظر: تفسير ابن كثير 234/4.

[4] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 9/4.

كانت تهمة لا سبيل لها من الدفاع عن نفسها، وكانت الحجَّة للخصم ولذا أشار أن لا تتكلم مع أحد، وأن يتكفّل هو بالدفاع عنها، وتلك حجة لا يدفعها دافع[1].

_ لا الناهية مع صيغة تفعلون:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187]، فالفعل (تباشروهنَّ) مضارع مجزوم بلا، واختلف في المباشرة هنا بين أن يكون المراد الجماع[2] أو اللمس والقبلة وغيرهما[3]، فقد جاء في البحر المحيط: ((فَالمنهِيُّ عَنْهُ الجِماعُ، وَقَال الجمهور: يَقَعُ هُنَا عَلَى الْجِمَاعِ وَمَا يُتَلَذَّذُ بِهِ، وَانْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ على أَنَّ هَذَا النَّهْيَ نَهْيُ تَحْرِيمٍ، وَأَنَّ الِاعْتِكَافَ يَبْطُلُ بِالْجِمَاعِ... وإضافة الحدود إلى الله تعالى هنا وحيث ذكرت تدلُّ على المبالغة في عدم الالتباس بها ولم تأت منكرة ولا معرّفة بالألف واللام لهذا المعنى فلا تقربوها النهي عن القربان للحدود أبلغ من النهي عن الالتباس بها))[4].

ب _ الخبر الذي يفيد النَّهي:

هناك كثير من الصيغ الّتي استعمل الخِطاب القرآني بعضاً منها مكان بعض مراعاة لمقتضى حال المتكلم أو المخاطب وغيرها، وفي ذلك يقول عز الدين بن عبد

---

(1) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي 43/14.

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم 255/1.

(3) ينظر: روح المعاني 137/2.

(4) البحر المحيط 214/2.

السلام: ((إذا أريد تأكيد الدعاء والأمر والنَّهي عبّر عنها بالخبر المستقبل، وإن بالغ في التأكيد تجوز عنها بالخبر الماضي))[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 3]، فذهب الزَّمخشري إلى أنَّ قوله: ((لا ينكح، بالجزم على النَّهي. والمرفوع فيه أيضاً معنى النهي، ولكن أبلغ وآكد، كما أنّ (رحمك الله)، (ويرحمك) أبلغ من (ليرحمك) ويجوز أن يكون خبراً محضاً على معنى: أنّ عادتهم جارية على ذلك، وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصوّن عنها))[2]، وأشار الطبرسي أيضاً إلى أنَّ المراد بالآية النَّهي وإن كان ظاهره الخبر[3].

ج ـ النَّهي بألفاظ معينة ومنها الفعل حرّم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ. . .إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 23]، فقوله: (حرمت عليكم) اختصت بخطاب الرجال مع شمول الحكم للنِّساء، وجاءت الآية لتوضّح المحرمات بالنسب وغير النسب[4].

وذهب الطاهر بن عاشور إلى بيانِ معنى الآية بأنّه قد ((غُيِّر أُسلوب النَّهي فيه لأَنَّ (لَا تَفْعَلْ) نَهيٌ عن المضارع الدَّالِّ على زمن الحال فيؤذن بِالتَّلَبُّسُ بِالْمَنْهِيِّ،

---

(1) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: عز الدين بن عبد السلام: 28.

(2) الكشاف 217/3.

(3) ينظر: مجمع البيان 114/7.

(4) ينظر: مفاتيح الغيب 132/5، الميزان في تفسير القرآن 263/4.

أَوْ إِمْكَانِ التَّلَبُّسِ بِهِ، بِخِلَافِ (حُرِّمَتْ) فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَحْرِيمَهُ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُ الْإِسْلَامُ إِلَّا امْرَأَةَ الْأَبِ وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ) فَمِنْ أَجْلِ هَذَا أَيْضًا نَجِدُ حُكْمَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ عُبِّرَ فِيهِ بِلَفْظِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ فَقِيلَ: وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ))[1].

((وليس المراد في هذه الآية المباركة تحريم ذاتهن؛ لأنَّ الحُرمة تتعلق بأفعال المكلفين، والكلام هنا على حذف مضاف بدلالة العقل، والمراد تحريم نكاحهن؛ لأنّه معظم ما يقصد منهن ولأنّه المتبادر إلى الفهم ولأنّ ما قبله وما بعده في النكاح ولو لم يكن المراد هذا كأن تخلل أجنبي بينهما من غير نكتة فلا إجمال في الآية))[2].

في حين ذهب الرازي إلى أَنَّ هذه الآية مجملة فقال: ((لأنّه أضيف التحريم فيها إلى الأمهات والبنات، والتحريم لا يمكن إضافته إلى الأعيان، وإنّما يمكن إضافته إلى الأفعال، وذلك الفعل غير مذكور في الآية، فليست إضافة هذا التحريم إلى بعض الأفعال الّتي لا يمكن إيقاعها في ذوات الأمهات والبنات أو إلى من بعض، فصارت الآية مجملة من هذا الوجه))[3].

5_ الخِطاب التكويني:

يعد خلق الانسان من آيات الله العظيمة، فقد حدد الله في كتابه الكريم المهمة المتكاملة للرجل والمرأة، فكلاهما يكمل بعضه بعضاً، لا الرجل يصلح لمهمة المرأة في إنجاب الاطفال ورعاية البيت، وتربية الاولاد والعناية بهم، ولا المرأة مهمتها الاساسية أن تسعى في سبيل الرزق، لتوفير لقمة العيش للرجل. وليس هذا على

---

[1] التحرير والتنوير 293/4، 294.

[2] روح المعاني 493/3.

[3] مفاتيح الغيب 132/5.

مستوى الافراد والامم فقط، ولكنه شمول للكون وما فيه ومن فيه، وإن كانت هناك نساء تسعين إلى الرزق، فإن ذلك يكون في حدود إمكاناتها واستعدادها الفطري مع شمولها بالكرامة، وإحاطتها بكامل الرعاية [1]، ويبين الله في آيات عديدة أن الناس مهما اختلفوا فإنهم يرجعون إلى أصل واحد، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّساء: 1] ، فمن سمات هذا الخِطاب القرآني هو إبراز العامل النفسي والاجتماعي والجسدي والروحي بشكل كبير، ويظهر ذلك واضحاً في مدى التناسق النفسي بين الالفاظ والتراكيب، ويبين ما وراء هذه الالفاظ من معانٍ[2]. فقد ابتدأ الخطاب بفعل الامر (اتقوا) الذي يعني الخوف من الله تعالى وحفظ النفس عما يؤثم وذلك بزجر النفس عن جميع المحضورات والمكروهات[3]، وهي نتيجة ومحصلة العبادة المباشرة، بما تثيره من معانٍ تجلو القلب وتترك مجالا فسيحاً لتأملات شتى، كتذكير الناس بمصدرهم الذي صدروا عنه، وردهم إلى خالقهم الذي أنشأهم من الأرض، ممّا يجعلهم مرتبطين نفسيا بهذا المصدر الذي ينساه كثير من الناس فيصيبوا بالأمراض النفسية المتعددة[4].

وإنَّ هذا الخطاب الموجه للناس يقرر حقيقتين نفسيتين واجتماعيتين هامتين في آن واحد، وهما تحديد مصدرية الخلق الاول (ربكم الذي خلقكم) وهذه الحقيقة

---

[1] ينظر: المرأة في القران: محمد متولي الشعراوي 18.

[2] ينظر: البنية النفسية الاجتماعية في الخطاب القرآني العام: خضر محمود عباس (بحث منشور)، مجلة الجامعة الإسلامية، مج 19، العدد الأول، 2011م : 12.

[3] ينظر: مفاتيح الغيب 134/29.

[4] ينظر: البنية النفسية الاجتماعية في الخطاب القرآني العام: 12.

الأولى، أما الحقيقة الثانية فهي بيان المصدرية الثانية (من نفس واحدة) وهذا إعلام نفسي للإنسان بكيفية خلقه لأول مرة، بخلق ادم (عليه السلام)، وزوجه حواء، ممّا يوحي للمستمعين أنَّهم عند الله سواسية، وهم الخلق والمصدر سواء. فهذه النفس هي أصلكم جميعاً، وأنتم امتداد لها، فأصلكم هو الإنسان، وبهذا أرسى حقائق فطرية، وأبطل النظريات الّتي لم تحترم هذا التفرد بالإنسانية للإنسان (كنظرية دارون) وغيرها[1].

وإنَّ لهذا الخطاب أثراً نفسياً كبيراً على كل شخص يسمعه؛ لأنه على الجانب السيكولوجي يدعم الذات البشرية بمطلقها؛ لأنه يرسى قاعدة المساواة في المصدرية فهو الذي خلقهم جميعاً، وهو الذي منحهم المساواة في البشرية، وأن آدم هو بدايتهم جميعاً، ولا فرق لأحد على احد مهما كان، وفي قولهِ: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النِساء: 1] فهي تبين كيفية الخلق الذي أوجد الحياة وهي عملية التزاوج التي تحقق النسل فلولا هذا التزاوج لما استمرت الحياة، ولما بث من هذا التزاوج مصنع الحياة المستمر (الرجل والمرأة)، وهذا تقرير اجتماعي نفسي بأن الرجل والمرأة لا فرق بينهما على أساس بيولوجي، فهم مخلوقون وفقا لمقتضيات الحال لا تقوم الحياة ولا تستمر إلا بذلك، وفي هذا إرساء لقاعدة اجتماعية أُسرية، تقوم على الزوجية التي عبرها يتم تكاثر الناس، وتوحي بأن هذه البشرية التي صدرت من إرادة واحدة تتصل برحم واحد، وتلتقي في وشيجة واحدة، وتنبثق من أصل واحد، وتنتسب لنسب واحد، وهذه الحقيقة ترد الناس إلى رب واحد، وخالق واحد، كما تردهم إلى أصل واحد، وتجعل الانسانية هي النفس، ووحدة المجتمع هي الاسرة لتقيم على هذا الاصل الكبير كل تكاليف التكافل والتراحم في الاسرة ثمَّ في الانسانية الواحدة[2].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 13.

[2] ينظر: البنية النفسية الاجتماعية في الخطاب القرآني العام: 14.

1. ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 15].

يخاطب الله سبحانه النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يخبر الناس الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين، إن الله ينبئكم بخير من ذلك وأفضل، إذ أعد الله للذين اتقوا جنات تجري من تحتها الأنهار، (وأزواج مطهرة) هذه الآية خاصة بنِّساء الجنة ووصفهن بالطهر؛ لأنهن طهرن من كل أذى يكون بنِّساء أهل الدنيا[1].

وقد جاء في لسان العرب أنَّ الطهر: هو نقيض الحيض، ونقيض النجاسة، والجمع أطهار، وقد طهر يطهر، وطهر طهراً، وطهارةً، وقد طهرت المرأة وطهُرت وطهِرت بمعنى اغتسلت من الحيض وغيره، وطهرت المرأة، وهي طاهر: أي انقطع عنها الدم، ورات الطهر، فإذا اغتسلت قيل: تطهرت، واطهرت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ بمعنى مطهرات من الحيض والبول والغائط[2].

وإنَّ كلمة(الأزواج) الواردة في هذه الآية جاءت معطوفة على جنات، وهو جمع زوج وهي امرأة الإنسان، وقد يقال لها زوجة، ولكنه لم يأت في القرآن، وصفة هذه الازواج مطهرات من المعهود في الدنيا من الاقذار والريب[3].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الازواج المطهرة بعد ذكر الذين يتقون ربهم إذ يذكر نعمته عليهم بأن يرزقهم جنات ويرزقهم أزواج مطهرة؛ وذلك لأن النعمة وإن

---

[1] ينظر: جامع البيان 228/2.

[2] ينظر: لسان العرب (طهر) 504/4 _505.

[3] ينظر: المحرر الوجيز 1/ 411.

عظمت فلن تتكامل إلا بالأزواج اللواتي لا يكون الانس إلا بهن، وهن مطهرات من الاخلاق الذميمة ومن سوء العشرة[1].

2. ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14].

جاء الله سبحانه وتعالى بذكر الزينة وذكر ما يزين الناس، إذ ابتدأ قوله بذكر النِّساء لتشوق النفوس، ومحبة الناس إلى ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عد، ويقال: إن المراد بذكر التزين هنا هو لتوبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها على اتباع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد علمهم بصدقه[2].

هناك من يرى أن التزين من الله سبحانه وتعالى فيقولون أنه على وجهين: الأول: قد يكون على جهة الامتحان للمؤمنين مع العصمة، والثاني: قد يكون التزيين للكفار على جهة العقوبة مع الخذلان[3]. ويبين صاحب تفسير الميزان القول في ذلك فيرى أن المراد من فاعل التزيين المبهم في قولهِ تعالى: (زين للناس) ليس الله سبحانه وتعالى، مع أنَّ نسبة الافعال له فكان الاليق بأدب القرآن أن ينسب إلى غيره كالشيطان أو النفس[4].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 216/7.

[2] ينظر: جامع البيان 225/2.

[3] ينظر: تفسير السمرقندي: بحر العلوم 198/1.

[4] ينظر: الميزان في تفسير القرآن 97/3، 98.

ذهبت الدكتورة خديجة صبار الى أنَّ كلمة (الناس) في الآية تعني جنس الرجال؛ ذلك بأن ما يستهوي الرجال ويسلب عقولهم: النِّساء والبنون والذهب وما ذكرت الآية المباركة[1]. وإن (ال) التعريف الملحقة بـ(الناس) هي (ال) الجنسية وهي التي تدخل على النكرة لتفيد معنى الجنس المحض وشمول افراده كافة، وبذلك يكون المقصود بالناس كافة، وإن نزلت الآية في هؤلاء المذكورين، ولو كان هؤلاء هم المقصودون فحسب، لما بذل المفسرون الجهد الكبير لتفسير دلالة زين للناس حب الشهوات من النساء، وقد ذهب الدكتور محمد شحرور إلى أنَّ الناس المقصودين في الآية تعني البشر كلهم بغض النظر عن الجنس أو الدين أو المعتقد، لأنَّ النص القرآني يصف حالة عامة في البشر وليست خاصة[2]، " والناس هم الذكور والاناث من العاقل"[3]، بدليل قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات:13]. وأما (ال) التعريف الملحقة بلفظ (النِّساء) فكذلك تفيد الجنس، وقد ورد في التفسير بأن (من) في قوله: (من النِّساء) لبيان الجنس[4].

وإنَّ الآية بدأت بالنِّساء، لأنهن أشد من فتنة جميع الأشياء، وإن فيهن فتنتين، إحداهما أنها تؤدي إلى قطيعة الرحم، لإنَّ المرأة تأمر زوجها بقطيعة الرحم من الامّهات والأخوات، والثانية يُبتلى الزوج بجمع المال من الحلال والحرام، وإنهن حبائل الشيطان وإن عشقهن لشديد مهلك لا يتفق إلا في هذا النوع من الشهوة[5].

---

[1] ينظر: المرأة بين الميثولوجيا والحداثة: خديجة صبار: 57.

[2] ينظر: الكتاب والقرآن: محمد شحرور: 638.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 639.

[4] ينظر: سواطع الالهام في تفسير كلام الملك العلام: ابو الفيض بن مبارك 1/ 180.

[5] ينظر: الجامع لأحكام القران: القرطبي 29/4.

الفَصل الثّاني

دَلالَة الخِطاب النِّسوي
في القرآن الكريم

الدّلالة لغة واصطلاحاً:

الدّلالة لغة:

ذهب ابن فارس (ت 395هـ) إلى أَنَّ: ((الدَّالُ وَاللَّامُ أَصلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ، فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُم: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ، وَالْأَصلُ الآخَرُ قَولُهُمْ: تَدَلْدَلَ الشَّيْءُ، إِذَا اضْطَرَبَ))[1].

ويُقال: ((أَدَلَّ عليه، وتَدَلَّلَ: انْبَسَطَ، ودَلُّ المَرأةِ ودَلالُها؛ أي تَدَلُّلُها على زَوجِها، وذلك أن تُرِيه جُرأةً عليهِ في تَغنُّجٍ وتَشكُّل، كأنَّما تُخَالِفه وليسَ بِها خِلافٌ))[2].

وفي لسان العرب أنَّ الدَّلالة من قولهم: ((دَلَّهُ عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّه دَلًّا ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إِليه، والدَّلِيل: مَا يُستَدَلُّ بِهِ، والدَّلِيل: الدَّالُّ، دَلَّه عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، وَالْفَتْحُ أَعلى))[3].

وممّا سبق نجد أن المعنى اللُغوي للدلالة جاء بمعنى الهداية والإرشاد والإبانة.

الدَّلالة اصطلاحاً:

ذكر الآمدي (ت 631هـ) المعنى الاصطلاحي للدلالة فقال: ((... ما يتركّب من المقاطع الصوتية الّتي خُصَّ بها نوعُ الإنسانِ دون سائر أنواع الحيوان عنايةً مِنَ

---

[1] مقاييس اللغة (دلّ) 259/2، 260.

[2] المحكم والمحيط الأعظم (دلل) 269/9، 270.

[3] لسان العرب (دلل) 248/11، 249.

الله تعالى بهِ ومن اختلافِ تركيباتِ المقاطع الصَّوتية حَدثتِ الدَّلائِلُ الكلاميَّة والعِبارات اللُغوية))[1].

وذهب الجرجاني (ت 816هـ) إلى أنَّ الدّلالة هي: ((كون الشَّيءِ بحالةٍ يَلزم من العلم بهِ العِلم بشيءٍ آخر، والشَّيءُ الأوّل هو الدَّالُّ والثَّاني هو المَدلول))[2].

وكان للمحدثين أثرٌ في بيانِ المعنى الاصطلاحي للدَّلالةِ فقد عرَّفها الدكتور أحمد مختار عمر بأنَّها العِلمُ الَّذي يدرس المعنى، أو أنَّها فرع من فروع علم اللغة يتناول نظريّة المعنى[3]، فهو يدرس العلاقة بين الكلمة والمعنى سواءٌ على مستوى الكلمة أم التركيب، ويدرس تبدّل المعنى وأسبابه، وحياة الكلمة في نشأتها حتى موتها، كما يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادراً على حملِ المعنى[4]، فإنَّ موضوعه الأساس هو المعنى ((ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة للغة حتى قال بعضهم أنَّه بدون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة، ويمثل علم الدَّلالة قمّة الدراسات اللغوية جميعاً؛ لأنَّه حصيلتها أو الغاية الّتي من أجلها وضعت واستخدمت اللغة، فخلاصة علم الصوت، والصرف، والنحو تصب في وعاء هو علم الدَّلالة))[5]، وقيل: ((بأنَّها المعاني الّتي توحي بها إيماءات الألفاظ في كُلٍّ من الجُملِ والتّراكيب))[6].

نستنتج ممّا سبق ذكره أنَّ الدّلالة هي علمٌ يختص بدراسة المعنى ليس على مستوى الكلمة أو الجملة فحسب بل على مستوى التّركيب بأكملهِ.

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي 30/1.

(2) التعريفات: 104.

(3) ينظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: 11.

(4) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: عواطف كنوش: 34.

(5) البحث الدلالي عند الأصوليين: خالد عبود حمودي وزينة جليل عبد: 26.

(6) الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: نافع علوان بهلول (أطروحة دكتوراه): 8.

ومن أبرز الدّلالات الّتي ظهرت في الخِطابِ النِّسوي الآتي:

1_ الدّلالَة الإيحائية:

الإيحاء لغة: ((هو أصلٌ يدلُّ على إلقاء علمٍ في خفاء إلى غيرك، فهو الإشارة والإلهام، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحيٌ))[1].

وأمّا الدَّلالة الإيحائية اصطلاحاً فيرادُ بها: مجموعة المعاني الّتي تنتجها اللَّفظة الواحدة داخل السِّياق، فيكون أحد هذهِ المعاني هو المعنى المركزي أو الرئيس للَّفظة، وتكون المعاني الأُخَرُ كالظِّلالِ له، إذ نجد أنَّ للألفاظ دلالاتٍ واسعةً يكون الإفصاح عن بعضها دون غيرها من طريق السِّياق، بل قد يُرشِّحُ السِّياق للَّفظة دلالةً تغايرُ دلالاتِها المعجمية كلَّها[2].

وإنَّ دراسة الدّلالة الإيحائية والكشف عنها لا تقوم على التجزئة الإفرادية لبعض المفردات، بل تقوم على لمح المفردات واستكناه ظلالها في داخل تركيبها وسياقها، وجوَها العام المحيط بها، فليس الأساس في إدراكِ هذا الإيحاءِ ولمحهِ خاصية ملازمة للكلماتِ والصيغ، تلك الخاصية الثابتة، بل إنَّ اللُّغة تفاعل وتبادل في الأثر، وتكامل بالمعنى الدقيق، ولا يمكن أن يختصر هذا التفاعل في سمة أو خاصية مفردة؛ أي لا يمكن أن تدرس هذهِ الدّلالة إلا في نطاق السِّياق الذي يحيط بالمفردات[3].

---

[1] مقاييس اللغة (وحى) 93/6.

[2] ينظر: التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني: جنان منصور كاظم الجبوري (أطروحة دكتوراه): 123.

[3] ينظر: الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم: كاصد ياسر الزيدي (بحث منشور): 13، 14.

وبعض الناس حين يبحثون عن كلمة ما فإنَّهم يرجعون إلى المعجمات العربية لإيجادِ معناها، فإن كان هذا كافياً لبعض الكلمات فهو غير كافٍ بالنسبة لكثيرٍ غيرها، إذ لابُدَّ من الأخذ بنظر الاعتبار دراسة المفردة في داخل سياقها النَّصي، ومعرفة ما تُعطيهِ من دلالات؛ لأنَّ المفردة ليست منعزلة عن محيطها النَّصي، ولهذا فرّق العلماء بين المعاني فكان هناك معنى أساسي أو مركزي أو إدراكي ويراد بهِ هو ما أدركه أفراد المجتمع لتلك المفردة عن طريق كثرة استعمال المفردة وشيوعها بين أوساطهم حتى أصبحت ضمن مدركاتهم، وقد يُسمَّى هذا النوع من المعنى بالمعنى (التصوري) أو(المفهومي)، ويعدُّ العامل الرئيس للاتصال اللغوي وهو الوسيلة لنقل الأفكار، وأمّا المعنى الآخر فهو المعنى الإيحائي وهو ما يذهب بالمتلقي إلى تخيّل أكثر من صورة للمفردة الواحدة، ويسمّى أيضاً بالمعنى الإضافي أو العرضي أو الثّانوي أو التّضمني، وهو المعنى الذي يعبر عنه اللّفظ عن طريق ما يشير إليهِ إلى جانب معناه التَّصوري الخالص، ((وهذا النوع من المعنى زائدٌ على المعنى الأساسي، وليس له صفة الثبوت والشمول، وإنّما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة))[1].

وجاءت الدّلالة الإيحائية في الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم على نمطين هما:

أ _ إيحاء المفردة:

بالرجوعِ إلى ما سبق ذكره من أنَّ لكُلِّ لفظة دلالتين هما إدراكية وهي ما يدركه أفراد المجتمع من صورة لمعنى اللّفظة الّتي يطلقها الباث إذ تكون راسخة في عقولهم، وإيحائية وهي الدّلالة الّتي تتعلق بكلمات لها القدرة على أن توحي بدلالات

[1] علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: 36، 37.

أخرى، وسيقتصر البحث على ذكرِ بعض المفردات الّتي وردت في آيات الخِطاب النِّسوي الّتي تحمل دلالة إدراكية وإيحائية على النحو الآتي:

1_ دلالة (ربطنا)

وردت في الخِطاب النِّسوي مرة واحدة، وذلك في شأن أم موسى، في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:10].

فالمعنى الإدراكي للفظة (الربط) هو الشَّد بالحبل ونحوه[1]، فيقال: ربطته ربطاً، أي شددته، والرِّباطُ ما يُربطُ بهِ القِربة وغيرها[2] .

أمّا المعنى الإيحائي لهذهِ اللفظة في الآية فيُراد بهِ التَّثبيت، وممّا أُكّد هذا المعنى هو إضافتهِ إلى القلب، فإنَّ هذه الإضافة قد أعطت للمفردة بُعداً إيحائياً وهو الثبات والاستقرار الناشئان من سكينة الروح واطمئنانها. ومن قبل ربط الله على قلوب أحبائه وأوليائهِ أمّ موسى فقد ربط الله على قلبها لتثبيتهِ وتقويتهِ وطرد عوامل اليأس والوهن عنهُ، فقد لاحقها الطلب في ابنها الوليد من ملك ظالم، يُذبح الأبناء في غشم وطغيان ودون رحمة ولا شفقة، فيوحي الله إليها: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: 39]، فتفعل وتترك فلذة كبدها وثمرة فؤادها، وهو في أمس الحاجة إلى رعايتها، وهي أشد ما تكون شوقاً إلى التمتع بطلعتهِ، والنظر إلى محياه، فكأن عواطف الأمومة كلها قد تجمعت في فؤاد أم موسى حينذاك، وهي ترى الخطر المحدق بأعز إنسان لديها على ظهر الأرض، بل بمن هو أعز على نفسها من

---

[1] ينظر: لسان العرب (ربط) 302/7.

[2] ينظر: المصباح المنير (ربط) 215/1.

نفسها، فكان الخطر يلاحقها من الملك الظالم ومن البحر الهائج، فأي قلب بشري يتحمل هذا أو يطيق عليه صبرا ؟! ولذلك يصف الله هذا الفؤاد بفراغهِ، فما أعظم هذا الربط، إذ أفادت أم موسى من ربط الله على قلبها تلك الشجاعة العملية والثبات في الموقف، وينبغي أن يفهم الناس أنَّ هذا الربط على القلوب من خالق القلوب ومقلب القلوب ليس في ناحية الإيمان والدين فحسب، بل قد يربط الله على قلب إنسان، أو على قلب قوم للقيام بعمل عظيم يريد أن يتممه[1]. فقد صوّرت الدّلالة الإيحائية هذا المعنى العاطفي عن طريق لفظة (الربط) الّتي توحي بشدة التَّثبيت.

ب _ الإيحاء الصوتي:

إنَّ للتلوين الصوتي في صيغة اللفظة المفردة أهمية بالغة، فهو المُحدد لتقسيمات تركيبها الصوتي[2]، إذ إنَّ صفات الحروف في نفس المتلقي هي الّتي تُنتج دلالة إيحائية، ونلاحظ أنَّ الكلمات الّتي تحمل صفات حروف معينة ومقتبسة بحكمة وعناية يكون إيحاؤها الصوتي منسجماً مع بقية الكلمات في النصّ وذلك؛ لأنَّ الانسجام بين موسيقى اللّفظ ومعناه هو ما يبرز جمالية التَّعبير عن طريق ما يتركه الإيقاع من إيحاءٍ نفسي مستفاد من شدَّةِ الصوت وضعفه[3]، وبذلك يتمّ إنتاج الدّلالة الإيحائية من مجموع تلك الحروف الموجودة في اللّفظة الواحدة.

وآيات الخِطاب النِّسوي كبقية آيات القرآن الكريم لها إيحاؤها الصوتي الخاص بها، وستقف الباحثة على دراسة دلالة أصوات ألفاظ معينة من هذهِ الآيات والّتي بدورها تمثل بؤرة الدّلالة الإيحائية الصوتية وعلى النحو الآتي:

---

[1] ينظر: القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف: محمد محمّد المدني: 71،74،75،76.

[2] ينظر: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: د. صفية مطهري: 9.

[3] ينظر: التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني: 98.

1_ دلالة (صرَّة)

هذه اللفظة ذات دلالة إيحائية صوتية وقد وردت مرة واحدة في الخِطاب النِّسوي وذلك في شأن زوجة إبراهيم (عليه السلام)، في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذّاريات: 29].

فمعنى (صرَّة) في الأصل اللغوي يُراد بها الصَّيْحَةُ[1]، والضَجّة[2]، وإنَّ هذهِ اللفظة تحمل إيحاءً صوتياً، فمن يُلاحظ صوت (الصاد) يجد أنّهُ من أصوات الصفير، إذ إنَّ مجرى هذا الصوت يضيق جداً عند مخرجهِ، فيحدث عند النطق بهِ صفيراً عالياً، وهو صوت رخو مهموس فعند النطق بهِ يكون اللسان مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى، وعلى هذا فهو يُعد من أصوات الإطباق أيضاً، ثُمَّ يأتي بعد ذلك صوت (الراء) المكرر، وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة وهو صوت مجهور[3]، فمن يرى هذين الصوتين (الصاد والراء) يُلاحظ أنهما قد أعطيا إيحاءً صوتياً وهو الاندهاش والتعجب، إذ إنَّ الصاد المطبقة والرَّاء المكررة قد صورتا المشهد وما كانت عليهِ زوجة إبراهيم (عليه السلام) من حالة الانقباض والشد النفسي، وحالة من التضاؤل[4]، فقد ضَعُفت أمام هذهِ المعجزة الإلهية العجيبة، وأُصيبت بالخوفِ والخجل والتعجب في الوقتِ نفسه.

2_ دلالة (تخضعنَّ):

---

[1] ينظر: مختار الصحاح (صرر) / 175.

[2] ينظر: لسان العرب (صرر) 450/4.

[3] ينظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس: 66، 74، 76.

[4] ينظر: الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم: محمد جعفر (رسالة ماجستير): 179.

وهي من الدلالات الإيحائية التي وردت في الخِطاب النِّسوي مرة واحدة في شأن نساء النبي، وذلك في قولهِ تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: 32].

فـ (الخضوع): هو الذُّلُّ والتطامن[1]، ويُرادُ بهِ أيضاً لين القول[2]، والخضوع: الخشوع[3]، أمّا من جهة الإيحاء الصوتي لهذهِ المفردة فنجد أنَّ صوت (الخاء) هو صوت مهموس رخو ومخرجهُ واحد، فعند النطق بهِ يندفع الهواء مارّاً بالحنجرة فلا يُحرك الوترين الصوتيين، ثُمَّ يتخذ مجراهُ في الحلق حتى يصل إلى أدناه في الفم[4]، ثُمَّ يشرق بعد ذلك صوت (الضاد) وهو صوت مجهور مطبق، وهو من الحروف المستعلية[5]، ثُمَّ يُطالعنا صوت (العين) وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، فهو صوت مجهور ومخرجهُ وسط الحلق، فعند النطق بهِ يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحدث تذبذباً في الأوتار الصوتية[6]، ويُعد هذا الصوت عند المحدثين من أصوات الرنين وفقاً لنظرية الرنين، وذلك لوضوحهِ في السمع[7]، فهذهِ الكلمة أعطت إيحاءً صوتياً توحي إلى اللين والرقة في الكلام، وممّا زاد هذا اللفظ ليناً هو وجود صوت (الخاء) الذي يدل على الميل والرقة، ولا يتذبذب الوترين الصوتيين عند

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة (خضع) 189/2.

(2) ينظر: معاني القرآن: الفراء 342/2.

(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن: 151.

(4) ينظر: الأصوات اللغوية: 88.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 61.

(6) ينظر: نفسه 88، وينظر: علم الأصوات: كمال بشر: 304.

(7) ينظر: التحليل الفيزيائي لصفات أصوات العربية دراسة مخبرية: خضير ديلمي (أطروحة دكتوراه): 110.

النطق بهِ، فاصوات (الخاء، والضاد، والعين) أعطت لفظة (الخضوع) صورة من الرقة واللين، إذ لو استُعملَ لفظ غيرها لما دلَّ على المعنى نفسه الموجود في لفظة الخضوع، فقد نُهينَ نساء النبي عن الخضوع واللين بالقول للرجال فيما يبتغيهِ أهل الفاحشةِ منهنَّ[1]، ونهينَ أيضاً عن الرقة في الكلام[2].

2_ الدّلالة المعجمية:

هي دلالة الكلمة الّتي استُخدمت في المجتمع مفردةً كانت أو في تركيبٍ، وسواءٌ أكان المعنى حقيقياً في أصل الوضع، أو مجازياً منقولاً عن معنى حقيقي، فالمعجمات اللُغويَّة تبحث عن معنى الكلمة وتوردها بذكر معناها أو بمرادفها أو بما يُضادّها أو بما يُفسِّرها، وقد تُقدّم هذه المعجمات معلومات عن هذهِ الكلمة، كأصل الوضع وتطوّرها التاريخي ومشتقاتها، وقد تذكر بعض السياقات اللُغويَّة الّتي توضّح دلالَتها، وقد تكون موجزةً فتكتفي بذكر المعنى دون شواهد توضِّحه، وقد تُفسِّر المعنى بنقيضهِ أو تبيّن عِلّة تسميتهِ بهذا الاسم[3].

إنَّ دلالة الكلمات نبحث عنها في المعجمات اللُغويَّة؛ لأنَّها كفيلةٌ بِسردِ معاني الألفاظ العربية والمولدة والمصنوعة والدخيلة[4].

والدّلالة المعجمية تُمثّل وحدة المعنى وثبوت العلاقة بين الكلمة (الدَّال) والمُسمَّى بها (المَدلُول)، فكل لفظ يُقابله معنى مركزي، أو مُسمَّى ثابت في المحيط الخارجي، فلِكُلِّ كلمة مدلول موجود في حياتنا تُشير إليهِ هذهِ الكلمة وتُعيّنه، وبها تَتِم

---

(1) ينظر: جامع البيان 257/20، النكت والعيون 398/4، معالم التنزيل 635/3.

(2) ينظر: النكت والعيون 398/4، معالم التنزيل 635/3.

(3) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية: الدكتور محمود عكاشة: 157.

(4) ينظر: فصول في علم اللغة العام: 221.

عمليَّة التَّواصل اللُغوي بين النَّاس في حدودها وإمكاناتها، وأغراضها الدنيا، وقد قال بهذهِ الدّلالة علماؤنا القدماء منذ بداية البحث اللُغوي عندهم، وبنوا معظم معاجمهم على أساسِها ثُمَّ بعد ذلك صارت هذه الدّلالة نظرية خاصة من نظريات المعنى لدى المحدثين وأطلقوا عليها نظرية (مساواة معنى الكلمة بمدلولها)[1].

وأشار الدكتور منقور عبد الجليل إلى ((أنَّ الصورة المعجمية لأي لفظ في اللُغة العربية تُمثّل المرجعية الأُولى لهذا اللَّفظ في القاموس الخِطابي بالنظر إلى دلالتهِ الأُولى))[2]، ونرى أَنَّ اللُغويّين يَصِفون المعنى المعجمي بأنَّه متعدد؛ وذلك لأنَّ معظم الكلمات من جهة مفهومها المعجمي دالة على أكثر من معنى واحد[3].

والدّلالة المعجمية ليس الغرض منها هو تعيين دلالة الكلمة المفردة فقط، بل يدخل فيها كُل التَّراكيب الّتي تُشكّل وحدة دلالية متماسكة لا تتجزأ، فالمعجم يبحث معنى الكلمة المفردة، والتّركيب الاصطلاحي والمثل والقوالب اللّفظية الّتي تُشكّل وحدة معنوية، ويبحث كذلك في المعاني السِّياقية، ويذكر شواهد توضّح المعنى السياقي، ويبحث كذلك عن المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ويورد للمعنى المجازي شواهد توضِّحه، وقد توسّع مجال الدّراسات المعجمية حديثاً، فصار يشمل فروع المعرفة الإنسانية كافة، وأدخل فيهِ تقنيات العصر، واستعان بالصور والأشكال الّتي توضّح مراد اللَّفظ وتكشف غموض دلالتهِ، وتُقرّب مفهومه للأذهان[4].

وقد أطلق الدكتور إبراهيم أنيس على الدّلالة المعجمية اسم الدّلالة الاجتماعيّة، فقال: ((كُلّ كلمة من كلمات اللُغة لها دلالة معجمية أو اجتماعيّة، تستقل عمّا يمكن

---

(1) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: هادي نهر: 216،217.

(2) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل: 25.

(3) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: الدكتور علي زوين: 185.

(4) ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة: 157.

أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدّلالة الأساسية الّتي يطلق عليها الدّلالة الاجتماعيّة))[1].

وستذكر الباحثة أمثلة من الدّلالة المعجمية الواردة في الخِطابِ النِّسوي، وعلى النحو الآتي:

1_ دلالةُ (بَغيّاً):

وهي من الدّلالات المعجمية الّتي وردت في الخِطاب النِّسوي مرتين بصيغة المبالغة، في قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، وقولهِ تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28].

فقد جاء في جمهرة اللُّغة: ((الْبَغِي: الْفساد، يُقَال: بَغت الْمَرْأَة وَهِي تَبْغِي بِغاء إِذا فَجُرت، وَامْرَأَة بَغِي أَي فَاسِدَة ... والبِغاء مَمْدُود: الزِّنَا، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: 33]))[2].

والبَغي: هو طَلَبُ تَجاوزِ المقصود فِيمَا يُتَحرَّى، فتارَةً يكون في القَدرِ الذي هو الكَمّيّةُ، وتارَةً يكون في الوصْفِ الذي هو الكَيفيّةُ، فيُقالُ: بَغَيْتُ الشَّيءَ: إذا طَلبتُ أكثَرَ ما يجب، وابْتَغَيْتُ كذلك، وهو على ضربين: أوّلهما محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التَّطوّع، وثانيهما مذموم، وهو تجاوز الحق إلى الباطل، وبَغَتِ المرأة بِغَاءً: إذا فَجُرت، فالبَغي والبِغاء تَدُلّانِ على الزِّنا، والمعنى الجامِعُ هو

---

[1] دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس: 48.

[2] جمهرة اللّغة (بغي) 1/370،371.

تجاوزها إلى ما ليس لها، ففجورها تجاوزٌ، وهذا معنى جامِعٌ، ومِنهُ: بَغتِ السَّماءُ إذا تجاوزت في المطرِ حدّ المُحتاج إليهِ[1]، ومِنهُ: بَغَتِ الأَمَةُ تَبْغِي بَغْياً، وبَاغَتْ مُبَاغَاةً، وبِغَاء، بِالكَسرِ وَالْمَدِّ، وَهِيَ بَغِيٌّ وبَغُوٌّ؛ أي عَهَرَتْ وزَنَتْ، وَقِيلَ: البَغِيُّ الأَمَةُ، فَاجِرَةً كَانَتْ أَو غَيْرَ فَاجِرَة، وَالبَغِيُّ أَيضاً الْفَاجِرَةُ، حُرَّةً كَانَتْ أَو أَمَةً، ومنه قولهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، أَي مَا كَانَتْ فَاجِرَةً، فقد استخدم البغي للحرّة وذلك لأنَّ أُم مريم حرَّة لَا مَحَالَة، وَلِذَلِكَ عمَّ ثعلبٌ بالبِغَاء فَقَالَ: بَغَتِ المرأَةُ، فَلَم يَخُصَّ أَمَةً وَلَا حُرَّةً، وَقيل: البَغَايا الإِماءُ؛ لأَنهنَّ كُنَّ يَفجُرْنَ[2].

ولا تَخرج آراء المُفَسِّرينَ في بيانِ دلالة الكلمة عمَّا سبقت الإشارة إليهِ في مُعجمات اللُّغة، فقد ذكروا أَنَّ معنى بغيّاً هو المُجاهرة المُشتهرة في الزِّنا، والبَغي: الفاجرة الّتي تبغي الرِّجال، ففي قولها: (ولم يَمسسني بشرٌ) فقد جَعَلتْ المسّ عبارة عن النِّكاح الحلال؛ لأنَّه كناية عنه، كقولهِ تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: 237]، أو﴿لامَسْتُمُ النِّساءَ﴾ [الأحزاب: 49]، والزِّنا ليس كذلك، إنّما يُقال فيهِ: فَجَرَ بِها، وخَبُثَ بِها وما أشبه ذلِك، وليس بِقُمنٍ أن تراعى فيهِ الكنايات والآداب، وفي قولها: (ولم أكُ بَغيّا) هو تخصيصٌ بعد تعميم؛ لأنَّ مسيسَ البشرِ إمّا أنْ يكونَ بنكاحٍ أو بِسفاحٍ[3].

2_ دَلالة (طَهَّرَكِ):

---

[1] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 136،137.

[2] ينظر: لسان العرب (بغي) 77/14.

[3] ينظر: الكشاف 10/3، البحر المحيط 249/7.

وردت في الخِطاب النّسوي مرة واحدة في شأن مريم (عليها السلام)، وذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

فالطّهر ضد الدَّنَس، وقد طَهر فهو طاهر، فيه دلالة النقاء، فقد جاء في مقاييس اللغة: ((الطَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى نَقَاءٍ وَزَوالِ دَنَسٍ، وَمِنْ ذَلكَ الطُّهْرُ، خِلَافُ الدَّنَسِ، وَالتَّطَهُّرُ: التَّنَزُّهُ عَنِ الذَّمِّ وَكُلِّ قَبِيحٍ، وَفُلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ، إِذَا لَمْ يُدَنَّسْ))[1].

وجاءَ عن ابن منظور: الطّهرُ نَقِيضُ الحَيْضِ، والطُّهْرُ: نَقِيضُ النَّجَاسَةِ، وَالْجَمْعُ أَطْهارٌ، وَقَدْ طَهَرَ يَطهُرُ، وطَهُرَ طُهْراً وطَهارةً، وطَهَّرْتُهُ أَنا تَطْهِيرًا وتطَهَّرْت بِالماءِ، وَرَجُلٌ طاهِرٌ، والمرأَةُ طاهِرٌ مِنَ الحَيْضِ، وطاهِرةٌ مِنَ النَّجَاسَةِ وَمِنَ العُيوبِ، وَقَد طَهَرَتِ المَرأَةُ وَطَهُرَت وَطَهِرَت، اغْتَسَلَتْ مِنَ الْحَيْضِ وَغيرِه، وطَهُرتِ المَرأَةُ، وَهِيَ طاهِرٌ: انْقَطَعَ عَنْهَا الدّمُ، وَرَأَتِ الطُّهْرَ، فإذا اغْتَسَلَتْ قِيلَ: تَطَهَّرَت واطَّهَّرت[2].

فبعد أَن بينَّا معنى الكلمة مُعجمياً، فلابُدَّ من عرض أقوال المُفسِّرين وتأويلهم لمعنى هذه الكلمة في سياق الآية:

_ ذَهبَ الطّبَريُّ إلى أنَّ معنى (وَطهّرَكِ): أي طَهَّرَ دينَكِ ونقاه مِنَ الرَّيب والأدناسِ الّتي كانت موجودة في أديانِ نساءِ بني آدم[3].

_ وذَكرَ الماوردِيُّ أنَّ (طَهَّرَكِ) تَحمِل معنيين هما: ((الأوّل: طَهَّرَكِ مِن الكُفرِ، والثَّاني: طَهَّرَكِ مِن أدناسِ الحيضِ والنِّفاس))[1].

---

[1] مقاييس اللّغة (طهر) 428/3.

[2] ينظر: لسان العرب (طهر) 504/4، 505.

[3] ينظر: جامع البيان 393/6.

_ أَمّا الزَّمَخشَرِيُّ فَيرى أَنَّها جَاءت عَلى معنى طَهَّرَكِ مِمّا يُستقذَرُ مِن الأفعالِ، ومِمّا أتهمكِ بهِ اليهود[2].

_ في حينِ ذَهبَ الطَّبَرسيُّ إلى أَنَّ معنى (طَهَّرَكِ) أي بالإيمان عن الكُفرِ، وبالطّاعةِ عن المَعصيةِ، وَطَهَّرَكِ منَ الأدناسِ والأقذارِ الّتي تَعرِضُ للنِّساءِ منَ الحيضِ والنِّفاسِ، حتّى صِرتِ صالحةً لخدمةِ المسجدِ، أو طَهَّرَكِ منَ الأخلاقِ الذّميمةِ والطّبائعِ الرّديئة[3]، والطَّبرسيُّ في قولهِ هذا نَجده قد جمع كُلّ أقوال المُفسِّرين سابقة الذكر.

3_ دَلالَة (قَطَّعنَ):

وردت (قَطَّعنَ) في الخِطاب النِّسوي مرة واحدة في شأنِ نسوة المدينة، وذلك في قوله تعالى: ﴿...فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31].

فالقطع مِن قطع الشَّيءِ، يُقال: ((قَطَعتُ الشّيء قَطعاً، وقَطَعتُ النَّهرَ قطعاً: عَبَرته، وقَطَعَتِ الطّيرُ قُطوعاً وقِطاعاً: خَرجَت مِن بلادِ البردِ إلى بلادِ الحرِ، وقَطَعَ رَحِمَهُ قَطيعَةً، فهو رجل قطع وقطعة))[4].

وقال ابن فارس: ((الْقَافُ وَالطَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى صَرمٍ وَإِبَانَةِ شَيءٍ من شَيء، يُقَالُ: قَطَعتُ الشَّيءَ أَقْطَعُهُ قَطْعًا، وَالْقَطِيعَةُ: الهِجرَانُ))[1].

---

[1] النكت والعيون 392/1.

[2] ينظر: الكشاف 362/1.

[3] ينظر: مجمع البيان 225/2.

[4] الصحاح (قطع) 1266/3.

ويأتي القَطْعُ بمعنى إبانة بَعضِ أَجزاء الجِرْمِ مِنْ بعضٍ، نقولُ: قَطَعَهُ يَقطَعُهُ قَطْعاً وَقَطِيعَةً وَقُطوعاً، وَالقطْعُ مَصدَرُ قَطَعتُ الحبلَ قَطْعاً فانْقَطَعَ، والمِقْطَعُ بِالْكَسرِ مَا يُقْطَعُ بِهِ الشَّيْءُ، وَتقَطَّعَ: شُدِّدَ للكثرةِ، وَانقَطَع الكَلامُ: وَقَفَ فَلَم يَمضِ، وَقَطَعَ لِسانَهُ: أسكَتَهُ بِإحسانِهِ إِليهِ، وانقَطَعَ لِسانُهُ: ذَهَبَت سَلاطَتُهُ[2].

والقَطعُ إمَّا أن يكون مادّيّاً أو مَعنويّاً، فقد يكون ماديّاً كأن يكون مُدركاً بالبصرِ، كقطع الأعضاءِ، ومنه قولهِ تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ [الأعراف: 124]، وقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]، فكل ما جاء في هذهِ الآيات كانَ مُدركاً بالبصرِ، كقطع الأيدي والأرجل، وقد يكون معنويّاً كأن يكون مُدركاً بالبصيرةِ، كقطعِ الأشياءِ المَعقولةِ، ومِنه قولهِ تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: 22]، فقطعُ الأرحامِ يكونُ بالهجرانِ، ومنع البِرّ، فهو عادة ما يكون مُدركاً بالبصيرةِ والعقل، ومن القطع أيضاً قطعُ الطَّريقِ الذي يُقالُ على وجهينِ: أحدُهُما: يُرادُ بهِ السّيرُ والسُّلوكُ، والثّاني: يُرادُ بهِ الغصبُ من المارَّةِ والسّالكينَ للطّريقِ[3].

أمّا من جهة معناها في سياقِ الآيةِ فَقَد اختلف فِيه المُفسّرون، فهناك من ذهب إلى أَنَّ (قطَّعنَ أيدِيَهُنَّ) بمعنى جَرَحنَها وحززنها، فلم يكن المقصود هنا القطع الذي تَبينُ منهُ اليد، بل هو جرحٌ وخدشٌ وحزٌّ، ومثال ذلك كأن تقول: كُنتُ أقطع اللحم فقطعتُ يدي، فأنت تريد: بِأنَّكَ جرحتها أو خدشتها[4]، ويرى الرازي أنَّ (قطعنَ أيديهنَّ) هنا هو كناية عن دهشتِهِنَّ وحيرتهنَّ، والسببُ في حُسنِ هذهِ الكناية أَنّها لمّا دُهشت فكانت تظنُّ أنها تقطعُ الفاكهة وكانت تقطع يد نفسها أي تجرحها، أو إنّها

---

(1) مقاييس اللّغة (قطع) 101/5.

(2) ينظر: لسان العرب (قطع) 276/8، 279.

(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن: 677، 678.

(4) ينظر: معالم التنزيل 489/2، الكشاف 465/2.

لمّا دُهشت صارت لاتميّز نصابها من حديدها، وكانت تأخذُ الجانب الحاد من ذلك السِّكين بكفها، فكان يَحصلُ الجراحة في كفِّها[1].

وهناك من ذهب إلى أنَّ قطّعنَ هنا يُراد بهِ القطعُ الذي فيهِ إبانةٌ وإزالة وإلقاء، فقد قطّعنَ أيديهن بالسكاكين الّتي معهن حتى ألقينها ولم يَشعرن بذلك[2]، وأرى أنَّ هذا المعنى هو قريب من جهة الأصل المعجمي الذي يراد بهِ قطع الشيء.

3_ الدّلالة السِّياقية:

السِّياق لغة:

قال ابن فارس: ((السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصلٌ وَاحِدٌ، وهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ، يُقَالُ: سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوقًا، وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ))[3].

وفي أساس البلاغة: ((تَساوقت الإبل: تتابَعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقهِ: على سرده))[4].

وممّا جاء في لسان العرب: ((سوق: السَّوق مَعْرُوفٌ، ساقَ الإبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً...، وَقَدِ انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقاً إِذَا تَتَابَعَتْ، وَكَذَلِكَ تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة...، والمُساوَقة: المُتابعة كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا،

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 448/18، 449.

[2] ينظر: جامع البيان 79/16، النكت والعيون 33/3.

[3] مقاييس اللغة (سوق) 117/3.

[4] الزمخشري (سوق) 484/1.

والأَصل فِي تَساوَقُ تتَساوَق كأَنَّها لضعفِها وفَرْطِ هُزالِها تتَخاذَلُ ويتخلَّفُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ))[1].

وممّا سبق ذكره نرى أنَّ المعجمات اللغوية قد اتفقت في إيرادِ معنى السِّياق بأنَّه التتابع والتوالي والاتصال.

الدلالة السياقية: هي الأجزاء الّتي تسبق النص أو تليه مباشرة، ويتحدد عن طريقها المعنى المقصود، وهي بذلك تعني المتابعة أو التتابع ولا تقتصر على المعنى الإفرادي أو المعجمي وبشكل أوضح ظهور معنى واحد بعينهِ دون غيرهِ للكلمة من طريق الجملة أو مجموع الجمل التي وردت فيها دون المترادف أو المشترك للكلمة في النص الواحد[2].

أنواع السياق:

إنَّ الكلمة المفردة لا تنجز مهمتها الدلالية بصورة كاملة إلّا ضمن السياق الذي ترد فيهِ، ولهذا السياق بعدان أساسيان[3].

1_ السياق الداخلي (مقالي) وهو بعد (سياقي لغوي):

هو السياق الذي يحدد القيمة الدلالية لكل كلمة داخل التركيب اللغوي، ((إذ إنَّ الكلمة تُوجِدُ في كل مرة تستعمل فيها جواً يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة دلالية واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات

[1] لسان العرب (سوق) 166/10.

[2] ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: 51.

[3] ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: 263.

الماضية التي تدعُمها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية))[1]، فالكلمات ليست لها معان وإنّما لها استعمالات، ونحن في الواقع ((لا نبحث عن معنى الكلمة المعينة، وإنّما نبحث عن استعمالها))[2].

إنَّ السياق هو الذي يحدّد دلالة الكلمة على وجه الدّقة ومن طريقهِ تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة، وإنَّ البحث عن دلالة الكلمة لابدّ أن يجري من طريق التركيب والسياق الذي ترد فيه هذه الكلمة، إذ ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات ممّا يمنح كلاً منها قيمة تعبيرية جديدة، ويفرض عليها قيماً دلالية إذ يتحدّد كلٌ منها بدلالة مستقرة دون سائر الدلالات الّتي يمكن لهذهِ الكلمة أو تلك أن تحملها أو تؤدّيها[3].

وقد أكدَّ الدلاليون ضرورة البحث في دلالة الكلمة داخل السياق؛ لأنَّ معنى الكلمة هو مجمل السياقات التي يمكن أن تنتمي إليها[4].

وفيما يأتي ستذكر الباحثة دلالة بعض الكلمات المفردة في سياق الخِطاب النِّسوي وعلى النحو الآتي:

1_ دلالة (اذكُرْنَ):

من الدلالات السياقية دلالة (اذكُرنَ) الّتي وردت في الخِطاب النِّسوي في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 34].

---

(1) اللغة: فندريس: 134.

(2) علم الدلالة: جون لاينز: 198.

(3) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: 236.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 236، 237.

فدلالة اذكرن في سياق هذه الآية تحمل معاني عديدة هي:

أَوّلاً: اذْكُرْنَ مَوْضِعَ النِّعْمَةِ، إِذْ صَيَّرَكُنَّ اللَّهُ فِي بُيُوتٍ تُتْلَى فِيهَا آيَاتُ اللَّهِ وَالْحِكْمَةُ.

ثانياً: اذْكُرْنَ آيَاتِ اللَّهِ وَقدرنَ قَدْرَهَا، وَفَكِّرْنَ فِيهَا لكي تَكُونَ كل واحدة منهن على علمٍ للأخذ بِمَوَاعِظَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ ينبغي أن تحسن أفعاله.

ثالثاً: (اذكرن) بمعنى احفظن واقرأنَه وألزِمنَهُ الألسِنَة، فكأنَّهُ يقول: احفظن أوامِرَ اللهِ تعالى ونواهيه، وذلك هو الذي يُتلى في بُيوتِكُنَّ من آياتِ الله، فأمرَ الله سبحانَه وتعالى أنْ يُخبِرنَ بما يُنزَّلُ منَ القرآنِ في بيوتِهنَّ، وما يَرَينَ من أفعال النَّبي عليه الصلاة والسلام، ويسمعن من أقواله حتى يُبَلِّغن ذلكَ إلى النَّاسِ، فيَعملوا ويقتدوا، وهذا يَدُلُّ على جوازِ قبول خبر الواحد من الرِّجال والنِّساء في الدين[1].

2_ دلالة (خانتاهما):

وهي من الدلالات السياقية الّتي وردت في الخطاب النِّسوي في شأن امرأتي نوح ولوط عليهما السّلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: 10].

فقد اختلف المفسرون في دلالة (خانتاهما) في سياق الآية، ولكنّهم ابتعدوا كُلّ البعد عن أن يكون معنى الخيانة هنا هو الزِّنا، وذلك استناداً إلى قول ابن عباس (ﷺ): ((ما بَغت امرأةُ نبي قط))[2]، وقد جاءت آراؤهم ضمن قولين هما:

---

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن 184/14.

[2] معالم التنزيل 123/5، ينظر: مفاتيح الغيب 575/30.

1_ كانت معنى خانتاهما أنّهما كانتا مشركتين، فكانت امرأة نوح تقول للناس: إنَّه مجنون فإذا آمنَ به أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح بهِ، وأمّا امرأة لوطٍ فإنّها كانت تدلُّ قومه على أضيافهِ إذا نزلَ بهِ ضيفٌ بالليل أوقدت النَّار، وإذا نزلَ بالنَّهار دخَّنت ليعلم قومه أنّهُ نزل بهِ ضيفٌ[1].

2_ خانتاهما بأنَّهما كانتا منافقتين[2].

3_ دلالة (قنت):

هذهِ الدلالة من الدلالات السياقية الّتي وردت في الخطاب النِّسوي مرات عديدة بصيغٍ مُختلفة، فقد وردت بصيغة فعل الأمر في شأن مريم (عليها السّلام)، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: 43]، فكلمة (اقنتي) في سياق الآية تحمل أكثر من معنى هي:

أحدها: أخلصي لِربّكِ.

والثّاني: أديمي الطاعة.

والثالث: أطيلي القيام في الصَّلاة[3].

وترى الباحثة أنَّ أقرب هذهِ المعاني لسياق الآية هو المعنى الثّالث، وهو الأمر بإطالة القيام في الصلاة؛ وذلك لأنّ أصل القنوت هو الدوام على الشيء، ((وروي

---

[1] ينظر: جامع البيان 498/23، معالم التنزيل 123/5.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن 202/18.

[3] ينظر: أحكام القرآن: الجصاص 16/2، النكت والعيون 392/1، تفسير القرآن 318/1، البحر المحيط 147/3.

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: ((أفضلُ الصّلاةِ طول القنوت))[1]، يعني طول القيام، ويدلُّ عليهِ قَولُهُ عطفاً على ذلك: (واسجدي واركعي)، فأُمرت بالقيامِ والرُّكوعِ والسّجود وهي أركان الصلاة؛ ولذلك لم يكن هذا موضعَ سجدةٍ عند سائر أهل العلم كسائر مواضع السُّجود؛ لأجل ذكر السُّجود فيها؛ لِأنّه قد ذكر مع السُّجود القيام والرّكوع، فكان أمراً بالصَّلاةِ، وفي هذا دلالةٌ على أنَّ الواو لا توجب الترتيب؛ لِأَنَّ الرّكوع مُقدّمٌ على السُّجودِ في المعنى))[2].

ووردت هذه الكلمة مُعرّفةً بالألف واللام، في شأن مريم (عليها السّلام)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: 12]، فكلمة (القانتين) في سياق الآية تدلُّ على المعنى نفسه في الآية السابقة فهي العابدة المُطيعةُ لربها.

وجاءت فعلاً مُضارعاً في خطاب نساء النبي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: 31]، فدلالة كلمة (يَقنت) في سياق هذه الآية بمعنى الطَّاعة، أيّ ومن يُطع الله ورسولهِ منكن وتعمل بما أمر الله بهِ، والقنوت هنا الطَّاعة[3].

4_ دلالة (مَكْرِهِنَّ):

---

[1] صحيح مسلم 756/4.

[2] أحكام القرآن 16/2، 17.

[3] ينظر: جامع البيان 292/10.

ومن الدلالات السياقية دلالة (مكرهنَّ) الّتي وردت في الخِطاب النِّسوي مرة واحدة[1]، وذلك في قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً...﴾ [يوسف:31].

جاءت أقوال المفسرين في تحديد دلالة (مَكرِهِنَّ) في سياق الآية على معنيين هما:

الأوّل: بمكرهن أي بقولِهنَّ وحديثهن، وقيلَ: باغتيابهن وسوءِ قولهنَّ بأنَّ امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني، فقد وقعنَّ في غيبتها، وسُمّيَ الاغتيابُ هنا مكراً، لأنّه في خُفيةٍ وحالِ غَيبة، كما يُخفي الماكِرُ مَكرهُ، فعندما كان قولهن عنها خُفية فكان بمنزلة الغيبة فأُشبه بالمكر[2].

الثّاني: إفشاءِ سرّها، فقد قيل إنَّ امرأة العزيز أسرَّت إليهنَّ حُبَّها ليوسف، وأطلعتهُنّ على ذلك، وطلبت منهُنَّ كتمان هذا السّر، فأفشينهُ عليها، وهذا لا يكون مكراً إلّا بأن يظهرنَ خلافَ ذلك ويقصدن بالإفشاءِ أذاها، فلمّا أظهرنَ السر كان ذلك غدراً ومكراً[3].

2_ السياق الخارجي غير اللغوي

ويسمّى بسياق الحال أو سياق المقام أو سياق الموقف، ويراد به دراسة الظروف المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة، أو هو دراسة الكلام في المحيط الذي يقع

---

[1] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي: 671.

[2] ينظر: جامع البيان 69/16، معالم التنزيل 488/2، الكشاف 463/2، مجمع البيان 306/5، الجامع لأحكام القرآن 177/9.

[3] ينظر: النكت والعيون 31/3، معالم التنزيل 489/2، الكشاف 493/2، مجمع البيان 306/5، المحرر الوجيز 238/3.

فيه[1]، فهو يركز على العلاقات الزمنية والمكانية التي يجري فيها الكلام[2]، وهو ((مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي ابتداءً من المرسل والوسط وحتى المرسل إليه بمواصفاتهم وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر))[3].

وهناك مجموعة من العناصر المكونة للحدث الكلامي لابدَّ من الوقوف عليها للتعرف إلى سياق الحال ومن هذه العناصر الآتي:

1_ القرائن الحالية، وأنماط الوقائع المحيطة بالمقال اللغوي.

2_ الأبعاد اللغوية الثقافية المتعددة سواء أكانت ثقافية محضة وهنا نكون مع السياق الثقافي، أم اجتماعية فيكون السياق الاجتماعي، أو دينية فيكون السياق الديني.

3_ نوع الخطاب الذي يحمله النص اللغوي كأن يكون خطاباً قضائياً أو فنياً أو سياسياً أو دعائياً.

4_ طبيعة النص والغاية المتوخاة من المشتركين اقناعاً أو إغراءً أو سخرية أو جذباً أو تجريحاً.

5_ مكان الكلام وجنس المتكلمين وجنس من يشهد الموقف الكلامي.

6_ الحالة النفسية أو العاطفية لأطراف العملية اللغوية[4].

وستقف الباحثة على هذه العناصر المكونة للحدث الكلامي ويطبقها على أمثلة من القصص التي وردت في الخِطاب النِّسوي وعلى النحو الآتي:

---

[1] ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين: 76.

[2] ينظر: مبادئ اللسانيات: أحمد محمد قدور: 357.

[3] علم اللسانيات الحديثة: عبد القادر عبد الجليل: 543.

[4] ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: 264، 265.

جاء سياق الحال في الخِطاب النِّسوي في قصة امرأة العزيز، فقد اشتملت هذهِ القصة على عدد من المتكلمين أبرزهم زوجها العزيز فقد اختلف في اسمه فقيل هو قطفير، وقيل هو أطفير[1]، وقيل قنطور[2]،وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر، والمكان المذكور في هذهِ القصة هو (مصر) فقد تحقق عنصر آخر من عناصر سياق المقام وهو المكان، ومن الشخصيات الّتي شهدت كلامه زوجه.

وذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21]، فنجد في هذهِ الآية أنَّ المتكلّم هو العزيز مخاطباً زوجه أن تُكرم الغُلام الذي اشتراهُ، وسياق القصة هو أنَّ العزيز اشترى غُلاماً وهو يوسف (عليه السلام) وأراد الانتفاع به أو أن يتخذه ولدا؛ لأنَّه لم يكن له أولاد، وقد ((اختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه به غير الأول: عشرون ديناراً وزوجا نعل وثوبان أبيضان، وقيل ملؤه فضة وقيل ذهباً))[3]. فقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة بذلك المبلغ، وأقام في منزله مع ما مرَّ عليه من مدة لبثه في السجن ثلاثَ عشرةَ سنةً واستوزره الريانُ وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة[4]، فقد أمر زوجه أن تكرم مثوى الصبي الذي اشتراه بقولهِ: (أكرمي مثواه) فهذا يدلُّ على عنايتهِ بأمر هذا الصبي، وخصوصاً أنَّ مادة الكرم تدلُّ على العناية بأفضل ما عند الانسان؛ لأنَّ الكرم هو تخير أنفس ما عند الانسان، وقد يكون في ذكر الكرم هنا ما

---

[1] ينظر: الكشاف 453/2.

[2] ينظر: المحرر الوجيز 230/3.

[3] أنوار التنزيل واسرار التأويل 159/3، وينظر: إرشاد العقل السليم 262/4.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم 262/4.

يشعر بمكانة هذا القائل، وأنَّه ممّن يصحُّ أن يوصف بالكرم، وغالباً ما يكون كذلك من مَلَك المال أو المنصب، وإنَّ اختيار كلمة المثوى دون غيرها لما فيها من دلالة البقاء والراحة والاستقرار، وذلك أنَّ الثواء يدلُّ على النهاية والمصير، وكأنّه هو يصطفيه لنفسهِ ويريد أن تكون نهايته له وإليه فلا يريد من يوسف أن يصير إلى غيره[1].

وذهب سيد قطب إلى أنَّ: ((المقصود بإكرام مثواه إكرامه، ولكن التعبير أعمق لأنه يجعل الإكرام لا لشخصهِ فحسب، ولكن لمكان إقامته ... وهي مبالغة في الإكرام في مقابل مثواه في الجب وما حوله من مخاوف وآلام))[2]، وإنَّ عنايته به أثار استغراب وتعجب زوجته فقال معللاً لها: ((عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا))، وقد آثر استعمال (عسى) دون (لعل) لأنّ فيها من الدلالة على الرغبة أكثر من لعل، يقول الكفوي: ((ويستعمل في المتوقع فيه (لعل)، وفي المطموع فيه عسى))[3] ويقول أيضاً: ((عسى هي لمقاربة الأمر على سبيل الرجاء والطمع، أي: لتوقع حصول ما لم يحصل؛ سواء يرجى حصوله عن قريب أو بعد مدة مديدة))[4]، وهنا تجسدت المعاني والدلالات المتوخاة من المشتركين في الحدث اللغوي وهي: المبالغة والتعجب والرجاء.

ثمَّ يذكر القرآن الكريم باقي المتكلّمين وهم: امرأة العزيز ويوسف والشاهد الذي اختلف فيهِ على روايات منها أنّه ابن خالها أو ابن عمها وذلك في قوله تعالى:

---

[1] ينظر: جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف: د. عويض بن حمود العطوي: 25.

[2] في ظلال القرآن 1978/4.

[3] الكليات: 469.

[4] المصدر نفسه 653.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 23_ 26].

إذ لم يصرّح القرآن الكريم بذكر اسم امرأة العزيز وإنّما أجراها مجرى الكناية، وقد اختلف في اسمها في كتب التفسير، فقيل هي راعيل بنت رعاييل[1]، وقيل كان اسمها زليخا[2]، وقيل اسمها ربيحة[3].

فقد صور القرآن الكريم مشهد المراودة الذي قامت به امرأة العزيز في هذهِ الآية وقد اختصرت كلمة (المراودة) الحدث كله ويراد بها الإرادة والطلب برفق ولين، وقيل: هي مأخوذة من الرود: أي الرفق والتأني، ((وقيل المراودة مأخوذة من راد يرود إذا جاء وذهب، كأن المعنى: أنها فعلت في مراودتها له فعل المخادع، ومنه الرائد لمن يطلب الماء والكلأ، وقد يخص بمحاولة الوقاع فالمراودة الرفق في الطلب، ويقال: راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل منهما الوطء والجماع، وهي مفاعلة، وأصلها أن تكون من الجانبين، فجعل السبب هنا في أحد الجانبين قائما مقام المسبب، فكأن يوسف (عليه السلام) لما كان ما أعطيه من كمال الخلق

---

[1] ينظر: النكت والعيون 19/3، الجامع لأحكام القرآن 158/9، البحر المحيط 254/6، فتح القدير 19/3.

[2] ينظر: بحر العلوم: السمرقندي 187/2، النكت والعيون 22/3، البحر المحيط 254/6، فتح القدير 19/3.

[3] ينظر: المحرر الوجيز 231/3.

والزيادة في الحسن سببا لمراودة امرأة العزيز))[1]، وقال تعالى: (التي هو في بيتها) ولم يقل: امرأة العزيز، وزليخا، قصدا إلى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة والمحافظة على الستر عليها فقد طلبت منه أن يواقعها وكان طلبها منه برفق ولين فلم يستجب يوسف لأمرها ولم ترَ أدنى ميل منه إليها فغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ، قيل: كانوا سبعة، والتشديد للتكثير، أو للمبالغة في الإيثاق[2]، فقد كان موقفها موقف المغري وذلك أنّها تجملت وتزينت ودعت يوسف بمواقعتها، وقالت هيت لك ((هما كلمتان فقط اختصرت بهما المراد، وأوضحت فيهما مقصودها بكل صراحة، فالموقف وملابساته ومشاهده يغني عن الخطاب، فكأن المقصود هو لفت النظر إلى أن الاعتماد لم يكن على الخطاب بل على الملابسات المحيطة بهِ، لذا جاء موجزاً مصّرحاً بالمراد))[3].

أمّا يوسف (عليه السلام) فقد قابل المراودة بالاستعاذة فقالَ (مَعاذَ اللَّهِ) أي: أعوذ بالله معاذاً، (إِنَّه رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ) سيدي أحسن إقامتي وتربيتي، إذ قال لك أكرمي مثواي، فما جزاؤه أن أخونه في أهله، أو أنه تعالى ربي أحسن مَنزلي بأن عطف عَلَيَّ قلبَ سيدي، ولطف بي في أموري، فلا أعصيه، إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ المجاوزون الإحسان إلى الإساءة[4].

ثمَّ يخبر تعالى عن حالهما حين خرجا يستبقان إلى الباب، يوسف هارب، وزليخا تطلبه ليرجع إلى البيت، فلحقته في أثناء ذلك، فأمسكت بقميصه من ورائه فقدته؛ أي مزقته قدا فظيعا، يقال: إنه سقط عنه، واستمر يوسف هاربا ذاهبا، وهي

---

[1] فتح القدير 20/3.

[2] ينظر: فتح القدير 20/3.

[3] جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف: د. عويض بن حمود العطوي: 27.

[4] ينظر: المصدر نفسه: 30.

في إثره، فألفيا سيدها (وهو زوجها) عند الباب، فعند ذلك خرجت ممّا هي فيه بمكرها وكيدها، وقالت لزوجها متنصلة وقاذفة يوسف بدائها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [يوسف: 25]؛ أي: فاحشة، (إلا أن يسجن)؛ أي: يحبس، (أو عذاب أليم)؛ أي: يضرب ضربا شديدا موجعا[1]، وقد وضّح ابن عاشور جرأة امرأة العزيز حين رأت زوجها فقال: ((ابتدرته بالكلام إمعانا في البهتان إذ لم تتلعثم، تخيّل له أنها على الحق، وأفرغت الكلام في قالب كلي ليأخذ صيغة القانون، وليكون قاعدة لا يعرف المقصود منها فلا يسع المخاطب إلا الإقرار لها ... وكانت تريد بذلك أن لا يشعر زوجها بأنها تهوى غير سيدها، وأن تخيف يوسف (عليه السلام) من كيدها لئلا يمتنع منها مرة أخرى))[2].

وما زالت الأحداث مستمرة فيذكر سبحانه وتعالى كيف أنَّه همّت بهِ وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه إذ نرى هنا أن يوسف (عليه السلام) لم يقع منه همٌّ بها، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب لولا متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، فأدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، فيكون المعنى لولا وجود برهان ربه لهمَّ بها، فكان موجوداً الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم، والبرهان الذي رآه يوسف هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرَّمه الله[3].

ومن الشخصيات التي شهدت الحادثة هو الشاهد ((فقد سخر الله سبحانه وتعالى في تلك اللحظة الحرجة، من يدلى بشهادته لتثبت براءة يوسف أمام العزيز،

---

(1) ينظر: تفسير ابن كثير 215/4.

(2) التحرير والتنوير 256/12.

(3) ينظر: البحر المحيط 258/6، 259.

وألقى الله تعالى هذه الشهادة على لسان من هو من أهلها، لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه، وقد قال هذا الشاهد في شهادته كما حكى القرآن عنه (إِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ)؛ أي: من أمامٍ (فصدقت) في أنه أراد بها سوءا؛ لأن ذلك يدلُّ على أنها دافعته من الأمام وهو يريد الاعتداء عليها، وهو من الكاذبين في قوله: (هي راودتني عن نفسي)، (وَإِنْ كانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ)؛ أي من خلف فَكَذَبَتْ في دعواها على أنه أراد بها سوءا؛ لأن ذلك يدلُّ على أنه حاول الهرب منها، فتعقبته حتى الباب، وأمسكت به من الخلف وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ في دعواه أنها راودته عن نفسه، وسمّى القرآن الكريم ذلك الحكم بينهما شهادة؛ لأن قوله هذا يساعد على الوصول إلى الحق في قضية التبس فيها الأمر على العزيز، وقدّمَ الشاهد في شهادته الغرض الأول وهو (إن كان قميصه قد من قبل)؛ لأنه إن صح يقتضى صدقها، وقد يكون هو حريصا على ذلك بمقتضى قرابته لها، إلا أن الله تعالى أظهر ما هو الحق، تكريما ليوسف (عليه السلام) أو يكون قد قدم ذلك بوصفها سيدة، ويوسف فتى، فمن باب اللياقة أن يذكر الفرض الأول رحمة بها))[1]، ((فَلَمَّا رَأى زوجُها قميصَ يوسف قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ أي: قَوْلُكِ: ما جَزاءُ ... الخ، مِنْ كَيْدِكُنَّ من حيلتكن. والخطاب لها ولأمثالها ولسائر النساء، إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ؛ لأن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب، وأشد تاثيراً من النفس والشيطان؛ لأنهن يواجهن به الرجال، والنفس والشيطان يوسوسان مسارقة. ثم التفت العزيزُ إلى يوسف وقال: يُوسُفُ؛ اي: يا يوسف. وحذف النداء إشارة إلى تقريبه وملاطفته، أَعْرِضْ عَنْ هذا الأمر واكتمه، ولا تذكره، وَاسْتَغْفِرِي يا زليخا لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخاطِئِينَ من القوم المذنبين، من خطأ إذا أذنب متعمداً، والتذكير للتغليب))[2].

---

[1] التفسير الوسيط 346/7، 347.

[2] البحر المديد 590/2.

ومن متكلمي القصة الآخرين مجموعة من النسوة وتمثل كلامهن في قولهِ تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30]، ((المراد جماعة من النساء ويجوز التذكير في الفعل المسند إليهن كما يجوز التأنيث، وقيل: هن امرأة ساقي العزيز وامرأة خبازه، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة صاحب سجنه، وامرأة حاجبه فقد قُلنَ إنَّ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وقد سبق توضيح المراودة، وقد بيّن أن سبب مراودتها له هو أنّها قد شغفها حبا وجملة (قد شغفها حبا) في محل رفع على أنها خبر ثان للمبتدأ، أو في محل نصب على الحال، ومعنى شغفها حبا؛ أي: غلبها حبه، وقيل: دخل حبه في شغافها، وشغاف القلب غلافه، وهو جلدة عليه وقيل: هو وسط القلب))[1]، وعلى هذا يكون المعنى: دخل حبه إلى شغافها فغلب عليه فشبهت لوعة الحب بذلك ويقال: ((إن الشغاف: الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى، وهي الجلدة البيضاء، فكأنه لصق حبه بقلبها كلصوق الجلدة بالكبد، وجملة إنا لنراها في ضلال مبين مقررة لمضمون ما قبلها. والمعنى: إنا لنراها؛ أي: نعلمها في فعلها هذا، وهو المراودة لفتاها في ضلال عن طريق الرشد والصواب مبين واضح لا يلتبس على من نظر فيه))[2].

وقد ورد سياق الحال أيضاً في قصة أم موسى وذلك في قولهِ تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ

---

[1] فتح القدير 25/3.

[2] المصدر نفسه 25/3، 26.

﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ...﴾ [طه: 38_ 40].

فقد احتوت هذهِ القصة على شخصيات أساسية وثانوية، فأمّا الأساسية هي أم موسى وأخته وموسى وابنتا الشيخ، وأمّا الثانوية فهي فرعون وزوجه.

فأمِّ موسى هي المرأة المؤمنة الّتي أوحى الله إليها وضع وليدها في التابوت، وقذفهِ في اليمِّ، ومن ثم ردهِ إليها كي تقرَّ عينها ولا تحزن.

فأمُّ موسى (عليه السلام) لم تكن من الأنبياء والرسل وهذا ما يتفق عليه أكثر المفسرين[1]، فلا يمكن أن يكون المراد من هذا الوحي هو الوحي الواصل إلى الأنبياء، فليس كل وحي بمعنى النبوة، فمن الوحي الذي ليس بمعنى النبوة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: 68]، واختلف في المراد بالوحي إلى أمِّ موسى على وجوه عديدة: ((أحدها: أنَّ الوحي هو رؤيا رأتها أم موسى (عليه السلام) وكان تأويلها وضع موسى (عليه السلام) في التابوت وقذفه في البحر، وأنَّ الله تعالى يردُّه إليها، ثانيها: أنَّ الوحي عزيمة جازمة وقعت في قلبها دفعة واحدة فكلُّ من تفكّر فيما وقع إليه ظهر له الرأي الذي هو أقرب إلى الخلاص ويقال لذلك الخاطر أنَّه وحيٌ، ثالثها: المراد بالوحي الإلهام، رابعها: لعلّه أوحي إلى بعض الأنبياء في ذلك الزمان كشعيب (عليه السلام) أو غيره ثمَّ إنَّ ذلك النبي عرَّفها إمّا مشافهة أو مراسلة، وانتهى ذلك الخبر إلى تلك المرأة، خامسها: لعل الله تعالى بعث إليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث إلى مريم في قوله: (فتمثل لها بشرا سويا)))[2].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 22/ 46.

[2] المصدر نفسه 47/22.

ومن مجريات الأحداث أوحى الله إليها ما يجب أن يوحى، وإنَّ وجوب ذلك الوحي لأنَّ الواقعة واقعة عظيمة ولا سبيل إلى معرفة المصلحة فيها إلّا بالوحي فكان الوحي واجباً، فقد أُمرت بأن تلقي ابنها في التابوت، و(أن) في قولهِ: (أن اقذفيه) هي المفسِّرة؛ لأنَّ الوحي بمعنى القول[1]، فالمرأة المأمورة بالقذف هي أمِّ موسى، وإنَّ المقذوف هو موسى (عليه السلام)، والآمر بالقذف هو الله سبحانه وتعالى، فقد اتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً ووضعت فيه موسى (عليه السلام) ثُمَّ ألقته في النيل وكان يشرع منه نهرٌ كبيرٌ إلى دار فرعون، فبينما هو جالس مع آسية، إذ بتابوتٍ يجيء بهِ الماء إلى دار فرعون، فلمّا رآه فرعون أمرَ الغلمان والجواري بإخراجهِ، فأخرجوه وفتحوه، فإذا بصبيٍّ من أصبح الناس وجهاً، فأحبّه فرعون حُبّاً شديداً[2].

وفي قصة أخرى يرويها القرآن لنا على وفق سياق الحال قصة ملكة سبأ الّتي ذُكرت في سورة النمل، فقد اشتملت هذه القصة على العديد من المتكلمين فكان في مقدمتهم نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق أوصي له داود عليه السلام بالملك فلما مات داود ورثه سليمان وكان عمره ثلاث عشرة سنة ومع حداثة سنه كان من ذوي الفطنة وحسن التدبير والسياسة وجودة الرأي في الحكم والقضاء[3].

احتوت هذهِ القصة على كثير من الشخصيات منها ما هو أساسي كسليمان والهدهد وبلقيس ملكة سبأ، ومنها ما هو ثانوي مثل قومها الذين كانت تملكهم.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه 47/22.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب 47/22.

[3] ينظر: قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ الدروس والعبر: دفع الله (بحث منشور على الانترنت): 1.

أمّا المتكلم الآخر فهو الهدهد فقد ورد ذكره في قولهِ تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 22_ 26]، فقد بيّن الله سبحانه وتعالى في هذهِ الآيات كلام الهدهد مع سليمان (عليه السلام)، الّتي دلّت على علم الهدهد بالذي كان يجري في مملكة سبأ.

ذهب الزمخشري إلى أنَّ: ((قوله مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ من جنس الكلام الذي سماه المحدّثون البديع، وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ، بشرط أن يجيء مطبوعا، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده، ولقد جاء هاهنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى. ألا ترى أنَّه لو وضع مكان بنبإ بخبر، لكان المعنى صحيحا، وهو كما جاء أصح، لما في النبإ، من الزيادة التي يطابقها وصف الحال))[1].

وممّا يُلاحظ أنَّ خطاب الهدهد مع سليمان جاء متنوعاً بين القوة والشدة وبين العذوبة والرقة، فإنَّ بداية خطابه معه اتسمَّ بالقوة والشدة وذلك في قولهِ: (أحط بما لم تحط بهِ) ليكون ذلك متناسباً مع تهديد سليمان ووعيدهِ في أول كلامه (لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه)، ثمَّ كان كلام الهدهد في عجز الآية (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) يزخر رقةً وعذوبةً ولياناً؛ ليتناسق ذلك مع قول سليمان (عليه السلام) أيضاً في نهاية كلامه

[1] الكشاف 360/3.

في قولهِ: (أو ليأتيني بسلطان مبين) والذي اتجه فيه نحو العفو والتسامح والوداعة[1].

أمّا المكان الذي ورد في هذهِ القصة فهو (سبأ) فقد ذهب الماوردي إلى أنَّ سبأ تحتمل قولين: ((أحدهما: أنها مدينة بأرض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال ...، الثاني: إنَّ سبأ حي من أحياء اليمن واختلف قائلو هذا في نسبتهم إلى هذا، فذهب قوم إلى أنه اسم امرأة كانت أمهم))[2].

((وفيه استئنافٌ ببيان ما جاء بهِ من النبأ وتفصيلٌ له إثرَ الإجمال فهذهِ المرأة هي بلقيس كانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس، وإيثار وجدتُ على رأيتُ لما أُشير إليه من الإيذان بكونهِ عند غيبته بصددِ خدمتهِ (عليه السلام) بإبراز نفسه في معرضِ من يتفقد أحوالها ويتعرّفها كأنّها طلبته وضالّته ليعرضها على سليمان وضمير تملكهم لسبأٍ على أنَّه اسمُ أو لأهلها المدلولِ عليهم بذكرِ مدينتهم على أنَّه اسمٌ لها))[3].

وقد وصف الهدهد عرشها بأنَّه عظيم، فإذا قيل: كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان؟ قلتُ: يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان، فاستعظم لها ذلك العرش، ويجوز ألّا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كُلِّ شيءٍ كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيءٌ لا يكون مثله للملك الذي يملكُ عليهم أمرهم ويستخدمهم.

---

[1] ينظر: سياق المقام في القرآن الكريم قصة ملكة سبأ انموذجاً: رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي، (بحث منشور)، حولية المنتدى، العدد (39)، 2019: 9.

[2] النكت والعيون 203/4.

[3] سياق المقام في القرآن الكريم: 9، 10.

وممّا جاء في قولها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 29_35].

اختلفت الروايات في شأن اسم بلقيس وملكة سبأ هي بلقيس بنت شراحيل، وقيل بلقيس بنتُ شرحبيل بن مالك بن الديّان، وكان أبوها ملك أرض اليمن كُلّها، وقد ولده أربعون ملكاً، ولم يكن له ولدٌ غيرها، فغلبت على المُلك، وكانت هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس من دون الله.

وأشار ابن عاشور إلى سياق الحال هنا بقولهِ: ((التأكيد بـ(إنَّ) في موضع لا يحتمل التشكيك، وتكرير حرف (إنَّ) بعد واو العطف إيماء إلى اختلاف المعطوف والمعطوف عليه بأن المراد بالمعطوف عليه ذات الكتاب، والمراد بالمعطوف معناه وما اشتمل عليه، كما تقول: إن فلانا لحسن الطلعة وإنه لزكي. وهذا من خصوصيات إعادة العامل بعد حرف العطف مع إغناء حرف العطف عن ذكر العامل))[1].

((تميّزت الملكة بلقيس بالحكمة ورجاحة العقل فقد كانت سيسة، قد سيست وساست، فقالت لقومها إنّي مرسلة لسليمان وقومه بهدية، وإنَّ ارسالها الهدية لأنّها كانت عارفة بطبائع الملوك وعاداتهم، وقد صانعته بذلك عن مُلكها وأرادت أختباره

[1] التحرير والتنوير 259/19.

أملك هو أم نبي؟ وانتظرت بأي شيء يرجعون، بقبولها أم بردها؛ لأنَّها عرفت عادة الملوك وحسن موقع الهدايا عندهم فإن كان مَلِكاً قَبِلها وانصرف، وإن كان نبياً ردها ولم يقبل منّا إلا أن نتبعه على دينهِ، وكانت صفات الهدية هو أن بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحُليهن، راكبين خيلاً مغشاة بالديباج، محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجوهر، وخمسمائة جارية على رِماك في زي الغلمان، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت))[1].

وإنَّ الغرض من ارسال الهدية من هذه الملكة جاء لحكمة معينة وهو أنَّها أرادت أن تختبر سليمان (عليه السلام) بمدى جديته في الدعوة إلى الإسلام، وهل هو رجل دعوة أم طالب دنيا، فإن كان نبياً لم يقبلها ولم يرض إلّا اتباعهم على دينهِ وإن كان ملكاً غير مرسل فإنَّه يقبلها وهنا تكمن رجاحة عقلها[2].

وتتواصل الأحداث ويستمر الحديث عن سليمان وملكة سبأ في قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا

---

[1] البحر المديد 195/4.

[2] ينظر: قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ الدروس والعبر: 23.

عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 36_ 44].

(((فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ) أي الرَّسولُ (قَالَ) أي مخاطباً للرَّسولِ والمُرْسِلِ تغليباً للحاضرِ على الغائبِ وقيل للرَّسولِ ومن مَعه ويؤيدُه أنَّه قرئ فلمَّا جاءُوا والأولُ أَولى لما فيه من تشديدِ الإنكارِ والتَّوبيخِ وتعميمهُما لبلقيسَ وقومِها ويؤيدُه الإفرادُ في قولِه تعالى ارجعْ إليهم (أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ) وهو إنكارٌ لإمدادِهم إيَّاه عليه الصَّلاة والسَّلام بالمالِ مع عُلوِّ شأنِه وسعَةِ سُلطانِه وتوبيخٌ لهم بذلكَ وتنكيرُ مالٍ للتحقيرِ وقولُه تعالى (فَمَا آتاني الله) أيْ ممَّا رأيتُم آثارَه منَ النُّبوةِ والمُلكِ الذي لا غايةَ وراءَه (خير مما آتاكم) أي منَ المالِ الذي مِنْ جُملتِه ما جئتُم به فلا حاجةَ لي إلى هديَّتِكم ولا وقعَ لها عندي تعليل للإنكارِ ولعلَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إنَّما قال لهم هذه المقالةَ إلى آخرِها بعدَ مَا جَرى بينَهُ وبينهم ما حكي من قصة الحُقِّ وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه الصلاةُ والسَّلامُ خاطبَهم بها أولَ ما جاءوه كما يُفهم من ظاهرِ قولِه تعالى فلمَّا جاءَ الخ وقرئ أتُمدُّونِّي بالإدغامِ وبنونٍ واحدةٍ وبنونين وحذفِ الياءِ وقولُه تعالى (بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون) إضرابٌ عمَّا ذكر من إنكارِ الإمدادِ بالمالِ إلى التَّوبيخِ بفرحِهم بهديتهم التي أهدَوها إليه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فرحَ افتخارٍ وامتنانٍ واعتدادٍ بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديثِ الحقِّ والجَزَعةِ وتغييرِ زيِّ الغِلمانِ والجواري وغيرِ ذلك وفائدةُ الإضرابِ التَّنبيهُ على أنَّ إمدادَهُ عليه الصَّلاة والسَّلام بالمالِ منكرٌ قبيح وعدُّ ذلكَ مع أنَّه لا قدرَ له عنده عليه الصلاة والسلام مما يتنافسُ فيه المتنافسون أقبحُ والتَّوبيخُ به أدخلُ وقيلَ المضافُ إليهِ المُهدى إليهِ والمعنى بل أنتمُ

بما يهدى إليكم تفرحونَ حُبَّاً لزيادةِ المالِ لما أنَّكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياةِ الدُّنيا))[1].

ثم خاطبها سليمان أن تدخل الصرح وهو استئناف ابتدائي لجزء من القصة. إذ أراد أن يُريها عظمة حضارته فانتقل بها إذ تشاهد أثراً بديعاً من آثار الصناعة الحكيمة وهو الصرح، ويطلق اسم الصرح على صحن الدار وعرصتها، والظاهر أن صرح القصر الذي ذكر في سفر الملوك الأول في الإصحاح السابع وهو بيت وعر له بابان كان يجلس فيه سليمان للقضاء بين الناس، وبُني هذا الصرح بزجاج شفاف أملس وأجري تحته الماء حتى يحسبه الناظر لجة ماء. وهذا من بديع الصناعة التي اختصت بها قصور سليمان في ذلك الزمان لم تكن معروفة في اليمن على ما بلغته من حضارة وعظمة بناء[2].

((وكانت غاية سليمان من الصرح أنّه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة الله تعالى بما ترى من هذهِ الآية وقيل إنَّ الجن والشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فلا ينفكوا من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها وذلك أنَّ أمها كانت جنية فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إنَّ في عقلها شيئاً وإنَّ رجلها كحافر الحمار فلما امتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل، وقيل إنّه ذكر له أن على رجليها شعراً فلما كشفته بانَ الشعر فساءه ذلك فاستشار الجن في ذلك فعملوا الحمامات وطبخوا له النورة والزرنيخ وكان أول ما صنعت النورة))[3].

---

[1] إرشاد العقل السليم 285/6.

[2] ينظر: التحرير والتنوير 275/19.

[3] سياق المقام في القرآن الكريم : 17.

فلما دخلت بلقيس الصرح ظنت بأنَّه لجة ماءٍ فكشفت عن ساقيها فقال لها سليمان أنَّه صرح ممرد من قوارير فقد كان مصاحبا لها وفي رفقتها[1]، وقيل إنّها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داوود عذاباً يقتلني به إلّا الغرق[2].

وقد اختلفت الأقوال في زواج سليمان من بلقيس هل تزوجها أم لا؟ فجاءت على قولين هما: الأول: قيل إنّه تزوجها سليمان وأقرّها على ملكها والثاني: قيل إنّه زوّجها من ملك يقال له (تبع) وردها إلى أرضها وأمر زوبعة أمير الجن باليمن أن يعمل له ويطيع فصنع له المصانع باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان قال عهدي بها إن قالت وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني أنّه لا يعلم ذلك وإنَّ آخر ما سمع من حديثها هذا القول[3].

4_ الدّلالة النَّفسية:

((هي تلك الملامح والإشارات الّتي تنعكس على النّفس البشريّة فتُحدث فيها استجابة معينة، سواءٌ أكانت لفظية أم حركية، إرادية أم غير إرادية))[4]، ويبدو من هذا أنَّ الدّلالة النّفسية تشمل العمليات العقلية الّتي تقوم على استدعاء الأفكارِ والتخيل لها، يُضاف إلى ذَلِكَ المشاعر الانفعالية المُختلفة الّتي يُرادُ نقلها إلى ذهن السامع، وإنَّ هذهِ الدّلالة لا تختص بالعمليات النّفسية الّتي تصحب الكلام وتعبر عن المتكلم فحسب، بل تشمل تلك العمليات النَّفسية الّتي تصحب الطرف الآخر من عملية الكلام أيضاً، فهي بذلك تتضمن وجود طرفين لتحقيق وجودها، وإنَّ الدّلالات النّفسية في اللُّغة لا تنطلق فقط من الأرضية النّفسية الّتي بُني عليها النص، وإنَّما

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير 275/19.

[2] ينظر: مجمع البيان 348/7.

[3] ينظر: مجمع البيان 348/7، تفسير نور الثقلين 89/7.

[4] التعبير القرآني والدلالة النفسية: د. عبد الله محمد الجيوسي: 59.

من تأثير النص على نفسية المتلقي من ناحية اختيار الألفاظ وبناء الكلمات أو العلاقة القائمة بين الكلمة والمضمون؛ وذلك لأَنَّ اللُّغة عبارة عن علاقة بين المتحدث والسامع، وهذهِ العلاقة لابُدَّ وأن يصحبها مُثيرات تصدر عن كلٍّ من المتكلّمِ والسامع[1].

فالدّلالة النفسية تمدُّ المشاعر بنشاطٍ لا يفتر، فلها من لطف المدخل إلى النفوس ما يشبه السحر، فهي بذلك تحفيز تواصلي تفتح في وجدان المتلقي أفقاً لقبول الخطاب أو سماعهِ على الأقل قبل رفضهِ ومقاطعتهِ، فهي مفتاح العلاقة الحوارية بين المرسل والمتلقي، ويحتاج إدراك الدّلالة النَّفسية إلى مُتلقٍ مرهف الحس، يقظ العقل، متوثب الفكر، متمرس بفنون بليغ القول نظمهِ ونثره، تمرساً يمتلك معهُ سرّ آفاقهِ البلاغية كأنهُ ملكة له وذوقٌ فيهِ، والأفق هنا ليس جامداً يمكن أن تُدرك نهايته، بل هو مسافة مفتوحة أمامكَ ممتدة ومتحركة، كلما وصلت إلى نقطة فيها كشفت لك عن أسرارٍ أُخر، فتبقيكَ دائماً في منطقة الوعي العميق، فكلّما تأملت في الدّلالة القرآنية كشفت لكَ عن فضاءات عقلية جديدة، وأسفرت لك عن مداخل نفسية خفيّة[2].

وللدّلالة النّفسية أهمية في تحرير اللُّغة من أسر القواعد الّتي غرست في أذهاننا؛ وذلِكَ لتنشيط عملية التواصل النّفسي، لمصلحة التواصل الجمالي الذي بدورهِ يجعل اللُّغة هي المتكلّمة بما بقي لها من حريةٍ بالعدول الأسلوبي الذي يثري اللُّغة ويرتقي بها دون أن ينقض عراها، وإنَّ هذهِ الدّلالة تعمل على توفير بيئة تواصل ملائمة، فإذا كانت اللُّغة النمطية بمفرداتها المحددة وصيغها الثابتة تُرغم الفكر على السير

---

[1] ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية: 59، 60.

[2] ينظر: الدلالة النفسية في القرآن الكريم مقاربة في سيمياء التواصل: د. حيدر فاضل عباس (بحث منشور)، جامعة بغداد، كلية الآداب: 3،4، 5.

في سبلٍ محددة، فإنَّ الدّلالة النّفسية تعمل على تخصيب بيئة المعنى، ومن ثم تفتح آفاقاً جديدة للتأمل والتفكير، فالمعاني بعد أن كانت تؤخذ من الألفاظِ نفسها بواسطة نشاط العقل عن طريق المواضعة والقصد، أصبح الوجدان يشترك في تلقيها، فالدّلالة القرآنية ليست ألفاظاً ومعاني معجمية فحسب، بل هي مع ذلك فِعلٌ إيقاعي جاذب يحمل معنى عقلياً وإيحاءً نفسياً، وإنَّ هذا التماهي بين الإيحاء النّفسي للدّلالة القرآنية ومقاصدها العقلية يضمن دوام حضور الخِطاب القرآني حيّاً في ذاكرة المتلقي ووجدانه معاً[1].

إنَّ الخِطاب في القرآن الكريم ليس خطاب العقل فقط، وإنّما هو خطابٌ للنفسِ أيضاً، وهذا الخطاب النّفسي توضّحهُ الدّلالة النّفسية لما لها من أثر في بيانِ العلاقة بين المشاعر والانفعالات، فهي تُعنى بمجموعة الانفعالات الّتي تؤثر في النّفسِ، وتُسيطر على القوى الشعورية عند الإنسان، فهي وظيفة داخلية تغوص في أعماق الفرد وتمتلك عواطفهُ، وتبدأ بمشاعره فتشدها شداً، ثُمَّ تنتقل إلى سريرته فتعالج آمالها ومخاوفها، وتصور يأسها ورجاءها، وتدعو إلى الإنذار والتحذير تارة، وإلى التبشير تارة أُخرى، فهي مقياس التأثر النفسي، وميزان التجاوب الداخلي عكساً واطراداً، فكانَ الأمل واليأس والرهبة والرغبة، والتحذير والإنذار والاعتبار كل ذلك مجالاً لأبعادها الموضوعية[2].

وسيذكر البحث الدّلالات النّفسية الواردة في الخِطاب النِّسوي وعلى النحو الآتي:

---

[1] ينظر: الدلالة النفسية في القرآن الكريم (بحث منشور): 4،5.

[2] ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين علي الصغير: 349.

قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: 29]، فدلالة (أقبلت) الّتي وردت في الخِطاب النِّسوي مرة واحدة في شأن زوج إبراهيم الخليل (عليه السلام)، تحمل دلالة نفسية، فالإقبال ضد الإدبار[1]، ويُرادُ بهِ السير نحو القبل[2]، أمّا في هذه الآية فقد استعملت هذهِ الكلمة استعمالاً نفسياً عندما وجدَ اضطرابٌ وتوتر في نفس زوج إبراهيم (عليه السلام) لأنّها كانت هي المقبلة ممّا جعل لفظة (أقبلت) بؤرة نفسية للحدث، فتشير إلى خصوصية دلالية تتمثل بأنَّ هذهِ المرأة المقبلة كانت تتكلم بكلامٍ ظاهر، أو أنّها انشغلت بتكليم نفسها، أي أنّهُ لا يخلو مُقبل من اختلاجٍ وفورة في الخلد، فضلاً عن السّرعة والتوجه الذهني، وحالة من الترقب، وربما الأمل، فعندما بُشرت بالولد أقبلت مسرعة خائفة خَجِلَة كأنّها تُحدّث نفسها كيف يكون ذلك؟ ولا يستبعد أنّها تخيلت الولد في تلك اللحظة المشرقة من حياتها، فيتدافع الخوف والخجل والأمل في هذا السياق النَّفسي فينتهي تدافعها إلى الحقيقة والاطمئنان والسرور[3].

وترى الباحثة أنَّ هذهِ المفردة لا تحمل في داخلها طاقة لإنتاج الفعل، وإنَّ السياق النفسي الذي أحاط بها هو الذي ساعدها على إنتاج هذا الفعل وما حمله من توتر واضطراب في النفس، إذ إنَّ الألفاظ الّتي تلتها كانت قادرة على إعطائها الوجه الأمثل في توجيهِ معناها.

ومن هذا النوع من الدّلالة في الخِطاب النِّسوي أيضاً قولهِ تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا

---

[1] ينظر: مقاييس اللغة (قبل) 51/5.

[2] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 406.

[3] ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم: محمّد جعفر محيسن العارضي (أطروحة دكتوراه): 228.

رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: 7]، فـ (الخوف): هو الفزع والرعب وعدم الاطمئنان[1]، وإنَّ الخوف والحزن والقلق والغضب كلّها مُتغيرات نفسية تتغير تبعاً لتغير ذات الإنسان، إذ تطرأ على الفرد عند تعرضهِ لموقف معين[2]، وهذا ما حصل لأم موسى فقد أصابها الخوف والحزن على ولدها، وقد جُمع بين الخوف والحزن على سبيل النَّهي، والنَّهي هُنا ليس مقصوداً بهِ النَّهي عن الخوف والحزن؛ لأنَّ ذلك ليس في وسع الإنسان، وإنَّما أُريد بهِ النَّهي عن الابتعاد عمَّا يؤدي إليهما، وعدم الركون إليهما فإذا وقع الإنسان فريسة لهما عطل حياتهِ وكدر صفوها؛ لأنَّ الخوف والحزن إذا اجتمعا في قلبِ الإنسان المؤمن فإنَّه لا ينتفع بحياتهِ ولا يستمتع بها، وهما من أقوى أسباب الأمراض النّفسية، وهما رأس كُلِّ هَمٍ وغمٍ وكرب[3].

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين النّهي عن الخوف والحزن؛ وذلكَ لأنَّ المخوف منه أمراً عظيماً جَليلاً وهو فقدان ابنها، ولاسيّما أنَّها أُمرت بإلقائهِ في اليم، والأمر في غاية الغرابة بالنسبة لأمِ موسى، فكيف يُقال لها (إذا خفتِ عليهِ فألقيهِ في اليم) وهل هُناكَ ما يخاف عليهِ أكثر من اليم وهو وليد في مهدهِ؟ لكن بعد ذلك بَيّن سبب نهيه لها، إذ بشرها بِردهِ إليها وجعلهِ من المُرسلين فهذهِ بُشرى عظيمة ما كان يمكن لأم موسى أن تطمئن بأقل منها لتقذف ابنها في اليم فقد أصبحت واثقة بحسن العاقبة لما قد ألهمها ألّا تخاف ولا تحزن[4].

---

[1] ينظر: لسان العرب (خوف) 99/9.

[2] ينظر: الدلالة النفسية في القرآن الكريم (بحث منشور): 7.

[3] ينظر: الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم: د. عبد الباقي دفع الله أحمد، د. عائدة عبد الرحمن الأنصاري (بحث منشور)، الخرطوم، 2013 : 10، 14.

[4] ينظر: الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم: 15.

ومن هذهِ الدّلالة أيضاً قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم: 18،19]، تصدرت الاستعاذة كلام السيدة مريم (عليها السّلام)، لتبرز حالة الخوف والفزع والرّعب الّتي هي عليها، وتبلور عن ذلك الاستعانة واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، لأنَّها كانت وحدها وهي في خلوةٍ من أمرها، فلم يكن لها إلّا أن تستعيذ بهِ، وكانت الاستعاذة لدرءِ خطرهِ عنها والابتعاد عن أذاها[1]، وجملة (إني أعوذ بالرحمن منك) خبرية، ولذلك أكدت بحرف التأكيد، فهي تُخبرهُ بأنَّها جعلت الله معاذا لها مِنه، أي أنّها جعلت جانب الله مفرّاً وملجأ لها وفي هذا موعظة له[2]، وقد اختارت اسم (الرحمن) دون غيرهِ من أسماء الله الحسنى، لِما لهذا الاسم من أثر نفسي؛ لأنّها تعلم أنَّ الله رحيم بعبادهِ المُخلصينَ من جِهة، ولترقق قلب الرّسول وتجعل في قلبهِ الرّحمةِ تجاهها من جهة أخرى، وهذهِ صفة من صفاتِ النِّساءِ في انتقاءِ الألفاظ الرقيقة في خِطابِهنَّ مع الآخرين[3]، ومجيء قولها (إن كنت تقيا) بصيغة الشَّرط وذلك تذكير له بالموعظة بأنَّ عليهِ أنْ يتَّقي رَبَّه، أي إن كنت تتقي الله وتخشاه فإنّي مُستعاذة بهِ منك، وإنَّ اجتِلابُ فِعلِ الْكَوْنِ يدلّ عَلَى كَوْنِ التَّقْوَى مُسْتَقِرَّةً فِيهِ، وَهَذَا أَبلَغُ وعظٍ وتَذْكِيرٍ وَحثٍّ عَلى العَملِ بِتَقوَاهُ[4].

5_ الدّلالة الشّرعية:

---

(1) ينظر: الدلالة النفسية في سورة مريم: عقيل عكموش عبد (بحث منشور)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج 6، العددان (3_4)، 2007 :80.

(3) ينظر: التحرير والتنوير 81/16.

(3) ينظر: الدلالة النفسية لخطاب المرأة في النص القرآني: إيمان صاحب الموسوي (بحث منشور)، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 13 :359.

(4) ينظر: التحرير والتنوير 81/16.

تعرّف الدّلالة الشّرعية بأنها مجموعة الأحكام الشرعية التي فرضها الله سبحانه وتعالى على العباد والتي ثبت نصها في القرآن الكريم وقد تضمنت هذه الدلالة مجموعة من الأحكام الشرعية الخاصة بالنِّساء.

وقد تميّزت الدلالة الشرعية بخصائص أهمها خاصية الثبات فكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسولهِ هما الحق الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115]، ومنها خاصية الشمول فدلالات القرآن الكريم والسنة النبوية جاءت عامة بمبانيها ومعانيها تشمل كل ما يوجد في الحياة من حاجات وما يطرأ على الناس من مشكلات[1]، فقد اشتملت آيات القرآن الكريم على العديد من الأحكام الشرعية الخاصة بالنِّساء.

ومن الدلالة الشرعية الواردة في الخِطاب النِّسوي قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 31].

في هذه الآية المباركة العديد من الدلالات الشرعية، ومن هذه الدلالات (غض البصر)، فقد أمرهن الباري عزَّ وجل أن يغضضنَّ من أبصارهن، ((ويراد بغض الطرف هو كف البصر عما يحرم، وقد دخلت (من) التي هي للتبعيض على الأمر بغض البصر دون حفظ الفرج، لان في ذلك دلالة على أن أمر النظر أوسع بكثير من حفظ الفرج وهو مطلق، فقد ينظر الواحد إلى محارمه أو زوجه فينظر إلى

[1] ينظر: خصائص الدلالة الشرعية للنصوص: (مقال منشور على الانترنت).

محاسنهن وشعورهن وصدورهن، وينظر من الاجنبية إلى وجهها وكفيها، وأمّا أمر الفرج فمضيق))[1].

ومن هذه الدلالات أيضاً (حفظ الفرج)، فقد أمرن بحفظ فروجهن، والمراد بالفرج هو ما بين الرجلين، وسمي فرج المرأة والرجل فرجاً لأنه بين الرجلين[2]، فقد يكون المقصود بحفظ الفرج هو عفافه، وذلك لأنَّ العفاف يكون عن الحرام دون المباح، وقد يكون المراد به هو سترها عن الابصار حتى لا ترى، وكل المواضع في القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر الفرج فيراد به الزنا، إلا في هذا الموضع فالمراد به الستر[3].

ومن الدلالات الشرعية في هذه الآية ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ [النور: 31].

ممّا يلاحظ أن دلالة الزينة في هذهِ الآية نوعان زينة ظاهرة وزينة خفية (باطنة) فأمّا الظاهرة فهي التي لا يجب سترها، ولا يحرم النظر إليها، ومن هذه الزينة الثياب الظاهرة، ومنها الكحل، والخاتم، والسواران، ومنها ايضاً الكفان، والوجه، والخدان[4]، وأما الزينة الخفية فهي الزينة غير الظاهرة(الباطنة) ومنها الخلخال والدملج والقرطان، والقلائد، والخضاب إذا كان في باطن القدمين فهو من الزينة الباطنة، فهذه الزينة الخفية يجب سترها عن الأجانب، ويحرم على المرأة إظهارها، وأمّا ذوو المحارم

---

(1) الكشاف 229/3، وينظر: مفاتيح الغيب 360/23، البحر المحيط 32/8.

(2) ينظر: لسان العرب (فرج) 342/2، 343.

(3) ينظر: النكت والعيون 89/4، 90.

(4) ينظر: جامع البيان 155/19 _157، النكت والعيون 4/ 90، 91.

كآبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن فيجوز لهم النظر وأمّا أزواجهن فيجوز لهم النظر والالتذاذ[1].

ومن الدلالات الشرعية الواردة في الخِطاب النِّسوي هنا قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

ففي هذه الآية دلالات عديدة شرعية منها (وقرن في بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى)، فقد أمر الله سبحانه وتعالى نساء النبي بأن يقررنَ في بيوتهن، وانَّ القر من وقر يقر وقاراً إذا ثبت واستقر[2]، فقد أمرن بأن يثبتن في بيوتهن ويستقررن فيها ووجوب ملازمتهن لبيوتهن وذلك توقيراً لهن، وتقوية في حرمتهن، فقرارهن في بيوتهن عبادة[3].

ونهاهن الباري عزَّ وجلَّ من أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، والمراد بحقيقة التبرج هو إظهار ما ستره أحسن، وقد اختلف بالمراد من الجاهلية الأولى، فقيل: هي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم (عليه السلام)، إذ كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ، فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، وقيل: ما بين ادم ونوح، وقيل: ما بين نوح وإدريس، أو : ما بين نوح وإبراهيم، فقد كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين، وتلبس الثياب الرقاق، ولا تواري بدنها، وقيل: ما بين موسى وعيسى، أو : ما بين عيسى ومحمد (صلى الله عليه وآله)، فقد نهين من هذا التبرج إذ كن النساء

---

[1] ينظر: النكت والعيون 91/4.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم 102/7.

[3] ينظر: التحرير والتنوير 22/ 10.

في الجاهلية يظهرن ما يقبح إظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها، فينفرد خلها بما فوق الازار إلى الأعلى، وينفرد زوجها بما دون الازار إلى الأسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل، ومن مظاهر ذلك التبرج كن النساء يتمشين بين الرجال، فذلك التبرج[1].

ويرى ابن عطية أن المراد بالجاهلية الأولى هي الجاهلية التي لحقنها، وعشن فيها، فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها، وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة، لأنهم كانوا لا غيرة عندهم، وكان أمر النساء دون حجاب، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه، وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى، وقد أوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام، فقالا: جاهلي في الشعراء[2]، وكان المعنى المراد من الآية المباركة هو مخالفة من قبلهن من المشية على تغنج وإظهار المحاسن للرجال من الحلي والزينة وإلى غير ذلك مما لا يجوز شرعاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 60].

ورد لفظ (القواعد) في الآية لفظاً مُخصصاً، ويرى الفيروز أبادي بأنَّ (القواعد) الواردة في القرآن جاءت مشتملة على سبعة وجوه، أولاً: القرار والمقر في مكان، قال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: 55]، ثانياً: التخلُّف، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ [النِّساء: 95]، وثالثاً: المكث واللبث، قال تعالى:

---

[1] ينظر: الجامع لأحكام القران 179/14، 180.

[2] ينظر: المحرر الوجيز 385/4.

﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، بمعنى أَساس الأَبنية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القواعد مِنَ البيت﴾ [البقرة: 127] بمعنى رَصْد الطريق: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: 86]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المستقيم﴾ [الأعراف: 16]. بمعنى القعود الَّذى هو ضدّ القيام: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران: 191] بمعنى عجز النِّساء: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ وهو المقصود في صدر هذه الآية[1].

وإنَّ القواعد هنا جمع قاعد وهو من الصفات الخاصة بالإناث، إذ اختلف في الدّلالة على معناها، فقيل: إنَّ القواعد من النِّساء هنَّ اللاتي كبرن وقعدن عن الميل إليهن والافتتان بهن، وقيل: إنّما سُمينَ بذلك؛ لأنَّهن بعد الكبر يكثرن القعود، وقيل: لقعودهن عن الاستمتاع بهن فأيسن، وقيل: القاعدات عن الحيض اللواتي انقطع عنهن الحيض وإلى هذا ذهب ابن كثير[2]، وإنّما خَصّ القواعد بوضع الجلباب لإنصراف النفوس عنهن ما لم يُبدِ شيءٌ من عوراتهن، وأمّا الشاباتُ المُشْتَهياتِ فيمنعن من وضع وترك وخلع الجلباب أو الخمار، ويُؤمرنَ بلبس أكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن، وذهب القرطبي وابن كثير يلتمسان معنى (غير متبرجاتٍ بزينة) فعندهما: أنّهن غير مظهرات وغير قاصدات بوضع الجلباب ليُنظر إليهن بما عليهن من الزينة[3].

---

[1] ينظر: بصائر ذوي التمييز: الفيروز آبادي 285/4، 286.

[2] ينظر: البحر المحيط 434/6، تفسير ابن كثير 83/6.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن 309/12، تفسير ابن كثير 84/6.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم المرأة اليائس، والمراد باليأس في أصل اللغة هو القُنوط وهو نَقِيضُ الرَّجَاءِ، يُقال: يَئِسَ مِنَ الشَّيْءِ يَيْأَسُ، ويَئِسَ يَيْئِسُ ويَيْأَس: عَلِمَ[1]. فالمرأة اليائسة هي أول يأسها وهي الّتي انقطع عنها دمّ الحيض؛ لأنَّها طُعنت في السن[2]، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة عِدَّةَ ذواتِ الأقراء والمُتوفَّى عنها زوجها، وذكر عِدَّة سائر النسوة اللائي لم يذكرن هناك في هذه السورة، فقد روي أنَّ معاذ بن جبل قال: يا رسول الله قد عرفنا عِدَّةَ الّتي تحيضُ، فما عِدَّةُ الّتي لم تحض فنزل: (واللائي يئسن من المحيض)، وقوله: (إن ارتبتم) أي إن أشكل عليكم حكمهن في عِدَّةِ التي لا تحيضُ، فهذا حُكمُهنَّ، وقيل: إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ الإياس وقد قدّروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر فلما نزل قوله تعالى: فعدتهن ثلاثة أشهر قام رجل فقال: يا رسول الله فما عدة الصغيرة التي لم تحض؟ فنزل: واللائي لم يحضن أي هي بمنزلة الكبيرة التي قد يئست عدَّتها ثلاثة أشهر، فقام آخر وقال، وما عدة الحوامل يا رسول الله؟ فنزل: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن[3].

---

[1] ينظر: لسان العرب (يأس) 259/6، 260.

[2] ينظر: المحرر الوجيز 325/5.

[3] ينظر: مفاتيح الغيب 563/30.

قال تعالى: ﴿. . .وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: 6].

يبين الله سبحانه وتعالى في هذهِ الآية حكم المرأة الحامل المطلقة فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن يعني حق الرضاع وأجرته وقد مر، ((وهو دليل على أن اللبن وإن خلق لمكان الولد فهو ملك لها، وإلا لم يكن لها أن تأخذ الأجر، وفيه دليل على أن حق الرضاع والنفقة على الأزواج في حق الأولاد، وحق الإمساك والحضانة والكفالة على الزوجات، وإلا لكان لها بعض الأجر دون الكل))[1]، ثم بين قدر الإنفاق بقوله: لينفق ذو سعة من سعته أمر أهل التوسعة أن يوسعوا على نسائهم المرضعات على قدر سعتهم ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على مقدار ذلك، ونظيره: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: 236] وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7]، أي ما أعطاها من الرزق، فقيل: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني[2].

6_ الدلالة اللُّغوية:

عرَّفها التهانوي بقولهِ: ((وهي عند أهل العربية والأصول كون اللفظ بحيث إذا اطلق فهم المعنى منه للعلم بالوضع))[3]، وتعني دلالة اللفظ على معنى بنفسه[4].

---

[1] المصدر نفسه 564/30.

[2] ينظر: نفسه 564/30.

[3] كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوي 288/2.

[4] ينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: حامد كاظم عباس: 105.

ويمكن أن ننظر في الظَّواهر الدّلالية المختلفة الموجودة في القرآن الكريم في إطار ما يعرف بالعلاقات الدّلالية التي تقوم على أساس أنَّ المعنى المعجمي للكلمة يمكن تحليله إلى عناصر أولية، إذ تنشأ العلاقة الدّلالية بين كلمة وأخرى بناءً على التّشابه أو التّقارب في المعنى المعجمي[1]، وقد جاءت في الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم فيما يُعرف بالمشترك اللّفظي والتقابل الدلالي والفروق اللُّغوية والعطف ودلالة الجمل والّتي ستفصلها الباحثة على النحو الآتي:

1_ المشترك اللّفظي:

يمتاز المشترك اللّفظي بوجوده في كتب علماء اللغة، وذلك بوصفه ظاهرة لغوية دلالية، إذ اتفق العلماء العرب القدماء والمحدثون بصفة عامة على وقوعه في اللغة[2].

وأقدم نص دلَّ عليه كان عند سيبويه، فقد قال: ((اعلم أَنَّ مِن كلامهم اختلاف اللَّفظَين لاختِلَاف المَعنَيَين، واختلَاف اللّفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللَّفظين واختلاف المعنيين...، نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أَردتُ وجدان الضَّالَّة، وأَشباهُ هذا كثير))[3].

ثُمَّ يأتي بعد ذلك ابن فارس فيتناوله تحت باب (أجناس الكلام) في الاتفاق والافتراق، فيقول: ((يكون ذلك على وجوه: فمنه اختلاف اللّفظ والمعنى، ... ومنه

---

[1] ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: خليل حلمي: 121.

[2] ينظر: المشترك اللفظي وترجمة معاني القرآن الكريم (دراسة وتمهيد لمعجم عربي _ انجليزي): د. المولودي بن إسماعيل عزيز (بحث منشور): 18.

[3] الكتاب: سيبويه 24/1.

اختلاف اللّفظ واتفاق المعنى، ... ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا: عين المال وعين الرّكبة وعين الميزان))[1].

وقد اتضح مفهومه عند السيوطي فقال: ((هو اللّفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة))[2]، فهو يرى أن تأتي اللّفظة الواحدة بمعنيين مختلفين أو أكثر.

ولو تتبعنا هذا المصطلح عند المُحدِّثين نجد أَنَّهُم تناولوه في كتبهم فالدكتور إميل بديع يعقوب عرفه بقوله: ((هو كل كلمة لها معان عديدة حقيقية غير مجازية))[3]، فيرى أنَّ اللّفظة الواحدة الّتي تحمل معاني حقيقية عديدة تكون مشتركاً لفظياً، ثُمَّ يرى أنّ الاشتراك ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغات العالم ؛ وليس في اللغة العربية فحسب، ومن التعسف إنكار وجودها في اللغة العربية، وتأويل جميع أمثلتها تأويلاً يخرجها من هذا الباب، وذكر أَنَّ سبب وجود الاشتراك اللّفظي في اللغة العربية يعود إلى عوامل عديدة منها: اختلاف اللهجات العربية القديمة، والتطور الصوتي، وانتقال بعض الألفاظ من معناها الأصلي إلى معانٍ مجازية أخرى لعلاقة ما والعوارض التعريفية[4].

وأمّا الدكتور صبحي الصالح فيرى أَنّ تعريف أَهل الأصول للمشترك هو أدق ما يُحد بهِ، فهو عندهم ((اللّفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة))[5]، وقد أورد تعريف المشترك بأنه: ((هو ما اتحدت

---

[1] الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها: ابن فارس: 152.

[2] المزهر في علوم اللغة وأنواعها: السيوطي: 292.

[3] فقه اللغة العربية وخصائصها: إميل بديع يعقوب: 178.

[4] ينظر: المصدر نفسه 179 –181.

[5] دراسات في فقه اللغة: صبحي الصالح: 301.

صورته واختلف معناه))[1]، ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع المعنى، وأنَّ الصورة الواحدة تتماثل في المشترك ولكن تتغاير طرق استعمالها، وأنَّ كثرة المشترك النسبية في لغتنا هي الّتي تجعل بحث المشترك مندرجاً تحت اتساع العربية في التعبير على أنّه خِصيصة لا تُنكر من خصائصها الذاتية[2].

وقد تناول الدكتور محمّد المُبارك المشترك اللّفظي، فهو يرى أنَّ تعدد معاني اللّفظ الواحد ظاهرة لغوية موجودة في اللغات الشائعة جميعها؛ لأَنَّ منشأها وسبب وجودها هو تسمية الأشياء ووضع الألفاظ وهو أمر عام في اللغات، وهذه الظاهرة هي الّتي يسميها العلماء القدماء بالاشتراك، وسمّوا اللفظ المتصف بهذه الصفة المشترك[3].

وأشار إلى أنَّ أكثر الأصول هي ذات معان عامة، بعد ذلك تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة، لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسمّيات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو في ذلك المعنى العام، ومن الأمثلة الّتي ساقها كلمة (دليل) يقصد بها من يدل على الطريق أو من يطوف مع السائحين في عصرنا ليدلهم على الأماكن الجديرة بالزيارة، ويراد بها أيضا الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد لدلالة الغريب على معالمهِ وأثارهِ، ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان؛ لأنَّ جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالّة لقاصدها وإن كانت هي في ذاتها مختلفة[4].

وسوف تقتصر الباحثة على ذكر بعض الأمثلة الواردة في الخِطابِ النِّسوي؛ لتكون مثالاً للألفاظ الّتي تحمل معاني متعددة وعلى النحو الآتي:

---

[1] دراسات في فقه اللغة: 302.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 302.

[3] ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك: 199.

[4] ينظر: المصدر نفسه: 198.

أ _ سريّا:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24].

فـ (سريّا) مشترك لفظي جاء ليعبر عن معانٍ مختلفة، فقد ورد بمعنى النهر؛ لأنّ من العرب من يسمّي النهر سريّاً، إذ لا خلاف بين أهل اللغة أَنَّ السّري هو النهر بمنزلة الجدول[1]، وسمّي سريّا لأَنَّ الماء يسري فيه.

فقد جاء في كتب التفسير بأَنَّ هناك نهراً يابساً قد انقطع عنه الماء، فأجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء لمريم (عليها السّلام) وأحيا به ذلك الجذع اليابس حتى أورق وأثمر، لتكون النخلة طعاماً لها، والنهر شراباً لها[2].

وجاء بمعنى السيد الشَّريف، فهو مأخوذ من قولهم فلانٌ من سروات القوم أي أشرفهم[3]، وكان المقصود هنا عيسى عليه السلام فقد كان سرياً من الرجال بأن جعله الله سيداً شريفاً في قومه، وقد بشرها به بأنه سيكون له شأن أي الشأن، فقد يكون أُنساً لها يذهب بحزنها، فلا يشغلها ما تنظره من ملامة[4].

وترى الباحثة أنَّ المعنى الأول هو الأقرب لمعنى الآية فقد بشرها بأن جعل تحتها نهراً قد جرى للحظتهِ وتدفق فيه الماء العذب الزُلال.

ب _ أكبرنه:

---

[1] ينظر: معاني القران وإعرابه: الزجاج 3/ 325، النكت والعيون 3/ 365.

[2] ينظر: تفسير القران: السمعاني 3 / 286، معالم التنزيل 3 / 230، فتح القدير 3/ 388.

[3] ينظر: النكت والعيون 3 / 365.

[4] ينظر: زهرة التفاسير: أبي زهرة 9 / 4629.

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31].

ذهب معظم المفسرين إلى أنَّ الفعل (أكبرنه) مشتركٌ لفظي وَرَدَ بمعنيين: أولها: بمعنى أعظمنهُ وأجللنهُ وهبن ذلك الحُسن الرائع والجمال الفائق، وثانيها: بمعنى حِضنَ[1] .

ومن اللُّغويين من أخرج معنى حِضنَ مخرجاً حسناً فقال: ((إن صحت هذه اللّفظة بمعنى الحيض فلها مخرجٌ حسنٌ؛ وذلك أَنَّ المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حدِّ الصِّغر إلى حدِّ الكِبَر، فقيل لها: أَكبرت أي حَاضت فدخلت في حدِّ الكبر الموجب عليها الأمر والنّهي))[2]، وممّا ورد في كلام العرب قولهم: سألتُ رجلاً من طيٍّ فقلت لهُ: يا أخا طيٍّ ألك زوجة ؟ قال لا والله ما تزوّجتُ، وقد وعدت في ابنة عمّ لي، فقلتُ: وما سِنُّهَا ؟ قال: قد أكبَرَت أو كَبِرَت، فقلت وما أكبَرَت؟ قال: حاضت، فإنَّ لغة طيءٍ ترى أنَّ إكبارَ المرأة هو أوّل حيضها[3].

أمّا الرازي فلهُ وجهٌ آخر في معنى حِضنَ فقال: ((إنَّ المرأة إذا خافت وفزعت فرُبما أسقطت ولدها فحاضت))[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان 16/ 75، معاني القران وإعرابه: الزجاج 3 / 106، النكت والعيون 32/3، معالم التنزيل 2/ 489، الكشاف 2 / 464، 465، المحرر الوجيز 3 / 239.

[2] تهذيب اللغة (كبر) 10/ 120.

[3] ينظر: المصدر نفسه 10/ 120، 121.

[4] مفاتيح الغيب 18/ 448.

وذهبت الباحثة إلى أنَّ معنى أعظمنه وأجللنه هو أقرب لمعنى الآية؛ وذلك لأنهن عندما رأين يوسف وما فيه من الحسن والجمال الكبيرين فقد أكبرنه ودُهشنَ لرؤيتهِ.

ج ـ صوماً:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26].

فكلمة (صوماً) مُشترك لفظي جاءت بمعنيين هما:

الأوّل: هو الصوم عن الطعام والشراب.

الثّاني: بمعنى الصمت[1].

ف (الصوم) في أصل اللّغة هو الإمساك، فيقال لمن ركد في مكانه بأنّهُ مُمسكٌ، فكل إمساكٍ وركودٍ في مكان هو صوم[2]، ويراد به أيضاً الإمساك عن الشيء الترك له، والصوم هو ترك الطعام والشراب والنكاح والكلام، فيقال: للصامت صائمٌ لإمساكه عن الكلام، وقيل: للفرس صائمٌ، لإمساكهِ عن العلف مع قيامهِ، وكلُّ ممسك عن طعامٍ أو كلامٍ أو سيرٍ فهو صائمٌ، وفي الحديث قال النبي (صلى الله عليه وآله) قال الله تعالى: ((كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنّهُ لي))[3]، فقد خصَّ الله تبارك وتعالى الصوم بأنّه له وهو يجزي به، وإن كانت أعمال البر كلها له وهو

---

[1] ينظر: النكت والعيون 367/3.

[2] ينظر: مقاييس اللغة (صوم) 323/3.

[3] صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري 806/2.

يجزي بها، لأَنَّ الصّوم لا يظهر من ابن آدم بلسانٍ ولا فعلٍ فتكتبه الحفظة، إنّما هو نية في القلبِ، وإمساكٌ عن حركة المطعم والمشرب[1].

ففي هذه الآية قد أُمرت السيدة مريم (عليها السلام) بالصوم وهو الصمت، وأن تترك جدال أي أحد، فلمّا كلمها بنو إسرائيل فقد اكتفت بالإشارة إلى وليدها[2].

وترى الباحثة أَنَّ المأمور به ليس الصوم الشّرعي، وذلك لتقدم قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾، وإنّما أُمرت بالصوم عن الكلام وهو الصمت ويدلّ على هذا قوله تعالى: (فلن أُكلم اليوم إنسيا).

فقد يسأل سائل ما السبب الذي من أجلهِ أمرها الله بالصّوم عن كلام البشر؟ فمرجع ذلك إلى أمور عديدة هي:

1_ لم يكن عند مريم (عليها السلام) حجةٌ ظاهرة عند الناس؛ وذلك أنّها جاءت وهي أيّمٌ بولد فأمرت بالكفِّ عن الكلام ليكفيها الله بما أُمرت به[3].

2_ إنَّها امتنعت من الكلام؛ لِأَنَّ عيسى (عليه السلام) سيكفيها عن الكلام فيكون فيهِ براءة ساحتها[4].

3_ إنَّه كان من صام في ذلك الزّمان لم يُكلِّم النّاس، فأُذِنَ لها في هذا المقدار من الكلام وذلك بأن تقول للناس (إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا)[5].

---

[1] ينظر: لسان العرب (صوم) 12/250،251.

[2] ينظر: جامع البيان 18/183.

[3] ينظر: المصدر نفسه 18/183.

[4] ينظر: النكت والعيون 3/368، الكشاف 3/14.

[5] ينظر: النكت والعيون 3/368.

4_ كراهة مجادلة السُّفهاء ومثاقلتهم، فقد ورد أنَّ السّكوت عن السَّفيهِ واجبٌ، وإنّ من أذل الناس هو السفيه الذي لم يجد مُسافها[1].

2_ التقابل الدلالي:

التقابل لغة:

جاء في معجم العين: ((القبُلُ: خلاف الدبر، ... والقُبْل: من إقبالك على الشيء، تقول: قد أقبَلْتُ قُبْلَكَ، كأنك لا تريد غيره. والقِبَل: الطاقة، تقول: لا قِبَل لهم. وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قِبَلاً أي مواجهة))[2].

وقال ابن فارس: ((الْقَافُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ تَدُلُّ كَلِمُهُ كُلُّهَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ))[3].

أمّا ابن سيده فقد قال: ((وقابل الشَّيء بالشَّيء مُقَابلَة، وقبالا: عَارضه. وتقابل القوم، استقبل بعضهم بعضا))[4].

وفي لسان العرب: ((المُقابَلَة: المُواجهة، والتَّقَابُل مِثْلُهُ. وَهُوَ قِبَالُك وقُبَالَتُك؛ أَي تجاهك، وقال أيضاً، قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا: عارضه))[5].

وممّا سبق ذكره نجد أن معنى التقابل في المعجمات العربية يراد به المواجهة والمعارضة كما جاء عند ابن سيده وابن منظور.

التقابل اصطلاحاً:

---

[1] ينظر: الكشاف 3/ 14.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي (قبل) 166/5.

[3] مقاييس اللغة (قبل) 51/5.

[4] المحكم والمحيط الأعظم 429/6.

[5] لسان العرب (قبل) 11/ 540.

تناول العلماء القدماء ظاهرة (التقابل) في دلالة الألفاظ ضمن دراساتهم للغة، ولكنهم لم يستعملوا مصطلح (التقابل) كما استعمله المحدثون، وإنَّما عبَّر عنه بعضهم بالأضداد، ومن العلماء الذين تناولوه تحت باب الاضداد الهمذاني (ت 320هـ)، فقد عقد باباً في كتابه (الالفاظ الكتابية) اسماه (باب الأضداد) جمع فيه ستين زوجاً من الالفاظ المتقابلة منها: (الفرح والغم، اليسار والفقر، الاظهار والكتمان، والنوم واليقظة...)[1].

ووضع ابن الاثير هذه الظاهرة تحت تسمية الاضداد، وبيّن مجموعة من المتقابلات، لبيان المعنى، وشرحه، ومن الأمثلة التي أوردها هي: (البعد ضد القرب، والخصب ضد الجدب، والصواب ضد الخطأ، والعرف ضد النكر، والقبح ضد الحسن، والوحشة ضد الانس، واليسر ضد العسر)[2].

وتطرّق الراغب الاصفهاني إلى ذكر المصطلحات التي تقع ضمن مفهوم التقابل وهي: التناقض والتضاد والتعاكس والاختلاف، وقد جعل مصطلح (الضد) من المتقابلات، وأن الشيئين المتقابلين هما شيئان مختلفان من الذات، فضلاً عن أن كل واحد قباله الاخر، ولا يجتمعان في وقت واحد على الاطلاق، وهذه الأشياء هي: (الضدّان كالبياض والسواد، والمتناقضان كالضعف والنصف، والوجود والعدم، كالبصر والعمى الموجبة والسالبة في الاخبار، نحو: كلّ إنسان ها هنا، وليس كل إنسان ههنا[3].

---

[1] ينظر: المستوى الدلالي للتقابل والترادف: م. م هاشم عبد الله طاهر: 82.

[2] ينظر: المصدر نفسه 82.

[3] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 232.

ويقصد بالتقابل: ((كل كلمتين تحمل إحداهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى))[1].

وعرّفه الدكتور أحمد نصيف الجنابي بأنَّه: ((وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى، مثل: الخير والشر، والنور والظلمة، والحب والكراهية، والكبير والصغير، وفوق وتحت، ويأخذ ويعطي، ويضحك ويبكي))[2].

ومن أمثلة التقابل في الخِطاب النِّسوي الآتي:

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34].

جاء التقابل بين مفردتي (أعِزّة) و(أذِلة) في موضعٍ واحد من الخِطاب النِّسوي، وذلك على لسان ملكة سبأ.

فـ (العز) من جهة أصل اللغة تعني القوّة، جاء في الصحاح: ((العِزُّ: خلاف الذُلّ. ومطر عز، أي شديد...، وعزه أيضاً يَعُزُّهُ عَزًّا: غلبه...، والاسم العِزَّةُ، وهي القوة والغلبة))[3]، وقال ابن فارس: ((الْعَيْنُ وَالزَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ وَمَا ضَاهَاهُمَا، مِنْ غَلَبَةٍ وَقَهْرٍ))[4]، و((الْعِزُّ: ضِدُّ الذُّلِّ، تَقُولُ مِنْهُ: عَزَّ يَعِزُّ عِزًّا بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِيهِمَا وَعَزَازَةً بِالْفَتْحِ، فَهُوَ عَزِيزٌ أَيْ قَوِيٌّ بَعْدَ ذِلَّةٍ))[5].

---

[1] المعجم العالمي الموسوعي: 15.

[2] ظاهرة التقابل في علم الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي، (بحث منشور) ضمن مجلة آداب المستنصرية، العدد 10، لسنة 1984 : 15.

[3] الصحاح (عزز) 885/3، 886.

[4] مقاييس اللغة (عزّ) 38/4.

[5] مختار الصحاح (عزز): 207.

أمّا (الذُّل) فهو نقيض العز، وفي ذلك يقول ابن سيده: ((الذُّلُّ نَقِيضُ العِزِّ ذَلَّ يَذِلُّ ذُلا وذِلَّةً وذَلالَةً ومَذَلَّةً فهو ذَلِيلٌ من قَوْمٍ أَذِلاءَ وأَذِلَّةٍ وذِلالٍ))[1].

فقد ابتدأت الآية الكريمة بخِطاب ملكة سبأ لأهل مشورتها، إذ أبدت لهم رأيها مفضلة جانب السِّلم على جانب الحرب، إذ كانت شديدة الحذر من الدخول تحت سلطة سُليمان (عليه السلام)؛ لأنَّ نهاية الحرب فيها احتمال أن ينتصر سليمان (عليه السلام) فتصير مملكة سبأ إليه وتكون تحت تصرُّفِه، وقد ابتدأت قولها ب(إنَّ) تأكيداً لعلمها بطبائع الملوك وجاء علمها هذا بعد تصَرُّف مَلك جديد في مدينتها فعلمت بقياس شواهد التاريخ، وبخبرة طبائع الملوك إذا تصرّفوا في مملكة غيرهم أن يقلبوا نظام المملكة إلى ما يُساير مصالحهم واطمئنان نفوسهم من انقلاب الأُمّة المغلوبة عليهم في فرض الضعف أو لوائح الاشتغال بحوادث مهمة، وقد جاء التعبير بصيغة الماضي في قوله تعالى: (إذا دخلوا) للدلالة على الاستمرار، وجاء التقابل القرآني بين المتضادين الاسمين (أعزة وأذلة) لغرض التحذير، وإنَّ تحذيرها لأهل مشورتها جاء بعد قولهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: 33]، أي نحن جماعة من أهل الحرب قادرون على القتال وعارفون بأساليبه، وشديدي القوة على العدو[2]. وقد فضّلت جانب السلم على الحرب لخوفها على أهل مشورتها وقلقها على مملكتها.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

---

[1] المحكم والمحيط الأعظم (ذلل) 48/10، وينظر: لسان العرب (ذلل) 256/11.

[2] ينظر: التحرير والتنوير 265/19.

ورد التقابل بين (الذكر) و(الأُنثى) في موضعٍ واحد، وتجلّى هذا الموضع من التقابل على لسانِ أم مريم.

فـ (الذكر) في أصل اللغة: ((الذّكر: خلاف الأُنثى))[1]، قال الرازي: ((الذَّكَرُ: ضِدُّ الْأُنْثَى، وَجَمْعُهُ ذُكُورٌ وَذُكْرَانٌ وَذِكَارَةٌ كَحَجَرٍ وَحِجَارَةٍ))[2].

أمّا (الأُنثى) فنجد في مادة أنث: ((الأنثى: خلاف الذكر، ويجمع على إناث. وقد قيل أُنُثٌ كأنَّه جمع إناثِ، وآنَثَتِ المرأةُ، إذا وَلدت أنثى، فهي مُؤْنِثٌ))[3].

((وجاءَ الاسمان المتقابلان معرفين بـ (أل) وهذهِ اللام تُسمّى لام العهد، أمّا الّتي في الأُنثى فقد سُبقَ ذكرها صريحاً في قولها: (إنّي وضعتُها أُنثى)، وأمّا الّتي في الذكر فلقولِها: (إنّي نذرتُ لكَ ما في بطني)، إذ هو الذي طلبته والتحرير لا يكون إلّا للذكر، وسُمِّيَ هذا العهد ب(التقديري) الذي هو خلاف الذهني لأن قولها: (ما فِي بَطْنِي) صالح للصنفين، وقولها: مُحَرَّراً تَمنٍ لأن يكون ذكراً فأُشيرَ إلى ما في البطن حسب رجائها، ويجوز أن تكون الجملة من قولها فيكون مرادها نفي مماثلة الذكر للأنثى، فاللام تكون للجنس لأنَّه لم يقصد خصوص ذكر وأنثى بل إنَّ المراد أنَّ هذا الجنس ليس كهذا الجنس))[4].

---

[1] الصحاح (ذكر) 664/2، المحكم والمحيط الأعظم (ذكر) 788/6.

[2] مختار الصحاح (ذكر): 112.

[3] الصحاح (أنث) 272/1، وينظر: مختار الصحاح (أنث): 23.

[4] روح المعاني 130/2.

وتكمن جمالية التقابل هنا هو أنَّ تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله وقدرتهِ وعظمتهِ بأنَّ ما يفعله الرَّبّ بالعبد خير ممّا يُريده العبد لنفسهِ، ولذلك قدّمت الذكر على الأُنثى وجاءت بهذا التقابل الجميل[1].

وظهر للباحثة أنّها جاءت بهذا التقابل على سبيل التَّحسُّرِ والتَّحزُّن والاعتذار؛ وذلك؛ لأَنَّها أرادت أن يُتقبّل منها النذر وكانت تعتقد بأنَّ الوفاء بالنذر لا يتمُّ إلَّا إذا كان المولود ذكراً، ولمّا وضعت وكانت الموضوعة أُنثى كانت خائفة بعدمِ قبول هذا النذر، وكان اعتذارها بعدم حصولها على ما تمنّت.

3_ الفروق اللغوية:

الفروق في اصطلاح الدارسين ظاهرة لُغويَّة، نالت عناية الدارسين قدماء ومحدثين، ويقصد بها تلك المعاني الدَّقيقة المُتحصلة من الألفاظ، والّتي يلتمسها اللغوي بين الألفاظ المتقاربة المعاني، فيظنُّ ترادفها لخفاء تلك المعاني إلّا على مُتكلِّمي اللُّغة الإقحاح، أو الباحث اللُّغوي[2]، وإنَّ التشابه في معاني الكلمات كان موجوداً عند العرب، فقد ((كان هذا التشابه في الدلالات والتقارب في المعاني ملحوظاً لدى العرب الأقدمين، بيد أنَّه بمرور الزمن وطول العهد، ولكثرة الاستعمال تطورت دلالة هذه الألفاظ، وأصبح الناس يستعملونها بمعنى واحد، غير مكترثين بما بينها من فروق دقيقة، ولا مراعين التباين فيها بحسب أصلها في اللُّغة، إهمالاً لها أو جهلاً بها، فكان أن ترادفت ألفاظ عِدَّة على معنى واحد نتيجة التطور في الاستعمال، وحين أشكل الفرق بين هذه الألفاظ واختلطت معانيها، وصارت مترادفة في الاستعمال هالَ الأمرُ بعضَ علماء العربية، فعدّوا ذلك ضرباً من الفساد اللُّغوي،

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 204/8.

[2] ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: محمد ياس خضر الدوري (أطروحة دكتوراه): 7.

واللَّحن المُسْتَكرَه، فتأهبوا للوقوفِ بوجه هذا التَّيار، يستنكرونه ويصوبونه، حرصاً منهم على تنقية اللُّغة، وحِفاظاً على أصالتها وسلامتها، محتجين بدلالات الألفاظ القديمة، ومعوّلين على ما ذكره الأقدمون من اللغويين، وما وَردَ عن العرب الفصحاء إبانَ عصور الاحتجاج))[1].

وعندما نُلاحظ أنَّ الغاية الأساسية من الفروق اللُّغوية هو البحث في المعاني الدقيقة للألفاظ، نجد أنَّ هذا العلم قد دخل في إطار علم اللُّغة إذ هو مظهر من مظاهر علم الدّلالة، وهذا العلم من المسائل الجوهرية في علم اللُّغة[2].

وبما أنَّ الفروق هي فرع من فروع علم الدّلالة فهي تبحث في أصول المعنى، ومحاولة إرجاعهِ إلى أصل وضعه اللُّغوي لئلا يلتبس بما يُقاربه من الألفاظ؛ لأنَّه يبحث في العلاقات الدلالية الّتي تربط بين الألفاظ، وتجعل هذه الألفاظ في حقلٍ دلاليٍ خاص يتقارب فيها المعنى العام، ويفترق في الدلالات الخاصة، وإنَّ لنظرية الحقول الدّلالية مكانها في علم اللُّغة، وذلك لما لها من أثرٍ في كشفِ العلاقات الدّلالية بين الألفاظ المتقاربة، ومحاولة إظهار الفروق بينها، فمسألة دلالة الألفاظ على فروق دقيقة ليست وليدة العصر، بل كان للعلماء الحظ الوافر في الكشفِ عنها وتتبعها في اللُّغة[3].

وفيما يأتي أمثلة من الفروق اللُّغوية الّتي وردت في الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم وعلى النحو الآتي:

أ ـ الفرق بين الأم والوالدة:

---

[1] الترادف في اللغة: حاكم مالك الزيادي: 222.

[2] ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران: 261.

[3] ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: 10، 11.

الأم في أصل اللغة: هي ((كلُّ شيءٍ يضمُّ إليه سائر ما يليه فإنَّ العرب تُسمّي ذلك الشَّيْء أُمّاً))[1]، ويقال لكلِّ ما كان أصلاً لوجود شيءٍ أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أمّ، ولهذا قيل لحواء: هي أمنا، وإن كان بيننا وبينها وسائط، لأنّها أصل الوجود، والأمُّ بإزاء الأب، هي الوالدة القريبة الّتي ولدت، والبعيدة الّتي ولدت من ولدته[2]. وأمّا في القرآن الكريم فقد دلّت كلمة (الأم) على معانٍ عديدة، فقد جاءت بمعنى الأم الوالدة كما في قولهِ تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]، وجاءت بمعنى المرضعة كقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: 23]، فالوالدة هي الّتي ولدت، يُقال: وَوَلَدَتِ المرأَةُ وِلاداً ووِلادة وأَوْلَدَتْ: أي حَانَ وِلادُها[3].

وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى أنَّ كلمة (الوالدة) في القرآن الكريم استُعملت بصفة الوالدية أو الحمل والولادة الّتي هي أعلى درجات القرابة وأوثقها، ولذا عُلقت بها أحكام خاصة مثل البرّ وأحقية الرضاعة، كما في قولهِ تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233]، وقولهِ تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32]، وقولهِ تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِيَ عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ [المائدة: 110] [4].

ونلاحظ ممّا سبق ذكره أنَّ لفظتي (الأم والوالدة) بينهما تقارب دلالي، إذ تشتركان في ملمحٍ دلالي هو الدلالة على الأصل، وأمّا الملامح الدلالية الفارقة هو

---

[1] العين (أمم) 426/8.

[2] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 85.

[3] ينظر: لسان العرب (ولد) 467/3.

[4] ينظر: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: د. أحمد مختار عمر: 116.

أنَّ كلمة (الأم) تدلُّ على عموم معناها، فهي تدلُّ على معانٍ عديدة كالوالدة، والمرضعة، والحامل، والأصل، وأزواج النبي (صلى الله عليه وآله)، وأمّا كلمة (الوالدة) فهي تدلُّ على الخصوص، فيقتصر استعمالها في وصف الوالدة، وذلك في سياقات تُرتِّب أحكاماً شرعية خاصة بهذهِ الصفة[1].

ب ـ الفرق بين البصر والرؤية والنظر:

فـ (البصر) في أصل اللُّغة يراد بِه: وُضُوحُ الشَّيْءِ، يُقَالُ: بَصُرْتُ بِالشَّيْءِ: إِذَا صِرْتَ بِهِ بَصِيرًا عَالِمًا، وَأَبصَرتُهُ: إِذَا رَأَيتَهُ[2]، وهو ((اسْم للرؤية ...، وَيُسمّى الْعلم بالشَّيْء إِذا كَانَ جليا بصراً، يُقَال: لَكَ فِيهِ بصرٌ يُرَاد أَنَّك تعلمه كَمَا يرَاهُ غَيْرك))[3]، وقد استعملت هذه الكلمة مرتين في الخِطاب النِّسوي، الأولى في شأنِ أخت موسى (عليها السلام)، وذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11]، والثانية في شأنِ النِّساء المؤمنات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ [النور: 31].

ففي الآية الأولى كانت المبصرة أخت موسى (عليه السلام) فقد استعملت حاسّة البصر لترقّب مكان أخيها فقد صوّرت بهيئة الناظر بحدقتهِ، قال ابن عاشور: ((بَصُرَ بِالشَّيْءِ صَارَ ذَا بَصَرٍ بِهِ، أَيْ بَاصِرًا لَهُ فَهُوَ يُفِيدُ قُوَّةَ الْإِبْصَارِ، أَيْ قُوَّةَ اسْتِعْمَالِ حَاسَّةِ الْبَصَرِ وَهُوَ التَّحْدِيقُ إِلَى الْمُبْصَرِ، فَ (بَصُرَ) أَشَدُّ مِنْ (أَبْصَرَ). فَالْبَاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى مَفْعُولِهِ بَاءُ السَّبَبِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ الْعِنَايَةِ بِرُؤْيَةِ الْمَرْئِيِّ حَتَّى كَأَنَّهُ

---

[1] ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: محمد محمد داوود: 79، 80.

[2] ينظر: مقاييس اللغة (بصر) 254/1، لسان العرب (بصر) 64/4.

[3] الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: 82.

صَارَ بَاصِرًا بِسَبَبِهِ. وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْبَاءَ زَائِدَةً لِتَأْكِيدِ الْفِعْلِ فَتُفِيدَ زِيَادَةَ مُبَالَغَةٍ فِي مَعْنَى الْفِعْلِ))[1]، فقد استعمل الله سبحانه وتعالى لفظة (فبصرت به) للدلالة على شدّة عنايتها برؤية أخيها، وكأنَّها صارت باصِرة بسببهِ.

أمّا في الآية الثانية فالمُبصِرات هُنَّ المؤمنات، فقد أُمِرنَ أن يخفضنَّ من أبصارهن[2]، عمّا لا يحل لهن، وإنَّ (مِنْ) هنا للتبعيض، إذ المراد غض البصر عمّا يُحرّم والاقتصار بِهِ على ما يحل؛ وذلك لأنَّ أول نظرة لا يملكها الإنسان وإنَّما يغض طرفه منها وبذلك فقد وقع التبعيض، ويجوز أن تكون (مِنْ) هُنا لبيان الجنس، ويصِحُّ أن تكون لابتداء الغاية، وهناك من ذهب إلى أنَّ (مِنْ) هاهُنا زائدة بمعنى: يغضضنَّ أبصارهنَّ، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 85]، وهو مذهب الأخفش[3].

ومِمّا يُلاحظ أنَّ لفظة (البصر) في كلتا الآيتين جاءت معانيها حول الإدراك بحاسة البصر وهي العين.

وأمّا (رأى) في الأصل اللُّغوي فيراد بهِ: العلم بالشيء، إمّا بالعينِ أو بالقلبِ[4]، فالرؤية تُستعمل للإدراكِ المرئي، أي الإدراك بحاسة البصر، وللإدراك بالوهم والتخيّل، والتَّفكّر والتَّعقل[5].

---

(1) التحرير والتنوير 83/20.

(2) ينظر: تفسير المراغي 96/18.

(3) ينظر: المحرر الوجيز 177/4، مفاتيح الغيب 360/23، البحر المحيط 32/8.

(4) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (رأى) 338/10، لسان العرب (رأى) 291/14.

(5) ينظر: المفردات في غريب القرآن: 374.

ووردت هذهِ الكلمة في الخِطاب النِّسوي مرتين، الأولى في شأنِ مريم (عليها السلام)، وذلك في قولهِ تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26]، والثانية في شأنِ نسوة المدينة، وذلك في قولهِ تعالى: ﴿...فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31].

ففي هاتين الآيتين جاء الإدراك بالحاسّةِ فقط دون الإدراك بالتَفكّرِ والتعقل، ففي الآية الأولى أُمِرت مريم (عليها السلام) إذا رأت من البشرِ أحداً وتَيقنت بوجوده أن تقول إني نذرت للرحمنِ صوما، فالرؤية هُنا بمعنى الإدراك بالبصرِ؛ أي بمجرد أن ترى أحداً تُخبِرَه بأنَّها نذرت للرحمنِ صوما. وفي الآية الثانية عندما رأينَ نسوة المدينة يوسف (عليه السلام) وتيقنَّ بوجودهِ أكبرنه ودُهشنَ لرؤيتهِ، فكانت رؤيتهن له مُدركاً بحاسّة البصرِ أيضاً[1].

وأمّا (النظر) في أصل اللُّغة: فهو تأمل الشيء ومعاينتُهُ[2]، وهو طلب مَعْرِفَة الشيء مِن جِهَتهِ وَمن جِهَة غَيرهِ، وحد النّظر هو طلب إِدْرَاك الشَّيْء من جِهَة البَصَر أَو الفِكر، وَيحتَاج فِي إِدرَاكِ مَعناه إِلَى الْأَمرينِ كليهما، كالتأمل لِلخَطِّ الدَّقِيق بالبصر أَولاً ثمَّ بالفكر، لِأَن إِدرَاك الخط الدَّقِيق الَّذِي بِهِ يُقرَأ طَرِيقٌ إِلَى إِدرَاكِ المَعنى، وَكَذَلِكَ هو طَرِيق الدّلَالَة المؤدية إِلَى العلم بِالمَعنَى، وأصل النّظر المُقَابلَة فالنظر بالبصر الإقبال نَحْو المبصر وَالنَّظَر بالقلب الإقبال بالفكر نَحو المفكر فِيهِ[3].

---

[1] ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: 95.

[2] ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية (نظر) 830/2.

[3] ينظر: الفروق اللغوية: 74.

وقد وردت هذهِ الكلمة مرتين في الخِطاب النِّسوي في شأنِ بلقيس ملكة سبأ، وذلك في قولهِ تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: 33]، وكذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35]، فإنَّ (ناظرة) هُنا تحمل معنيين هُما: منتظرة[1]، ومتأملة فاحِصة[2].

وإنَّ ألفاظ (البصر والرؤية والنظر) مُتقاربة دلاليّاً، إذ إنَّها جميعاً تشترك في معنى تأمُّل الشيء لإدراكهِ، لكن تمتاز كُلّ واحدة منهما عن الأُخرى في درجة الإدراك، أعلاها الرؤية الّتي تتميز باليقين، ثُمَّ الإبصار الذي يتميّز بالوضوح، وأدناها رتبةً هو النظر الذي قد يكون توجُّه العين إلى الشيءِ دون رؤيتهِ، وقد يكون تدبُّراً مع رؤية الشيء[3].

ج _ الفرق بين الفؤاد والقلب:

الفؤاد في أصل اللغة من التفؤدِ فهو يَدُلُّ عَلَى حُمَّى وَشِدَّةِ حَرَارَةٍ، ومِن ذَلِكَ: فَأَدْتُ اللَّحْمَ: شَوَيْتُهُ، وَهَذَا فَئِيدٌ، أَيْ مَشْوِيٌّ[4]، وَالْفُؤَادُ: القلبُ، سُمِّي بذلك لِتَفَؤُّدِه وتوقُّدِه[5]، وَقِيلَ: الفُؤاد هو وسَطُ القلبِ، وَقِيلَ: الْفُؤَادُ غِشاءُ القلبِ الّذي يُحيط بهِ، والقلبُ حَبَّتُهُ وسُوَيْداؤُه، ومنه أيضاً: فأَد الْخُبْزَةَ فِي المَلَّة يَفْأَدُها فَأْداً: شَوَاهَا، والفَئِيدُ:

---

[1] ينظر: الجامع لأحكام القرآن 200/13.

[2] ينظر: البحر المحيط 233/8.

[3] ينظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: 136.

[4] مقاييس اللغة (فأد) 469/4.

[5] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 646.

مَا شُوِيَ وخُبِزَ عَلَى النَّارِ، وَالتَّفَؤُّدُ: التَّوَقُّدُ[1]، وسمّيَ الفؤاد فؤاداً لتوقُّدِهِ وشدة حرارتهِ[2].

أمّا القلب فقال فيهِ الأزهري: ((رأيتُ بعضَ العرب يُسمّي لُحمة القلبِ كُلَّها شحمها وحجابها قلباً وفؤاداً، ولم أرهم يفرقون بينهما، ولا أُنكر أن يكون القلبُ هي العلقة السَّوداء في جوفهِ))[3].

وقد جاءت هاتان المفردتان في شأن أمِّ موسى وذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10].

وقد استعمل القرآن الكريم بعض الألفاظ على سبيل المجاز؛ لتدلَّ على جملة معانٍ، ومن هذهِ الألفاظ (الفؤاد) فهو ليس كالجوارح الأخرى الّتي تقوم كلّ جارحةٍ بوظيفتها الحسية أو الفسلجية، بل هو موطن الشعور والتّعقل والتّأثر بالمعتقدات والأفكار، فهو ألطف ما في الجسد على الإطلاق وهو أشدُّ تألماً بأدنى أذى يمسّهُ حتى قيل إنّ الفؤاد سريع التأثر بما يفاجئ الإنسان من الفزع والخوف[4]، والفرق بين الفؤاد والقلب هو أنَّ الفؤاد يدلُّ على الفراغ والفضاء في مقام الفزع لسرعة تأثرهِ بالمواقف أمّا القلب فيدلُّ على تقوية العزائم والشجاعة وتعوُّد الصبر ولذا اقترن (بالربط)[5].

---

[1] ينظر: لسان العرب (فأد) 3/328،329.

[2] ينظر: المفردات في غريب القرآن: 368.

[3] تهذيب اللغة (قلب) 3/220.

[4] ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: 106، 107.

[5] ينظر: المصدر نفسه: 107، 110.

وترى الباحثة أنَّ استعمال القرآن الكريم الفؤاد هنا جاءَ ليصف ما أصاب أم موسى من أذى لفراق ولدها، وإنَّ هذا الفؤاد أصبحَ فارغاً لا قلب فيه، إذ وصف الفؤاد بأنّه غشاءٌ للقلب، وقد عُبرَّ بهذا التعبير لبيان حالها وما كانت عليهِ من الخوف والحزن على ابنها، أو أنَّ فؤادها صار محترقاً لشدة توقدهِ وحرارتهِ.

4_ دلالة الجمل في الخِطاب النِّسوي:

الجملة:

تطرّقَ ابن جني إلى ذكر الجملة في حديثهِ عن الكلام فقال: ((أمّا الكلام فكُلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يُسمّيه النحاة الجمل، نحو: زيد أخوك، وقام محمد))[1]، وهو((في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها المستغنية عن غيرها، وهي الّتي يسمّيها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلافِ تراكيبها))[2]، فيُلاحظ من قولهِ هذا أنَّه قد ساوى بين مصطلحي الجملة والكلام، ونظرَ إليهما بأنّهما مُترادفان.

أمّا الزمخشري فقد قال: ((والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر وتسمّى الجملة))[3]، فنرى من قول الزمخشري أنّه أيضاً ساوى بين مصطلحي الجملة والكلام ولكنه جعل الإسناد أساساً لوجود الائتلاف بين الجمل.

---

[1] الخصائص: ابن جني 18/1.

[2] المصدر نفسه 33/1.

[3] المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري: 23.

وممّن جاء على هذا القول ابن يعيش (ت 643هـ) إذ قال: ((اعلم أنَّ الكلام عند النحويين عبارةٌ عن كلّ لفظٍ مستقلٌ بنفسه، مُفيدٍ لمعناه ويسمّى الجملة، نحو: زيدٌ أخوك، وقام بكرٌ))[1].

وإنَّ التسوية بين هذين المصطلحين لم تكن عند علماء النحاة القدماء فقط بل شملت المحدثين أيضاً ومن أبرزهم عباس حسن صاحب كتاب النحو الوافي إذ ساوى بين الكلام والجملة وجمعهما بتعريفٍ واحدٍ فقال: ((الكلام والجملة ما تركّب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد))[2].

لم يبقَ الأمر مستمراً في التسوية بين مصطلحي الجملة والكلام فهناك من فرّق بينهما، فذكر الرضي الأستراباذي (ت 686هـ) الفرق بين الجملة والكلام بقوله: ((والفرق بين الجملة والكلام أنَّ الجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي، سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة الّتي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل فيخرج المصدر واسما الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف مع ما أُسندت إليه، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاتهِ، فكل كلام جملة ولا ينعكس))[3].

أمّا ابن هشام (ت 761هـ) فقال: ((الكلام هو القَول المُفيد بِالقَصد، والمراد بالمفيد ما دلَّ على معنى يحسن السُّكُوت عليهِ، والجملَة عبارة عن الفعل وفاعله كـ (قَامَ زيد) والمبتدأ وَخَبره كـ (زيد قَائِم) وما كان بمنزلة أَحدهما نحو ضرب اللص و

---

[1] شرح المفصل للزمخشري: ابن يعيش 72/1.

[2] النحو الوافي: عباس حسن 15/1.

[3] شرح الكافية في النحو لابن الحاجب: رضي الدين الأستراباذي 8/1.

أقائم الزيدان وَكَانَ زيد قَائِما وظننته قَائِما وَبِهَذَا يظْهر لَك أَنَّهُمَا ليسَا مترادفين كَمَا يتوهمه كثير من النَّاس))[1].

للجملة تقسيمات متعددة منهم من اقتصر على الاسمية والفعلية ومنهم من زاد الجملة الشرطية وتطرّق ابن هشام الأنصاري إلى ذكر هذه الأقسام فقال: ((الأسمية هي الّتي صدرُها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق ... والفعلية هي الّتي صدرها فعل، كقام زيد وضُرب اللص ... والظرفية هي المصدّرة بظرف أو جار ومجرور، نحو: أعندك زيد؟، وأفي الدار زيد؟ إذا قدَّرتَ زيداً فاعلاً بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مُخبراً عنه بهما، ومثّل الزمخشري لذلك بـ (في الدار) من قولك: زيدٌ في الدار، وهو مبني على أنَّ الاستقرار المقدّر فعلٌ لا اسمٌ وعلى أنّه حذف وحده، وانتقل الضمير إلى الظروف بعد أن عمل فيهِ، وزاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية، والصواب أنّها من قبيل الفعلية))[2].

1_ الجملة الاسمية والفعلية:

فالجملة الاسمية هي الّتي تبدأ بالاسم[3]، وهي ((تركيب إسنادي يُسند فيه الخبر إلى المبتدأ، وسمّيت هذه الجملة اسمية لأنّ أصل الإسناد فيها أن يكون بين اسمين، وإذا كانت اسمية المبتدأ ثابتة لأنّه لا يكون إلّا اسماً أو ما هو في منزلته أو تأويله فإنّ اسمية الخبر وإن لم تكن ثابتة فهي الأصل، لأنّ الأصل في الخبر أن يأتي مفرداً، وقد يأتي جملة أو شبه جملة، فتسمية هذا التَّركيب الإسنادي بجملة اسمية فيه

[1] مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري 2/ 490.

[2] مغني اللبيب 376/2، وينظر: الدلالة في النحو العربي: 83.

[3] ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السامرائي: 157.

مراعاة لأصل طرفي الإسناد، خاصة المسند، لأنّ الأصل فيه أن يأتي في الاسمية اسماً، وفي الفعلية فعلاً))[1].

وأمّا الجملة الفعلية فهي الجملة المبدوءَ بالفعل، نحو: حضر محمد، وكان محمد مسافراً، وظننت أخاك مسافراً[2]، وهي تركيب إسنادي يكون فيهِ المسند فعلاً، ولابُدَّ من التمييز بين المسند الذي يأتي فعلاً، وبين الذي يأتي جملة فعلية؛ لأنَّ المسند (الفعل) لفظ مفرد يأتي في الجملة الفعلية فقط، أمّا المسند الجملة فهو لفظ مركّب، سواء أكان جملة فعلية، أو اسمية، ويأتي في الجملة الاسمية المركّبة فقط، نحو: الطفل يلعب، فلفظ (يلعب) هُنا جملة فعلية، تتكوّن من الفعل المضارع (يلعب)، وفاعله الضمير المستتر فيهِ تقديره (هو) يعود على الطفل، أمّا مثال المسند فعلاً، نحو: يلعب الطفل، فلفظ (يلعب) هُنا فعل مضارع، وفاعله هو لفظ الطفل[3].

وإنَّ الذي يؤخذ من الجملة هو المسند والمسند إليه، فلا حاجة لنا فيما يتقدّم عليهما من الحروف والكلمات، فقولك: (أقائم الرجلان) و(لعلَ أباك منطلق) من الجمل الاسمية، و(قد قام محمد) و(هل سافر أخوك؟) و(محمداً أكرمت) و(من أكرمت؟) جمل فعلية[4].

قال الزركشي: ((في الفَرقِ بَينَ الخِطابِ بالاسم والفعلِ أَنَّ الفعلَ يَدُلُّ عَلَى التَّجدُّدِ وَالحدوثِ والاسمَ علَى الاستقرارِ والثُّبوتِ وَلَا يحسنُ وضعُ أَحدهِما مَوضِعَ الآخر فمنه قَولهِ تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: 18]، لو قِيلَ يبسط لَم يُؤَدِّ الغرض لأَنَّهُ لم يُؤذِن بمزاولَة الكَلبِ البَسطَ وأنه يتجدّد له شيء بعد شيء ف

---

[1] الجملة الاسمية: د. دلوم محمد (بحث منشور):6.

[2] ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: 157.

[3] ينظر: الجملة الاسمية: 2.

[4] ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها: 157.

(باسط) أَشعَرُ بِثُبُوتِ الصِّفَةِ، وَقَوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غير الله يرزقكم﴾ [فاطر: 3]، لَو قِيلَ رَازِقُكُم لَفَاتَ مَا أَفَادَهُ الفِعلُ مِن تَجَدُّدِ الرِّزقِ شَيئًا بَعدَ شَيءٍ))[1].

أمّا دلالة الجملة الاسمية والفعلية فيرى الدكتور فاضل السامرائي أنَّ دلالة الجملة الاسمية الثبوت، ودلالة الجملة الفعلية الحدوث من باب التجوّز في القول، والصحيح هو أن الاسم يدلُّ على الثّبوتِ، والفعل يَدلُّ على الحدوثِ، فـ (منطلق) يَدلّ على الثبوتِ و(ينطلق) يَدلّ على الحدوثِ والتَّجدّد، و(يتفقّه) يَدلّ على الحدوثِ و(متفقه) يَدلّ على الثبوت، فالجملة لا تَدلّ على حدوثٍ أو ثبوتٍ ولكن الذي يدلّ على الحدوث أو الثبوت ما فيها من اسمٍ أو فِعل[2].

ومن دلالة الاسم في الخِطاب النِّسوي قولهِ تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾ [البقرة: 228].

فإنَّ (المُطلّقات) هُنا اسم وهو مبتدأ، ودَلَّ هذا الاسم على الثبوتِ، وذلك أنَّ المُطلّقات حكمهُنَّ ثابت وهو التَّربص بأنفسهنَّ ثلاثة قروءٍ، وإنَّ الاسم هُنا هو ما دَلَّ على الثبوت وليست الجملة، أي إنَّ هذا الحكم ثابتٌ في المُطلّقات، وقد اختلفَ في دلالة المُطلّقاتِ هُنا، فقيل فيها دلالة على العموم، وَلكِنَّها مخصوصةٌ بالمدخولِ بهنَّ ذوات الإقراء، لأنَّ حُكمَ غير المدخولِ بها والحامل والآيسة منصوص عليهِ، ومُخالف لحكم هؤلاء[3]، أي أنَّه ذكر العموم وأراد الخصوص.

---

[1] البرهان في علوم القرآن 66/4، 67.

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن 3 /161، 162.

[3] ينظر: البحر المحيط 452/2.

وكذلك قولهِ تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35].

فقالت: (وإنّي مُرسِلةٌ) بالاسمِ دلالة على الثبات، وللإيذان بأنَّها مُصِرَّةٌ ومزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف[1]، ثُمَّ قالت: (بمَ يرجع المُرسلون) بالفعلِ دلالة على الحدوث، إذ لم يسوِّ بينَ طرفي الجملة، وذلك أنَّها كانت ثابتة في إرسال الهدية، وإنَّ التأمّل بماذا يرجع المرسلون هو حالة طارئة فكانت تُفكّر ماذا سيحدث وماذا سيردون عليهم.

ومن دَلالَةِ الفعل في الخِطاب النّسوي قولهِ تعالى: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37].

فالجملة (وجد عِندَها رزقاً) جملة فعلية، والفعل الماضي (وجد) دَلَّ على التَّجدُّد والحدوث، أي أنَّه كُلَّما دخلَ عليها زكريا (عليه السلام) وجدَ عِندها رزقاً، فوجود هذا الرِّزق مُتجدِّد، فكانَ يجد عندها فاكهة الشِّتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشِّتاء، إذ كانَ رزقها مُعتاداً مُستمراً يأتيها من السَّماءِ[2]، وفي هذهِ الآية دَلالَة على وجُودِ الرِّزقِ عندَها كُلَّ وقتٍ يَدخلُ عليها[3].

---

[1] ينظر: روح المعاني 193/10.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب 207/8، 208.

[3] ينظر: البحر المحيط 123/3.

وأمّا جُملة (هو من عند الله) فهي جُملة اسمية، واسم الإشارة (هو) دَلَّ على الثبوت، أي إنَّ هذا الرِّزق الذي يأتيها هو ثابتٌ من عند الله سبحانه وتعالى لا من غيرهِ فهو مُتعهِّدٌ بهِ.

فهذهِ الآية قد جمعت بينَ دَلالَة الفعل الذي يَدلّ على التَّجدّد والحدوث، ودلالة الاسم الذي دَلَّ على الثبات.

ومن دَلالَة الفعل أيضاً قولهِ تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 30].

فجُملة (تُراوِدُ فتاها) جُملة فعلية، والفعل المضارع (تُراوِدُ) يَدلُّ على التَّجدّدِ والحدوث، فامرأة العزيز تُراوِدُ فتاها وتنازعه عن نفسهِ، أي تطلِبُ مواقعته إيّاها، وتَتحيّل في ذلك، ((وإيثارهنَّ صيغة المضارع للدّلالَةِ على دوام المُراودة كأنّها صارت سجيةٌ لها))[1]، أي أنَّها مازالت مُستمرة في مُراودة فتاها عن نفسهِ.

2_ الجملة الشَّرطية:

لم يتناول سيبويه (ت 180هـ) والفرّاء (ت 207هـ) مصطلح الجملة الشّرطية بألفاظ صريحة، ولكن نجد هذا المصطلح قد اتضّح عند أبي حيّان الأندلسي (ت 745هـ)، فقد قال: ((لو قيل: رَبْطُ الجملة الشّرطية بالمضارع له طرفان أحدهما بجزمهِ والآخر بـ (الفاء) ورفعه؛ لكان...))[2]، وهناك من عرّفها بأنّها: ((الجملة المصدّرة بأداة شرط، مثلها في ذلك مثل الجملة الاسميّة الّتي تبدأ باسم، والجملة

[1] روح المعاني 416/6.

[2] توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: المرادي 1282/3.

الفعليّة الّتي تبدأ بالفعل))[1]، وهناك من ذهب إلى أنّها الجملة المركبة تركيباً ثانوياً[2]، ويقتضي الشرط وجود جملتين: الأولى فعليّة وتسمّى جملة الشرط، والثانية إمّا اسمية أو فعليّة وتسمّى جملة الجزاء أو جواب الشرط، وترتبط الجملتان ارتباطاً سببياً، فإذا قلت: إن تأتني أُعطك درهماً فالإتيان سبب العطية، والعطية مترتبة على الإتيان متسببة عنه[3].

وتكمن دلالة الجملة الشّرطية في أنَّها تقوم على ربط أمرٍ بآخر، وتعليق الثاني على الأول تعليقاً خاصاً[4]، فيكونان جملة واحدة تربطهما أداة وهي أداة الشرط.

وستذكر الباحثة نماذج من الجملة الشّرطية الواردة في الخِطاب النِّسوي وعلى النحو الآتي:

أ_ من دلالة الشرط بـ(كُلّما) قولهِ تعالى: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37].

فـ(كُلَّما) أداة الشرط وهي لا تدخل إلّا على الجمل الفعلية، و(دخلَ عليها) فعل الشرط، و(وجد عندها) جواب الشرط، وبين هاتين الجملتين ارتباط تلازمي بين الدخول عليها ووجود الرزق.

---

[1] أنماط الشرط عند طه حسين: دراسة نحوية نصية: د. أشرف ماهر محمود (بحث منشور)، مجلة علوم اللغة، العدد 2، مج 2، سنة 1999م / 181، 182.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب 50/1.

[3] ينظر: الأصول في النحو: ابن السّرّاج 158/2.

[4] ينظر: النحو الوافي 421/4.

فقد دخلت (كُلَّما) على جملتين ماضيتين، وقد دلَّ الفعل الماضي الذي جاء بعدها على المستقبل، أي أنَّ دخوله عليها ليس في وقتٍ مضى وإنَّما دخوله عليها مستمر ووجود الرزق مستمر وقد دلَّت (كُلَّما) على التكرار، أي إنَّ حدوث هذا الفعل جاء بشكل متكرر.

ب_ من دلالة (إمّا) الشرطية قوله تعالى: ﴿...فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26].

فالشَّرط جاء في قولهِ: (فإمّا ترين من البشر أحداً فقولي)، ف (الفاء) جاءت عاطفة، و(إمَّا) مركبة من (إنْ) الشَّرطية و(ما) الزائدة، وتُسمّى (إمَّا الشَّرطية) وهذهِ لا داعي لتكرارها[1]، و(ترين) فعل الشرط، قال النحاس: ((فإمَّا ترين في موضعِ جزم بالشرط، والأصل فإمَّا تريي، زيدت النون توكيداً، وصلُح ذلك في الخبر لدخول (ما)، ولو نطق به بغير نون لكان (فإمَّا ترى) فلمّا زدت النون رددته إلى أصلهِ وكسرت الياء؛ لالتقاء الساكنين، وكانت الكسرة أولى للفرق بين المذكر والمؤنث ثُمَّ خففت الهمزة فألقيت حركتها على الرَّاءِ وحذفت فصار (ترِيّن)))[2].

3_ الجملة الاستفهامية:

يعرّف الاستفهام بأنّه أسلوب يطلب به العلم بشيءٍ لم يسبق لك علمٌ بهِ، ويتمُّ ذلك باستعمال إحدى أدواته وهي: (الهمزة، وهل، ومن، ومتى، وأيّان، وأين، وأنّى، وكيف، وكم، وأي)[3].

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن 245/4، إعراب القرآن وبيانه 87/6.

[2] إعراب القرآن: النحاس 10/3.

[3] ينظر: الحدود في النحو: 73، الصاحبي: 292، مغني اللبيب 13/1.

فقد يخرج الاستفهام إلى دلالات عديدة كأن يخرج لدلالة الاسترشاد والاستعلام، كقولك: (أين زيد؟ ومَن عندك؟)[1]، وقد خرج الاستفهام في الخِطاب النِّسوي إلى دلالات أخرى أقتضاها السياق أهمها:

أ_ التعجب: ومنه قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: 72]، فقد أشار القرطبي إلى أنَّ الاستفهام في قوله: (أألد) أفاد معنى التعجب[2]، وتحقق التعجب بواسطة الاستفهام وبأداة هي الهمزة.

فقد يُقال: كيف تعجبت من قدرة الله والتعجب من قدرة الله توجب الكفر؛ لأنَّ هذا التعجب يَدلُّ على جهلِها بقدرة الله تعالى وذلك يوجب الكفر؟ والجواب على هذا هو أنَّ تعجبها جاء بحسب العرف والعادة لا بحسب القُدرة، فإنَّ الرجل المسلم لو أخبره مخبر صادق بأنَّ الله تعالى يقلبُ هذا الجبل ذهباً إبريزاً فلا شكَّ أنّه يتعجّب نظراً إلى أحوال العادة لا لأجل أنّه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك، وإنَّ قوله تعالى: (أألد وأنا عجوز) هو حكاية عنها في معرض التعجب[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، فـ (أنى) اسم استفهام بمعنى (من أين)[4]، وقيل: بمعنى (كيف)[5]، وقد خرجت دلالة الاستفهام هنا إلى التعجب، فقد جاء تعجبها ممّا بشَّرها به جبريل (عليه السلام)، لأنَّها قد عرفت بالعادة أنَّ الولادة لا تكون إلّا من رجُلٍ، والعادات عند أهل

---

[1] ينظر: التبيان في تفسير القرآن 349/4.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن 69/9.

[3] ينظر: مفاتيح الغيب 375/18.

[4] ينظر: معالم التنزيل 228/3.

[5] ينظر: مدارك التنزيل وأسرار التأويل 330/2، إعراب القرآن وبيانه 78/6.

المعرفة ثابتة في مثل هذه الامور، وإن جوّزوا خلاف ذلك في القدرة فليس في قولها هذا دلالة على أنّها لم تعلم أنّه تعالى قادرٌ على خلق الولد ابتداءً كيف وقد عرفت أنّه سبحانه خلق أبا البشر على هذا الحدِّ ولأنّها كانت منفردة بالعبادة ومن يكون كذلك لابُدَّ من أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك[1].

ب _ العرض: ومنه قولهِ تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ...﴾ [طه: 40]، فالاستفهام في قولهِ: (هل أدلكم) أفاد العرض[2]، فقد عرضت عليهم بإن تدلّهم على مُرضعةٍ، بعد أن عرفت إنَّ فرعون وامرأته آسية يطلبان له مرضعة، فقالت لهما: (هل أدلكم على من يكفله) أي: هل أدلكم على من يضمّه إلى نفسهِ ويربيه؟ فقالا لها: ومن هو؟ قالت أمي، فقالا: هل لها لبن؟ قالت: نعم، لَبَنُ أخي هارون أكبر من موسى بسنةٍ، وقيل: بأكثر، فجاءت الأمُّ فَقَبِلَ ثديها، وكان لا يَقبَلُ ثدي مُرضعة غيرها[3].

5_ العطف:

يُعرّف العطف بأنَّه: ((تابعٌ يدلُّ على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعهِ، يتوسّط بينَه وبينَ متبوعه أحد أحرف العطف، نحو قام زيد وعمرو))[4].

وهُناك من عرّف العطف بأنَّه: ((تشريك الثاني مع الأوّل في عاملهِ بحرف من الحروف))[5].

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 523/21، اللباب في علوم الكتاب: سراج الدين الدمشقي 35/13.

[2] ينظر: التحرير والتنوير 219/16.

[3] ينظر: فتح القدير 431/3.

[4] التعريفات: 151.

[5] البسيط في شرح جمل الزجاجي: ابن أبي الربيع: 329.

ونرى أنَّ المراد بالعطف هو إرجاع الثاني على الأوّل، أو هو إتباع لفظ لسابقهِ ويتمّ العطف في الجمل بواسطة حرف من حروف العطف، وإنَّ حروف العطف هي (الواو، والفاء، وثُمَّ، وحتّى، وأم، وأو، وبل، ولكن، ولا).

وستفصّل الباحثة ما جاء في الخِطابِ النِّسوي من عطف بحروفهِ المختلفة وعلى النحو الآتي:

1_ الواو:

وتُعدُّ أم باب العطف، قال ابن دريد: ((تُعدّ الواو أم الباب، لأنَّها لمطلق الجمع ولا تقتضي الترتيب ولا تمنعه، بل يكون معطوفها لاحقاً لتابعهِ؛ أي متأخراً عنه في الحكم المنسوب إليهما، وهو الأكثر، نحو قولهِ تعالى: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: 13]، وقد يكون سابقاً له في الحكم، وهو الأقل، نحو قولهِ تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: 3]، وقد اجتمع الترتيب وعكسه في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [النساء: 163]، فهذا مرتب))[1].

وتأتي الواو للربطِ بين الجُمل، فهي تربط الجمل بعضها ببعض، وتربط الاسماء بعضها مع بعض بحيث تصبح نسيجاً مُترابطاً متكاملاً.

[1] الفضة المضيئة في شرح الشذرة الذهبية: ابن دريد: 308.

قال العلوي: ((إنَّ من حق الجمل إذا ترادفت وتكرّر بعضها في إثر بعض، فلا بُدَّ فيها من ربط الواو لتكون متّسقة منتظمة، كما أنَّ الجمل إذا وقعت موقع الصلة، أو الصفة، فلابُدَّ لها من رابط يعود منها إلى صاحبها))[1].

وقد وردت (الواو) في الخِطابِ النِّسوي في قولهِ تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾ [النور: 31]، فجملة (ويحفظن فروجهن) هي عطف على جملة (يغضضن من أبصارهن)، وإنَّ حرف (الواو) هو الذي دلَّ على العطف هُنا، إذ عطف جملة على جملة، وجملة (ولا يبدين زينتهن) معطوفة على يغضضن من أبصارهن[2].

ومنه قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ...﴾ [يوسف: 31]، فإنَّ (الواو) أفادت العطف في هذهِ الآية، فجملة (وأعتدت لهن متكأً) عطفت على جملة (أرسلت إليهن)، وجملة (وآتت) عطفت على (أعتدت)[3]، وجملة (وقالت أخرج عليهن) الواو هنا للعطف، وهذا العطف يُشير إلى قوله: أخرج عليهن أي اظهر وأبرز لهن، فهو لم يكن عقيب ترتيب أمورهن ليتم غرضها بهنَّ، فإنَّ الواو هنا أفادت العطف وليس الترتيب[4].

2_ الفاء:

---

(1) الطراز: العلوي 45/2.

(2) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 594/6، 595.

(3) ينظر: إعراب القرآن وبيانه 481/4.

(4) ينظر: روح المعاني 419/6.

قال سيبويه: ((والفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنّها تجعل ذلك مُتسّقاً بعضه في أثر بعض وذلك قولك: مررت بعمرو فزيد فخالد، وسقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا))[1].

وورِدَ في المقتضب: ((وهي توجب أنَّ الثّاني بعد الأوّل، وإنَّ الأمر بينهما قريب))[2].

وهي حرف من حروف العطف تُفيد التَّرتيب والتَّعقيب والتَّسبيب[3]، ويُراد بالترتيب كون المعطوف بها يكون لاحقاً لما قبلها، فإذا قلت: (جاء محمد فخالد) كان المعنى أنَّ مجيء محمد كان قبل خالد[4].

والفاء تفيد الترتيب بنوعيهِ: المعنوي والذكري.

أ _ التَّرتيب المعنوي: وهو الترتيب الذي يقتضي بحسب زمن تحقق المعنى، نحو: (جاء سعيد فسعاد)، فقد تحقق معنى المجيء في زمنه الفعلي.

ب _ التَّرتيب الذكري: وهو الترتيب الذي يقتضي بحسب ذكره في الكلام، كقولهِ تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45]، وهنا كان الترتيب بذكر الأحداث كما حصلت، إذ ذكر نداء نوح لربهِ وبعده ذكر محتوى الدعاء أو النداء فكان الترتيب ترتيباً ذِكرياً[5].

---

(1) الكتاب: سيبويه 304/2.

(2) المقتضب 10/1.

(3) ينظر: معاني النحو: فاضل السامرائي 231/3.

(4) ينظر: المصدر نفسه 231/3.

(5) ينظر: حروف العطف في العربية وتطبيقات من القرآن الكريم: خميسة وطار: 21.

وأمّا التعقيب فيراد بِهِ أن يقع المعطوف بعد المعطوف عليهِ بغير مهلة أو بمدة قريبة[1].

وقد وردت (الفاء) في الخِطابِ النِّسوي في قولهِ تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 22_24]، فإنَّ (الفاء) في هذهِ الآيات دَلّت على التَّرتيبِ والتَّعقيب؛ أي أنَّ ((كُلَّ واحدٍ مِنْ هذهِ الْأَحوَالِ حَصَل عقيب الآخر من غير فصل))[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: 12].

ذهب ابن عاشور إلى أنَّ الفاءَ في قولهِ: (فقالت) فاءٌ فصيحةٌ[3] دالّة على حذف جملةٍ تقديرها: فأظهرت أخته نفسها كأنّها مرّت بهم من غير قصدٍ[4]، ثُمَّ وضّح ابن عاشور دلالة هذهِ الفاء المؤذِنةِ بحذف الجملة فقال: ((وإنّما قالت ذلك بعد أن فشا في النّاس طلبُ المراضع له وتبديل مرضعة عقب أخرى حتى عرض على عدد كثير في حصّة قصيرة، وذلك بسرعة مقدرة آل فرعون وكثرة تفتيشهم على

---

[1] ينظر: معاني النحو 232/3.

[2] مفاتيح الغيب 525/21.

[3] الفاء الفصيحة: وهي فاء تذكر في الكلام، وهي تعطف ما بعدها على الفاء المحذوفة مع معطوفها، وسميت فصيحة لأنَّها تُفصح وتكشف عن المحذوف، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: 60]، فالفاء في (فانفجرت) فاء فصيحة؛ أي فضرب فانفجرت، فتقدير الكلام فاظهرت أخته نفسها فقالت.

[4] ينظر: التحرير والتنوير 84/20.

المراضع حتى ألفوا عددا كثيرا في زمن يسير، وأيضا لعرض المراضع أنفسهن على آل فرعون لما شاع أنهم يتطلبون مرضعا))[1].

[1] المصدر نفسه 84/20.

الفصل الثالث

أساليب الخِطاب النِّسوي
ودلالته في القرآن الكريم

1_ التنغيم:

هو تغييرٌ في النغمة وارتفاعها مختصٌ بسلاسل أطول من السلاسل الّتي ينطبقُ عليها النبر وهي على الأغلب مُتعلقة بالجملِ وأشباهها[1].

وهو من المصطلحات الدّالة على مستوى الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً، وقد سُمّيَ أيضاً بموسيقى الكلام أو الكلام الموسيقي، إذ إنّنا نلحظُ في الكلام اختلافاً نغمياً ولحونياً على وفق ما يحويهِ من أنماط وتراكيب ومواقف، وإنَّ هذا الاختلاف هو الذي يُساعد على فهم المعنى[2]، ولذلك نلحظ أنَّ الكلام يتغير بتغير الحالة النفسية أو طريقة الكلام، إذ إنَّ ارتفاع الصوت وانخفاضهِ في أثناء النطق يُنتجُ دلالات معينة مقصودة، مثل: الاستفهام، والطلب، والأمر، والغضب، والرضا، والفرح، والدهشة، والتعجب، واللهفة، والشوق[3].

وممّا سبق اتضح لنا أنَّ التنغيم هو تغير في درجات الصوت المختلفة وهي الّتي تُميز الجملة أو العبارة وما المقصود منها حسبما ذُكرَ من معانٍ مارة.

وتناول الدكتور توفيق محمد شاهين التنغيم فيرى أنّه: ((هو الذي يحدد المعنى ويدل على الغرض المطلوب، ويضفي على اللغةِ كمالها))[4]، وممّا يُلاحظ أنّهُ لم يتطرَّق إلى ارتفاع درجة الصوت وانخفاضهِ، وإنّما اكتفى في تعريف التنغيم بأنّهُ هو المحدد للمعنى، فالكلمات بصورة عامة لا يُفهم معناها فما هي إلّا مجرد رموز لمعانٍ متعددة، فالإنسان هو الذي يستطيع أن يُخرج هذهِ المعاني المتعددة من الألفاظ

---

(1) ينظر: الصوتيات والفنولوجيا: مصطفى حركات: 43.

(2) ينظر: أصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها: سعد عبد الله: 58.

(3) ينظر: العربية وعلم اللغة الحديث: محمد محمّد داود: 133.

(4) علم اللغة العام: توفيق محمد شاهين: 125.

المحدودة وذلك عن طريق التنغيم؛ لإنَّ التنغيم يُسبِغ على اللغةِ كمالها، ويُخرج الألفاظ في معانٍ مُتعددة.

وذهب الدكتور محمّد الأنطاكي إلى تعريفهِ فقال: ((إنَّ الطرق المختلفة الّتي يسلكها لسانٌ ما في درجات الحدة ارتفاعاً وانخفاضاً في كلماتهِ وتعبيراتهِ تسمّى بالتنغيم))[1].

وعلى الرّغمِ من تعدد تعريفات التنغيم لدى العلماء الذين سبق ذكرهم، إلا أنَّ هذا التعدد يصلُ بنا في النهايةِ إلى تعريف جامع شامل له وهو التعريف الذي يقول بأنَّ التنغيم هو: ((المصطلح الصوتي الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام، وهذا التغيير في الدرجة يرجع إلى تغيير في نسبة ذبذبة الوترين الصوتيين، وهذهِ الذبذبة الّتي تُحدث نغمة موسيقية يطلق عليها مصطلح (التنغيم) فالتنغيم يدلُّ على العنصر الموسيقي بالكلام أي على لحن الكلام))[2].

بعد أن عرفنا أنَّ التنغيم هو عبارة عن ارتفاع الصوت وانخفاضهِ فهو عند ذلك يُسمّى بموسيقى الكلام، فإنَّ لهذهِ الموسيقى الأثر في نفس الإنسان؛ لأَنَّها غذاء لها وتبتهج النفس لسماعها، فيظهر تأثير الإيقاع على حركاتهِ وتأثير النغمات على إطلاق خيالهِ، وإنَّ اللغة الغنية بالموسيقى يَفوقُ سحرها وتأثيرها سحر الموسيقى وتأثيرها، لأَنَّ اللغة عبارة عن معانٍ مؤثرة، فإذا انتظمت هذهِ المعاني بطريقة تنغيمية أو موسيقية صار التأثير مُضاعفاً لوجودِ عاملين مؤثرين هما: المعاني أولاً، والتنغيم ثانياً، والكلام الذي يتوفر فيهِ الإيقاع والتنغيم يُثيرُ في السامع انتباهاً عجيباً لما فيهِ من توقع لمقاطع تنسجم مع ما سبق سماعه، فتتحفز النفس وتتهيأ لاستقبال المعاني

[1] الوجيز في فقه اللغة: الدكتور محمد الأنطاكي: 252.

[2] مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي: آمنة بنت مالك: 406.

والاستجابة لها أيّاً كانت تلك المعاني، وقد أدركَ العربي السر الكامن الموجود في اللغة، فَعمدَ إلى السجع في كلامهِ، وعمدَ إلى الأوزان والقوافي في شعرهِ، وأظهرَ تفوقاً وبراعة في حسنِ استخدام اللغة، واستغل إمكانات اللغة كافة في الإيقاع والتنغيم[1].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس ((أنَّ ظاهرة الموسيقى في اللغة العربية تُعزى في أغلبِ عناصرها إلى تلك الأُمية حين كان الأدب أدب الأذن (اللغة المنطوقة) لا أدب العين (اللغة المكتوبة)، وحين اعتمدَ القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتسبت تلك الآذان المران والتمييز بينَ الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلامٍ لحسنِ وقعهِ أو إيقاعهِ، وتأبى آخر لنبوهِ، أو لأنّه كما يعبر أهل الموسيقى نشاز))[2]، ويقول بعد ذلك: ((وكما تُمرّن الآذان في بيئة الأمية تمرّن الألسنةُ أيضاً، فتنطلق من عقالها وقد اكتسبت صفة الذلاقة، فلا تتعثر ولا تزل في أثناء النطق، وتتعاون الأذن مع اللسان في مثل تلك البيئة على إيثارِ العناصر الموسيقية من اللغة، ونفي العناصر النابية والتخلص منها))[3].

وممّا يُلاحظ أنَّ العرب كانوا قد عرفوا الموسيقى، وكانت تعني عندهم التطريب والتنغيم، وعلى هذا الأساس نزلَ القرآن الكريم في بيئتهم ((فاندهشت بهِ نفوسهم وبَهتت بهِ عقولهم؛ لأَنَّهم إنّما سمعوا من طريقهِ ضرباً من الموسيقى اللغوية لم يألفوها من قبل، لانسجامهِ واطراد نسقهِ، وجمال ألفاظهِ، وسمو معانيهِ، وائتلاف حركاتهِ وسكناتهِ، ومدّاتهِ وغُناتهِ، ونغماتهِ الصادرة عن فواصلهِ، واتزانهِ على أجزاء

---

[1] ينظر: التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية: الدكتورة سناء حميد البياتي (بحث منشور)، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي العراق، 2007: 5.

[2] دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس: 195.

[3] المصدر نفسه: 195،196.

النفس مقطعاً مَقطَعاً، ونبرةً نبرة، فأسترعى الأسماع، واستهوى القلوب والنفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام منظوم أو منثور))[1]، وقد احتوى القرآن الكريم على تنوعات موسيقية منها موسيقى الشعر إذ توجد فيهِ ((نغمة الوزن والاهتزاز النفسي لها، وموسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي يُحدثهُ حسن التوزيع بين الحروف ذاتها، والكلمات والعبارات، وموسيقى الحس حيثُ مُشاركة الحواس لاهتزازات النفس من تأثير تموجات الموسيقى، وموسيقى الروح حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى الآنفة الذكر، فالقرآن اكتمال لنماذج موسيقية حيّة في تراكيب خالدة للغة العربية))[2].

((ويلعب التنغيم أثراً فاعلاً في التقرير، والتوكيد، والنفي، والإنكار، والاستفهام، والتعجب، والزجر، والتهكم وغيرها من أنواع الفعل الإنساني كاليأس، والحزن، والفرح، والغضب عن طريق التلوين في الدرجات التنغيمية بمستوياتها العليا والمتوسطة والهابطة لذا عدّها علماء اللغة من الفونيمات غير التركيبية الّتي تُعرِّفنا على مواقف المتكلمين من طريق تنوع ظهورها من لسان إلى آخر))[3].

وللتنغيم أنواع كثيرة مختلفة وفضّل البحث التطّرق إلى الأشهرِ والأكثرِ شيوعاً وهي:

1_ النغمة الهابطة: هو أداءٌ يتطلب هبوط نغمة الصوت عن المستوى الاعتيادي، وتكون في كثير من الأساليب منها: الاستهزاء، والترجي، والترحم، والتقرير وغيرها.

---

[1] التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية (بحث منشور): 6.

[2] الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي: 222.

[3] التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق: سهل ليلى (بحث منشور)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر_ بسكرة، العدد 7، 2010 : 17.

2_ النغمة المستوية: وهو أداءٌ طبيعي للجمل على حسب المستوى المقرر لها وتظهر في أسلوب الإخبار وكثيراً ما نجدها في الخطب والمواعظ والنصوص.

3_ النغمة المرتفعة: وهي الّتي تتطلب صعوداً في نهاياتها، وغالباً ما تكون في الجمل الاستفهامية والجمل المعلقة الّتي تكون مرتبطة بما بعدها ولا سيما في الجمل الشرطية[1].

وعن طريق مطالعتنا للآيات القرآنية الكريمة المتضمنة الخِطاب النِّسوي ستقف الباحثة على أبرز ما جاء فيها من نغمات بأنواعها ودلالاتها وعلى النحو الآتي:

أ _ النّداء:

وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيههِ أو توجيههِ أو استدعائهِ وهي ليست مدمجة فيما يتلوها من كلام، بل تنفصل عنهُ بتنغيمٍ يميزها، فلذلك يكون النداء غير مفهوم إلّا إذا اتضّح المرجع الذي يشير إليه[2].

وللنداء تنغيم ((غالباً ما يتصدّر الجملة ولذلك يكتسب تنغيماً قدرة تعبيرية مثلى تتشكل من النغمية والشدة والطول والحدة المحملة بالشحنة الشعورية والانفعالية، أمّا المقاطع الّتي تليهِ فتكون نغمتها أضعف من الأولى، نحو: يا زيدٌ اتقِ الله، فالنغمة التعبيرية للنداء أعلى من نغمة التعبير للثانية))[3].

---

[1] ينظر: مناهج البحث اللغوي: تمام حسان: 165_ 169، الاتساق الصوتي في سورة التحريم التنغيم أنموذجاً: محمد عباس معن (بحث منشور)، مجلة العميد، مج 5، العدد 18، 1437هـ: 381.

[2] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة: 255.

[3] القرائن بين اللغويين والأصوليين: نادية رمضان النجار: 78.

وخير ما نستشهد بهِ من أمثلة قولهِ تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ [يوسف: 29]، فالمقطع الأوّل يكون الخطاب فيهِ لرجل _ وهو يوسف _ أمّا الثاني فيكون لخطاب امرأة _ وهي زليخا _ فقد خصّها زوجها بالخِطاب وأمرها بالاستغفار دونه، والنغم وحده هو الذي فصل بين الخطابين فقد حذفَ حرف النداء (يا) من الآية الكريمة لقربهِ وكمال تفطنهِ للحديث، وفيهِ تقريب له وتلطيف لمحلهِ[1].

وقولهِ تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 32_ 34].

من طريق تفحّص الآيات الكريمات السابقة وجدنا أَنَّ التنغيم هنا هو الذي وجّه الدّلالة الّتي خرج إليها النداء بنغماتهِ العالية وهي الأمر والنهي.

فالآيات تنفي مساواة زوجات النبي مع سائر النِّساء الأُخريات ((إن اتقينَ وترفع منزلتهن على غيرهن ثُمَّ تذكر أشياء من النهي والأمر متفرعة على كونهن لسنَ كسائر النِّساء كما يدل عليه قوله: فلا تخضعن بالقول وقرن ولا تبرجن الخ، فهي خصال مشتركة بين نساء النبي وسائر النِّساء. إلاّ أَنَّ تصدير الكلام بقولهِ: (لستن كأحدٍ من النِّساء إن اتقيتن) ثمَّ تفريع هذهِ التكاليف المشتركة عليه يفيد تأكيد هذهِ

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم 270/4.

التكاليف عليهن كأنّهُ قيل: لستنَّ كغيركن فيجب عليكن أن تبالغن في امتثال هذهِ التكاليف وتحتطن في دين الله أكثر من سائر النِّساء))[1].

والحكمة من البدء بالنداء في هذهِ الآيات هي ضرورة توجيه الكلام إلى محدّد ليكون خطاباً معيناً ودالاً إذ ((لا يمكن تبيّن كنه الكلام على نحو دقيق، إلّا بعد التعرّف على من وجّه إليهِ الخطاب))[2].

وقد وجدت الباحثة أنَّ الخِطاب الإلهي كان موجهاً إلى نماذج معينة ومحددة ليتمكن القارىء من نسب الكلام إليها ومعرفة دلالته.

ويمكننا أن نتحسس التنغيم في كلّ قصة أو مشهد في القرآن الكريم، وفي مطلع السور القرآنية وختامها من طريق الأسلوب الإيقاعي الغني بالأحاسيس والنغم والموسيقى، فكل آية من آيات القرآن الكريم تلقي بنغماتها المختلفة من سورة إلى أخرى حتى نتصور في بعض الأحيان عند تلاوة القرآن سماع الأحداث غير المسموعة، ورؤية المشاهد كأنها حقيقية ماثلة للعيان.

وهذا ما وجدناه في أثناء تناولنا سورة مريم وأحداث القصة من أوّلها إلى آخرها، فمن حيث الجو العام للسورة المباركة، نجده مفعماً بالعطف والرحمة والرجاء، ممّا يتطلب تنغيماً هادئاً يتلاءم مع الجو العام لها من توالي الرحمة من الله تعالى على عبادهِ ابتداءً من زكريا وصولاً إلى إبراهيم وموسى (عليهم السّلام).

وبتأملنا في قصة مريم حين رأت المَلَك الذي وهبها الغلام وتمثل لها بصورة إنسان وذلك في قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:

---

[1] الميزان في تفسير القرآن 308/16، التبيان في تفسير القرآن 325/8.

[2] الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمّد بن علي الجرجاني: 22، وينظر: الاتساق الصوتي في سورة التحريم التنغيم أنموذجاً (بحث منشور): 384.

18]، فنلاحظ النغمات العالية الّتي تطلبتها الآية السابقة لما تحمله عبارة (إن كنت تقياً) من دلالة الترهيب والتخويف له، فقد توجهت مريم (عليها السّلام) بعد الاستعاذة إلى الذي أمامها بالخِطاب محاولة منها إبعاد خطرهِ عنها فكأنّها بذلك لقنته ما تريد من أمر وهو الابتعاد عن أذاها[1].

وينحدر التنغيم في قصة مريم من النغمة العالية إلى النغمة الهادئة (الهابطة). لما يتطلبه سياق القصة من عدم الحزن والإحساس بالأمن والطمأنينة في قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24]، فسياق الآية جاء منسجماً مع التنغيم الهادئ فقولهِ: (ألّا تحزني) تسلية لها لما أصابها من الغم الشديد والحزن الكبير؛ فلا يوجد أمر أو مصيبة أشق على المرأة الزاهدة المتنسكة وخاصة إذا كانت عذراء من أن تتهم بعرضها وخاصة وأنّها من بيت معروف بالعفة والنزاهة في حاضر حاله وسابق عهدهِ[2]. فقوله: (ألّا تحزني) تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي أي: لا تحزني أو بأن لا تحزني.

ويستمر سياق القصة بما يحويه من خطاب نسوي بنغمات مستوية (متوسطة) وذلك في قولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]، فهذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت بهِ الملائكة مريم (عليها السّلام) عن أمر الله لهم بذلك بأنَّ الله عزّ وجلَّ اختارها لكثرة عبادتها وشرفها وطهّرها من الاكدار والوساوس، وإنَّه اصطفاها مرة أُخرى لجلالتها على نساء العالمين فهذهِ الآية قامت على آلية الإخبار الّتي تستوي فيها النغمة في أداء المفاصل التركيبية المتكونة منها الآية المباركة للوصول إلى المعنى المنشود.

---

[1] ينظر: الدلالة النفسية في سورة مريم: 80.

[2] ينظر: الميزان في تفسير القرآن 43/14.

وفي ذلك أشار سيد طنطاوي في تفسيرهِ إذ قال: ((قد مدح _ الله عزّ وجلّ _ مريم مدحاً عظيماً بأن شهد لها بالاصطفاء والطهر والمحبة، وأكّد هذا الخبر للاعتناء بشأنهِ، والتنويه بقدرهِ))[1].

وبنغمات عالية (صاعدة) يظهر التعجب من مريم بأنَّ يكون لها ولد من غير زوج في سياق الآيتين الكريمتين: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ...﴾ [آل عمران: 47]، و﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، نجد أنَّ مريم (عليها السّلام) قد تعجّبت ((وقالت: كيف يكون لي غلام؟ أي: على أيّ صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج ولا يتصوّر مني الفجور ولهذا قالت: ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً زانية))[2].

وعبارة (ولم أكُ بغياً) تخصيص بعد تعميم، لزيادة الاعتناء بتنزيهِ ساحتها عن المنكر والفحشاء ولذلك استعملت كان في النفي الثاني ليكون ذلك إيذاناً بأنَّ انتفاء الفجور لازم لها[3].

وفي تعجبها (عليها السّلام) قال الآلوسي: ((وكأنّها عليها السّلام من فرط تعجبها وغاية استبعادها لم تلتفت إلى الوصف في قول الملك عليه السّلام (لأهب لك غلاما زكيا) (مريم: 19) النافي كُلّ ريبة وتهمة ونبذته وراء ظهرها وأتت بالموصوف وحده وأخذت في تقرير نفيه على أبلغ وجه أي: ما أبعد وجود هذا الموصوف مع هذه الموانع بله الوصف، وهذا قريب من الأسلوب الحكيم))[4].

---

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي 102/2.

[2] تفسير ابن كثير 195/5.

[3] ينظر: روح المعاني 397/8.

[4] روح المعاني 397/8، وينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 387/3.

وبرجوعنا إلى سياق الآيتين الكريمتين بنغماتها العالية يظهر لنا أنَّ قول مريم في سورة آل عمران (قالت ربِّ أنّى يكون لي ولد) هو سؤال موجه إلى الله عزّ وجلّ بعد تلقيها الخبر من الملائكة وهو سؤال مستأنف عن كيفية ولادة ولد من غير أب فكان الجواب لها من الله تعالى ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47]، فقد ذكر الله تعالى: ((إنّ من حكم خلقه عيسى من امرأة بغير زوج ليجعل ذلك آية للناس أي علامةً دالّةً على كمال قدرتهِ وأَنَّه تعالى يخلُق ما يشاء كيف يشاء))[1].

وإنَّ قولها في سورة مريم: (قالت أنى يكون لي غلام ...) [مريم: 19]، يكون استفهامها استخباراً واستعلاماً عن الكيفيّة الّتي يكون بها الحمل من دون رجل، ويحتمل أن يكون استفهامها للتعجب من كمال قدرة الله[2].

ويمضي المشهد القرآني في قصة مريم بنغماتها المختلفة ولا سيما فيما يخصُّ الخِطاب النِّسوي بولادة عيسى (عليه السلام) ليكون آية من آيات الله تعالى لسيدة حملت وولدت وأنجبت وهي عذراء وكيف أنَّ الله اصطفاها وكرّمها وطهّرها ورفعها عن النِّساء جُمع.

ب _ الاستفهام:

ذهب ابن جني إلى بيان أثر التنغيم في تحديد الدلالة في كتابهِ الخصائص باب (في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها) بقولهِ: ((ومن ذلك لفظ الاستفهام؛ إذا ضامه معنى التعجب استحال خبرًا، وذلك قولك: مررتُ برجل أي رجل، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولست مستفهمًا، وكذلك مررتُ برجل أيّما

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 388/3، 389.

(2) ينظر: المصدر نفسه 387/3.

رجل؛ لأن ما زائدة، وإنّما كان ذلك لأن أصل الاستفهام الخبر، والتعجب ضرب من الخبر، فكأن التعجب لمّا طرأ على الاستفهام إنّما أعاده إلى أصله من الخبرية))[1].

وعلى الرّغمِ من أنّ ابن جني لم يستعمل مصطلح التنغيم في نصهِ السابق إلّا أنَّ كلامه قد تضمنه؛ لأنّ تضام الاستفهام والتعجب لا يتحقق إلّا بالتنغيم.

وممّا ورد من تنغيم بدرجاتهِ العالية في الخِطاب النِّسوي قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: 72]، فهذا خطاب سارة امرأة إبراهيم والّتي بلغت من العمر تسعاً وتسعين سنة وإبراهيم ابن مئة سنة على الرّغمِ من اختلاف الروايات، إلّا أنَّ الأهم هو بلوغ الاثنين العمر الطويل والسن الّتي لا يلد من كان قد بلغها من الرِّجال والنِّساء.

فتعجبت واستنكرت بصوتٍ عالٍ من حملها وولادتها بهذا السن؛ بسبب كبر سنها وسن زوجها؛ لأنّها كانت آيسة من الولد بشدة وبتنغيم عال جاء صراخها وتعجبها المقرون بالسرور والغبطة[2].

وذهب عدد من المفسرين إلى أنّ الاستفهام الوارد في الآية المباركة قد خرج للتعجب ((والاستفهام في (أألد وأنا عجوز) مستعمل في التعجب، وجملة (أنا عجوز) في موضع الحال وهي مناط التعجب، وزادت تقرير التعجب بجملة (إن هذا لشيء عجيب) وهي جملة مؤكدة لصيغة التعجب فلذلك فصلت عن الّتي قبلها لكمال الاتصال، وكأنها كانت مترددة في أنهم ملائكة فلم تطمئن لتحقيق بشراهم))[3].

---

[1] الخصائص: ابن جني 272/3.

[2] ينظر: تفسير الأمثل 9/7، 101/17.

[3] التحرير والتنوير 120/12،121، وينظر: تفسير ابن كثير 143/6، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن 281/2.

ج ـ الشّرط:

يخضع أُسلوب الشَّرط إلى الأداء التنغيمي لأجزائهِ الثلاثة: الأداة، وجملة الشرط، وجواب الشرط، وهو الترتيب الذي تشدد العربية على الالتزام بهِ ولا يقبل التقديم والتأخير فيهِ إلّا لدواعٍ معينة شديدة وإذا حدث هذا التقديم للجواب صار التنغيم ذا دلالة كبيرة عليهِ؛ لأنَّ هذا الجواب سوف ينطق بهِ بطريقة تبيّن ذلك الارتباط بينه وبين الجملة الّتي تليه وتدل على أنّه الجواب المقصود، وللتنغيم أثر كبير حينما يقع الحذف على جملة الشَّرط أو جملة الجواب فيصير التنغيم بدلاً من المحذوف[1].

فالتنغيم يؤدي وظيفة نحوية في السِّياق التركيبي ولا سيما في التراكيب الاستفهامية والشَّرطية، فتحديد الدّلالة يعتمد على السِّياق والتنغيم الذي يؤدي أثراً واضحاً في إضفاء بعض المضامين الدلالية على التراكيب الخبرية الّتي لم تكن تحتوي عليها في الأصل[2].

وممّا ورد من خِطاب نسوي متضمناً الشَّرط ما جاء في سورة يوسف في قولهِ تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن

---

[1] ينظر: التنغيم والقوانين النحوية: د. عمار ربيح (بحث منشور)، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 21، 2017م : 19.

[2] ينظر: التنغيم وأثره في التعبير عن المعاني النفسية: فرهاد عزيز محيي الدين (بحث منشور)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج 10، العدد 1، 2015 : 85.

نَفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف: 30_32].

فالشَّرط بأركانهِ الثلاثة جاء متمحوراً في قولهِ: (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتدت لهن متكأً وأتت كل واحدة منهن سكيناً)، فالفاء جاءت عاطفة و (لمّا) ظرف متضمن معنى الشَّرط في محل نصب، وجملة (أرسلت) جاءت جواباً للشَّرط غير الجازم لا محلّ لها.

أي لمّا سمعت امرأة العزيز بتعبيرهن إياها وقصدهن إشاعة أمرها بنغمات صاعدة قد لوحظت من سياق الآية، لِقصدهن أن تريهن يوسف (عليه السلام) لمّا وصف لهن من حسنهِ وجمالهِ، فخالف ظاهر الكلام باطنه بقصد المكر، فاستضافتهن ودعت منهن أربعين امرأة، وأعدّت لهن وسائد يتكئنَ عليها، ثم أعطت كل واحدة منهن سكيناً لتقطع بهِ الفواكه والاترج على ما هو العادة بين النّاس.

ويستمر التنغيم بنغماتهِ العالية متخذاً من التعجب والاندهاش معنى، وذلك حين أمرت زليخا يوسف (عليه السلام) بالخروج على النِّسوة مكيدة منها ومقابلة لهن في احتيالهن على رؤيتهِ (وقالت أخرج عليهن فلمّا رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) فجملة الشّرط بالأداة (لما) الظرفية الحينية أو رابطة حرفية قد ربطت فعل الشّرط (رأينه) بجملة جواب الشّرط غير الجازم (أكبرنه) والّتي لا محل لها من الإعراب.

قد خرجت بتنغيم عالٍ حين أعظمن شأنه وأجللنَّ قدره وقمن بقطع أيديهنَّ دهشاً برؤيتهِ وهنَّ يظنن أنّهن يقطعن الاترج بالسكاكين[1]. (وقلنَّ حاشا للهِ ما هذا بشراً) والمراد هنا التعبير عن عجيب صنع الله في خلقه، وجاء هذا بتنغيمٍ عالٍ أيضاً وقلن عندما فوجئن بخروج يوسف عليهن تنزه الله تعالى تنزيهاً كبيراً عن صفات العجز

[1] ينظر: الكشاف 438/2،439، مجمع البيان 217/5،218، تفسير ابن كثير 330/4.

ونتعجب تعجباً شديداً من قدرتهِ وخلقهِ هذا الجمال البديع وليس الذي أمامنا من البشر وإنّما هو ملكٌ كريم من الملائكة المقربين[1].

ويقع حذف جملة جواب الشّرط في سياق قصة يوسف (عليه السلام) بما حوته من خِطاب نسوي، وذلك في قولهِ تعالى: (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فاللام موطئة للقسم و(إن) حرف شرط جازم و(يفعل) جملة فعل الشّرط أمّا جواب الشّرط فمحذوف دلَّ عليهِ جواب القسم جملة (ليسجنن) لا محل لها جواب القسم. فالتنغيم في سياق الآية جاء عالياً صاعداً قد أغنى عن المحذوف بما حمله من معاني الإصرار والتبجح والتهديد والإغراء الجديد في ظل التهديد إذ اكتفى هذا التلوين النغمي بالمعاني المختلفة عن التأويل بجملة محذوفة وأدى الشَّرط معه مقصده من دون الحاجة إلى إعادة تركيب الجملة مع هذا المحذوف.

وذهب الطوسي إلى أنّ قوله تعالى: (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن) هو إخبار عمّا قالت امرأة العزيز على وجه التهديد ليوسف من أنّه إن لم يفعل ما تأمره بهِ من المعصية ويجيبها لتصرفه إلى الحبس فجاء سياق الآية بنغمات متوسطة مستوية لبيان حقيقة الإخبار[2]، في حين ذهب سيد طنطاوي مذهب آخر في تفسيرهِ قائلاً: ((ثمَّ قالت أمامهن بعد ذلك في تبجح واستهتار وتهديد: (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) أي: والله لقد راودته عن نفسه فاستعصم، ... وأنا سيدته الآمرة النّاهية لا غيري ليسجنن عقوبة له وليكونا من الصاغرين؛ أي من الأذلاء المهانين المقهورين من الصغار))[3].

---

[1] ينظر: تفسير سيد طنطاوي 353/7، 354.

[2] ينظر: التبيان في تفسير القرآن 130/6.

[3] تفسير سيد طنطاوي 354/7، 355.

وخلصت الباحثة إلى أنّ سياقات الآيات الكريمات السابقات جاءت متلونة بتنغيمات مختلفة ما بين المتوسطة والعالية والّتي لها أثر كبير في إظهار المعاني المختلفة بما تحويها من دلالات إبداعية أسلوبية كبيرة وسعة خطابه ودقة بيانه الذي لا يدانيه بيان.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 34،35].

وفي هذه الآيات تفاوتت التنغيمات والأداء التنغيمي لاختلاف المعاني الّتي ظهرت عند المفسرين ما بين نغمة عالية ومتوسطة وهابطة وعلى النحو الآتي:

فبمعنى الملاطفة والاستشارة من قبل بلقيس ملكة سبأ لأشراف قومها جاء التنغيم بنغمة هابطة تبين ملاطفتها لقومها في الاستشارة منهم فيما تعمل عليهِ إذ كانوا أصحاب قدرة وبأس وشجاعة شديدة إلّا أنّها طلبت منهم الحذر من ذلك[1]. فأسلوب الشَّرط هنا بأركانهِ الثّلاثة من أداة الشرط (إذا) وفعل الشرط (دخلوا قرية) وجوابه (أفسدوها) جاء بنغمة هابطة كما وضّحنا ذلك.

وللاهتمام بالخبر وتحقيقه جاء الأداء التنغيمي بنغمة متوسطة مستوية كما وضّح ذلك الطاهر بن عاشور في تفسيرهِ بقولهِ: ((وافتتاح جملة (إن الملوك) بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر وتحقيقه، فقولها (إذا دخلوا قرية أفسدوها) استدلال بشواهد التاريخ الماضي ولهذا تكون (إذا) ظرفا للماضي بقرينة المقام كقولهِ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 11]، وقوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ

[1] ينظر: التبيان في تفسير القرآن 86/8، مجمع البيان 343/7.

﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا﴾ [التوبة: 92]))[1]، وبنغمة عالية صاعدة حذرتهم بلقيس مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم، وتناهي الخبر عنها هاهنا فصدّقَ الله قولها أي: كما قالت هي يفعلون[2].

ومن طريق ما سبق تبيّن للباحثة أنَّ التنغيم يكون بنغمات مختلفة من جهة العلو والهبوط تبعاً للمعنى المقصود من السياق وعلى النحو الآتي:

النغمة الهابطة وتكون للعتب، والرحمة والتوبة والتمني والتهكم وإظهار الأسف والحزن.

النغمة المتوسطة وتكون للإخبار والتقرير والتذكير والنصح والإرشاد والنداء وطلب الانتباه.

النغمة العالية وتكون للتعجب والزجر والتوبيخ والأمر والتحذير والترغيب والاستفهام والإثارة والضراعة والإهانة والنهي.

2_ التكرار:

لغة:

قال الخليل: ((الكَرُّ: الحبل الغليظ، وهو أيضاً حبل يصعد به على النخل ...، والكَرُّ: الرجوع عليه، ومنه التَّكرار. والكَريرُ: صوت في الحلق كالحشرجة، والكَريرُ: بحة تعتري من الغبار))[3].

---

[1] التحرير والتنوير 266/19، وينظر: الجامع لأحكام القرآن 195/13.

[2] ينظر: معالم التنزيل 502/3.

[3] كتاب العين (كر) 277/5.

وأَمّا ابن فارس فقال: ((الكَافُ وَالرَّاءُ أَصلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَرْدِيدٍ، ومِنْ ذَلِكَ كَرَرْتُ، وَذَلِكَ رُجُوعُكَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَهُوَ التَّرِدِيدُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَالْكَرِيرُ: كَالْحَشْرَجَةِ فِي الْحَلْقِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُرَدِّدُهَا))[1].

وذكر ابن منظور في لسان العرب: ((الكَرُّ: الرُّجُوعُ. يُقَالُ: كَرَّه وكَرَّ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، والكَرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُروراً وتَكْراراً: عَطَفَ. وكَرَّ عَنْهُ: رَجَعَ، وكَرّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ؛ وَرَجُلٌ كَرَّار ومِكَرّ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ، وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى ...، وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إِذا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ. وكَركَرْتُه عَنْ كَذَا كَرْكَرةً إِذا رَدَدته، والكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرارُ))[2].

ونلاحظ أنَّ التكرار في اللغة من الكرِ وقد أفاد معنى الرجوع، وهو الإعادة مرَّة بعد أُخرى.

اصطلاحا:

يُعرّف القاضي الجرجاني التكرار بقولهِ: ((هو عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى))[3]، فهو يريد بهذا التعريف تكرار الألفاظ مرة بعد أخرى لغرض الإثبات.

وأَمّا ابن الأثير فيعرّفه بقولهِ: ((هو دلالة اللّفظ على المعنى مردداً))[4].

ويذهب ابن أبي الأصبع المصري إلى أَنَّ المقصود به: ((أَن يكرر المتكلّم اللّفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد))[1].

---

[1] مقاييس اللغة (كرَّ) 126/5.

[2] لسان العرب (كرر) 135/5.

[3] التعريفات: 65.

[4] المثل السائر: ابن الأثير 3/3.

وترى الباحثة أنَّ التكرار في الاصطلاح يراد به تكرار لفظة معينة دون تكرار المعنى.

وجاء التكرار في الخِطاب النِّسوي على الأنماط الآتية:

أ _ تكرار الصوت:

((إنَّ الصوت هو اللبنة الّتي تشكل اللغة، أو هو المادة الخام الّتي تبنى منها الكلمات أو العبارات))[2]، فالصوت هو وحدة أساسية؛ لأن الناس يتفاهمون بها أساسا عن طريق الأصوات الكلامية، وإنَّ أصوات الكلام تحيط بالفرد من كُلِّ جهة، إذ إنّنا نستعملها ونسمعها ونستمتع بها.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51] ففي هذه الآية تكرر صوت (الصاد) مرتين في كلمة واحدة هي (حصحص)، إذ نُلاحظ أنَّ هذا الصوت كان بارزاً في قول امرأة العزيز، وهو صوت يوحي بالقوة، فالموقف الذي فيه امرأة العزيز يستلزم القوة، فكلمة (حصحص) مأخوذة من بيان الشيء وإظهاره، وهي تعني ((بيان الحق بعد كتمانه))[3]، فإنَّ امرأة العزيز بعد مراودتها ليوسف (عليه السلام) وإنكارها بأنَّها ليست هي المراودة واتهمت يوسف (عليه السلام) بأنَّه هو الذي قام بهذا الفعل، وحينما شهد شاهد من أهلِها فتبين بأنَّها هي المراودة ولكن عليها الاعتراف بذلك أمام الملأ لتبرئة يوسف (عليه السلام)، فعندما اجتمع الجميع فقالت الآن حصحص الحق، أي بمعنى الآن تبيّن الحق وظهر، فاستخدمت صوت الصاد لأنَّها كانت تتطلب في ذلك الموقف جهداً

---

[1] تحرير التحبير: ابن أبي الأصبع المصري: 375.

[2] دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر: 401.

[3] المحكم والمحيط الاعظم: ابن سيده (حصحص) 493/2.

وقوة في النفس، لإعلانها الحق بأنَّها هي الّتي راودت يوسف (عليه السلام)، وعلى الرّغمِ من أن هذا التكرار الصوتي قد اعطى قوة وشجاعة في الموقف، لكن كثيراً ما كان يوحي بمعاناتها في التجربة التي خاضتها في مراودة يوسف (عليه السلام)، وتقول الباحثة فضيلة مسعودي حول تكرار الصوت: ((وتكرارية الصوت الواحد أو الصوت المفرد يتم فيها تكرار صوت معين من شأنه أن يعطي جرساً صوتياً فريداً إلى جانب الأصوات السابقة أو اللاحقة المكونة للفظ، وقد يتكرر على مستوى المفردة الواحدة، كما يمكن ان يتكرر على مستوى الالفاظ المتجاورة المكونة للجملة الواحدة))[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20].

فقد تكرر صوت السين في كلمة (يمسسني) ونرى أنَّ هذا الصوت كان بارزاً على لسان مريم (عليها السلام)، والمتأمل لصوت (السين) يجد أنَّه صوت رخو مهموس، وهو من أصوات الصفير فعند النطق به يضيق مجرى الهواء فيصدر صفيراً عالياً[2]، وأمّا صوت (الميم) فهو صوت شفوي مجهور وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، يصدر عند خروجه من مجراه نوعاً من الحفيف[3]، وإنَّ اجتماع صوت (الميم) الذي هو صوت مجهور مع صوت (السين) وهو صوت مهموس ولدا نغماً صاعداً وهابطاً يوحي بشدّة الموقف، وإنَّ التضعيف في لفظ (يمسسني) جاء لزيادة المعنى قوّةً، وكأنَّ هذهِ اللفظة بأصواتها المفخمة تحكي المعنى العام، فهي تمتاز بجرس صوتي عنيف وتختص بمناطق الشدة فقد توافقت هذهِ اللفظة مع شدّة وهول المشهد.

---

[1] التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية: فضيلة مسعودي: 14.

[2] ينظر: الأصوات اللغوية: 74.

[3] ينظر: المصدر نفسه: 45.

ب _ تكرار الكلمة:

ونجد هذا النوع من التكرار في قولهِ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42].

فقد كرّر الله سبحانه وتعالى كلمة (اصْطَفَاكِ) مرتين في هذهِ الآية، فكلمة الاصطفاء الأولى تحمل في طياتها معاني عديدة منها: أنَّ الله اختارها واجتباها لطاعته[1]، ومنها: أنَّه تعالى قَبِلَ تحريرها لخدمة المسجد مع أَنّها كانت أُنثى ولم يحصل لمثل هذا المعنى لغيرها من الإناث، ومنها: إنَّ أُمَّها لمّا ولدتها لم تُغذِها طرفة عين، بل ألقتها إلى زكريّا، وكان رزقُها يأتيها من الجنّة، ومنها: أَنّه تعالى فرّغها لعبادته، وخصَّها في هذا المعنى بأنواع اللُّطف والهداية، ومنها: أَنَّه سبحانه كفاها أَمرَ معيشتها، فكان رزقها يأتيها من عند الله، فلما دخل عليها زكريا قال: يا مريم أنّى لكِ هذا قالت هو من عند الله، ومنها: أَنّه أسمعها كلام الملائكة شفاها، ولم يسبق ذلك الأمر لأنثى غيرها[2].

أَمّا الاصطفاء الثاني فهو يختلف في معناه عن الأول، فيراد به أَنَّه تعالى وهبَ لها عيسى (عليه السلام) من غير أبٍ وبذلك فضّلها على نساءِ أهلِ زمانها، وأنطق عيسى حال انفصاله منها، وهدايتها وإرسال الملائكة إليها وتبرئتها ممّا قذفتها بهِ اليهود من التهمة، وجعلها وابنها آيةً للعالمين[3].

وهذا التكرار الوارد في الآية لافت للانتباه، إذ إنَّ تكرير (اصطفى) إمّا توكيدًا، وإمّا ليبيّن من اصطفاها عليهنَّ فالاصطفاء الأول جاء في باب العموم فيدخل في

---

[1] ينظر: جامع البيان 392/5.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب 217/8، 218.

[3] ينظر: مفاتيح الغيب 218/8، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 16/2.

ضمنهِ صوالح النِّساء، والثاني أفاد الخصوص فيما اختصت بهِ من خصائصها، ولذلك تعدى بحرف الجر (على)، أي على نساءِ أهلِ زمانها[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي...﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ...﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 23، 26، 30، 32، 51].

يُخبرنا سبحانه وتعالى في آياتهِ عن امرأة العزيز الّتي كان يوسف في بيتها بمصر، وكان زوجها يوصيها بهِ وبإكرامهِ، فراودته عن نفسهِ، ودعته إليها، وذلك لأنَّها أحبَّته حُبّاً شديداً لجمالهِ وحُسنِ بَهائهِ[2].

ومعنى (المُراودة) هو المُطالبةُ برفقٍ ولين قول، ومعناها عند الفيروز أبادي هو منازعة غيرك في الإرادة، فقال: ((المراودة: أَن تُنازع غيرك في الإرادة، فتريد غير ما يُريده، أو ترود غير ما يروده))[3]، ((ويُقال: راودَ فلانٌ جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسهِ إذا حاول كل واحدٍ منهما الوطء والجماع))[4].

---

[1] ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي 170/3.

[2] ينظر: تفسير ابن كثير 325/4.

[3] بصائر ذوي التمييز: الفيروز أبادي 111/3.

[4] مفاتيح الغيب 438/18.

وقد تعدَّى فعل (المراودة) بحرف الجر (عن)؛ لأنَّه تَضمَّن معنى المُخادعة، فهي تُخادع يوسف عن نفسهِ، وفعل المراودة هنا صادر عن شخص واحد، فامرأة العزيز تخادع يوسف (عليه السلام) عن نفسهِ.

وإنَّ تكرار فعل (المراودة) ست مرات في سورة يوسف كلها جاءت في شأن امرأة العزيز، ليدلّ ذلك على إصرارها وعزمها على مراودة يوسف (عليه السلام)، وكان الله سبحانه وتعالى صريحاً في تكرار هذا الفعل ليشير إلى قوّة الإرادة وعدم السيطرة على النفس، وليؤكد عما كانت تفعله امرأة العزيز ولو بشكل بسيط، فوجد في تكرار الفعل غايته، وإنَّ هذا التكرار يلفت انتباه القارئ لما احتواه هذا الفعل من تعمّق دلالَة الاستمرار على فعل المراودة فجاء ليؤكد المعنى، ونرى أنَّ لهذا التكرار علاقة نفسية تتعلق بامرأة العزيز وذلك أنّها أحبّت يوسف حبّاً شديداً لدرجة أنَّ حبه وصل شغاف قلبها، وكأنَ لا شيء يشغل امرأة العزيز غير حب يوسف (عليه السلام).

ـ تكرار الظرف:

تكرّرَ الظرف (تحت) في قولهِ تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: 24].

فقد تكلّم سبحانه وتعالى في هذه الآية عن مريم (عليها السّلام)، إذ قال: (فناداها من تحتها)، فقد اقتضت الآية وجود ثلاثة أطراف هم: مُنادٍ وقد اختلف فيه مَن المُنادي لها هُنا، فقيل: إنَّ المُنادي لها جبريل (عليه السلام)، وقيل: هو عيسى (عليه السلام)[1]. ومُنادى وهي مريم (عليها السّلام)، ونداء يتمثل بقولهِ تعالى: (ألّا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّا).

[1] ينظر: معالم التنزيل 3/ 229.

وترى الباحثة أَنَّ المُنادي لها هو ابنها عيسى (عليه السلام)، لأمرين، الأول: إنَّ قوله (فناداها) فِعلٌ ولابُدَّ أَن يكون فاعله قد تقدّم ذِكره، ولقد تقدّم ذكر عيسى (عليه السلام) قبل هذه الآية فقال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ﴾ [مريم: 22]، والضمير هنا عائدٌ إلى عيسى (عليه السلام) فكان حمله عليه أولى، والثاني: أنَّ عيسى (عليه السلام) لو لم يكن كَلَّمها لما عَلِمت أَنَّه ينطق فما كانت تُشيرُ إليه بالكلام وهو دليل الحسن بن علي (عليه السلام)[1].

وقد تكرر ظرف المكان (تحت) مرتين في الآية، الأوّل: أَنَّه سُبق بحرف الجر (مِنْ)، وقد أفاد الإخبار والنداء لها، والثاني: لم يُسبق بحرف الجر، وقد أفاد البشارة والتسلية لها وتطييباً لقلبها.

وإنَّ نداء عيسى لها لاطمئنان نفسها فقال: (ألّا تحزني)، وقوله هذا تفسير النداء فـ(أن) مُفسّرة بمعنى (أي)، أي لا تحزني بولادتكِ قد جعل رَبُّك تحتك سريّا، والسري هنا فيه معنيين، الأول: هو النهر الصغير والجدول من الماء، والثاني: يراد به السيد العظيم من الرجال، ومنه قولهم فُلانٌ سريٌّ، أي عظيمٌ[2].

وخلصت الباحثة أَنَّ المعنى الأول هو الأقرب لمعنى الآية وهو الذي يحمل معنى البشارة كما بشر تعالى المؤمنين بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [البقرة: 25]، فهذا الوصف للأُنس والتسلية والتشويق[3].

ج ـ تكرار النِّداء:

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 527/21.

[2] ينظر: المحرر الوجيز 11/4، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 9،8/4، فتح القدير 388/3.

[3] ينظر: التحرير والتنوير 87/16.

وذلك في قولهِ تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ [آل عمران: 37، 42، 43، 45].

كانَ لتكرار النِّداء سِمَة بارزةٌ في الخِطابِ النِّسوي، فقد كرّر سبحانه وتعالى (يا) النِّداء وذكر معها اسم مريم (عليها السّلام)، وهي المرأة الوحيدة الّتي صرّحَ الله بذكر اسمها أمّا بقية النِّساء فلم يذكر اسماءهن وإنّما أجراهُنَّ مجرى الكناية.

وإنَّ النِّداء هو فعل كلامي يقوم بِهِ المُخاطب ليلفت انتِباه المُستمع ويجعله مُهيَّئاً لتلقي الخِطاب الذي يسعى إلى إيصاله إليه، والنِّداء هنا مُوجَّه لمريم (عليها السّلام) لتهيئة نفسها، لما سيُلقى إليها من كلام، وعلى الرّغمِ من استخدام الخِطاب (يا) النِّداء الّتي غالبا ما تُستعمل للبعيد، لكن يوجد فيه مزيدٌ من التَّعظيم، فضلاً عن أَن الله أعزَّها بهذا الخِطاب الذي نوديت بِهِ من أجلهِ، وإنَّ تكرار حرف النِّداء في كُلِّ مرّةٍ جاء ليعبر عن معنى جديد يختلف تماماً عمّا سبقه مِن معانٍ.

فالنداء الأول كان من زكريا (عليه السلام) لمريم عندما رأى عِندها رزقاً فسألها عن سبب ذلك الرزق الذي يُسِّرَ لها بلا كد ولا تعب، فقالت هو من عند الله وإنَّ هذا

الرزق هو كرامة من الله لها[1]، فقد أفاد النداء هنا معنى الاستفهام. أمّا النداء في الآية الثانية فقد كان نداء الملائكة لها والمراد بالملائكة هنا جبريل (عليه السلام) وعلى الرّغمِ من أنّ مريم (عليها السّلام) لم تكن من الانبياء لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7] إلّا أنَّ خِطاب الملائكة لها وإرسال جبريل (عليه السلام) إليها ليكون كرامة لها[2]، وكان نداء الملائكة لها لإخبارها عن أمر الله، بأنَّه سبحانه وتعالى قد أختارها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين فهذا النداء قد أفاد الإخبار والاختصاص إذ فضلها على أهل زمانها. أمّا النداء في الآية الثالثة فهو أيضا يتضمّن نداء الملائكة لمريم (عليها السّلام) بأن تكثر من الطاعة وتعبد الله وأن تسجد وتركع مع الراكعين فهذا النداء قد أفاد الأمر فقد أمرت بالطاعة في كل أحوال العبادة القنوت والركوع والسجود، فقامت بكُلِّ ما أمرت به وبلغت أقصى درجات الكمال في عبادتها لله، أمّا النداء في الآية الرابعة فقد تضمن نداء الملائكة لها وإبلاغها بقول الله بأنه سيجعل لها ولداً وقد أفاد هذا النداء معنى التبشير لها.

3_ التَقديم والتَّأخير:

التّقديم والتَّأخير موضوعٌ مُشترك بينَ علمي النحو والبلاغة، فنجده في كتبِ النحو في أبواب المسند والمسند إليه وفي أبواب أخرى، ونجده في كتبِ البلاغة في

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب 207/8، البحر المحيط 123/3، 124، تفسير السعدي: عبد الرحمن السعدي 1 / 966.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب 8 / 217.

موضوعاتِ علم المعاني، فالتّقديم والتّأخير جمعا أكثر من تخصص علمي، وأثبتا صلة العلاقة وقوّتها بين النحو والبلاغة[1].

وإنَّ لتقديم بعض الألفاظ على غيرها أسباباً عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إنَّ التّقديم إنّما يكون للعناية والاهتمام، فما كانت عنايتك به أكبر كان له حق التقديم في الكلام، والعناية باللفظة لا تكون من جهة أنّها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، ولذا كان عليكَ أَن تقدّم كلمة في موضعٍ ثُمَّ تؤخرها في موضعٍ آخر؛ لأنَّ مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذلك[2].

ويعدُّ القرآن الكريم المثل الأعلى في ذلك، فإنَّا نراه يُقدّم لفظة مرة ويؤخّرها مرة أخرى على حسبِ المقام، فنراه مثلاً يُقدِّم لفظة السّماء على الأرض تارة ويُقدِّم لفظة الأرض على السّماءِ تارة أُخرى، ومرة يُقدِّم الإنس على الجن ومرة يُقدِّم الجن على الإنس، ومرة يُقدِّم الضر على النفع ومرة يُقدِّم النفع على الضر، كلّ ذلك يكون بحسب ما يقتضيه القول وسياق التَّعبير[3].

وقد تحدَّث الدكتور السامرائي عن التّقديم والتّأخير ووجود هذا الفن في القرآن الكريم فقال: ((إنَّ التّقديم والتّأخير فنٌ رفيعٌ يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام وليس ادِّعاء يدّعى أو كلمة تُقال، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن كما في غيرهِ الذّروة في وضعِ الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتفِ القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السِّياق الذي وردت فيه، بل راعى جميع المواضع الّتي وردت فيها اللفظة، ونظر

---

[1] ينظر: التقديم والتأخير في سورة البقرة: د. أحمد قاسم كسار (بحث منشور على الانترنت): 38.

[2] ينظر: التقديم والتأخير في القرآن: قسطاس إبراهيم النعيمي (مقال منشور على الانترنت).

[3] ينظر: المصدر نفسه.

إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كلّه، فنرى التّعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأَنَّه لوحة فنية واحدة مكتملة ومتكاملة))[1].

ومن مواضع التَّقديم والتّأخير الّتي وردت في الخِطاب النِّسوي الآتي:

1 _ الدلالة على الاهتمام:

ومنه قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

ورد التقديم في قولهِ: (وليس الذكر كالأنثى)، فقد قدّم لفظ الذكر على الأُنثى للدلالة على الاهتمام ولبيان أنَّ الذكر هو مطلوبها ومُرادها لتقبُّل النذر، إذ كان الذكر هو ما يقوم عادة بخدمة المسجد وطاعة الله، وأنَّ الأُنثى لا تصلح لخدمة المسجد لما يُصيبها من الحيض والأذى، أو أن يكون المراد من كلامها هذا هو ترجيحُ هذهِ الأُنثى على الذّكر، كأنّها قالت الذّكر مطلوبي وهذهِ الأُنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذّكر الذي يكون مطلوبي كالأُنثى الّتي هي موهوبة لله[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: 31].

ورد التقديم في قوله: (يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)، فقد قدَّم غضَّ البَصرِ على حِفظِ الفرج للدلالة على الاهتمام؛ لأنَّ الاهتمام بغض البصر

---

[1] التعبير القرآني: فاضل السامرائي: 53.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب 204/8.

أكبر؛ ولأن النَّظرَ بريدُ الزِّنا ورائدُ الفُجورِ، ولا يَكادُ يقدر على الاحتراز منه، وهو البابُ الأكبرُ إلى القلبِ وأعمرُ طُرُقِ الحواسِّ إليه، ويَكثُرُ السُّقوطُ من جهته[1]، ولهذا قدّمه على حِفظِ الفَرجِ.

ومنه قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: 25].

ففي هذهِ الآية ورد تقديم السجن على العذاب الأليم وذلك لاهتمام امرأة العزيز بيوسف (عليه السلام) لأنّها أحبّته حتى أنَّ حُبّها له وصل شغاف قلبها فهذا الحُب حملها بأن تبدأ بذكر السجن وتؤخر ذكر العذاب، لأنَّ المحب لا يسعى في إيلام المحبوب[2].

ومنه قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26].

فقد ورد التقديم في قوله: (القوي الأمين) فقد قدّمت صفة القوي على صفة الأمين ؛لأن العناية هي سبب التقديم، فقد آثرت ترتيب الاحداث في القصة، إذ أظهرت صفة القوة أولاً، ثم أظهرت فيما بعد صفة الأمانة فقالت: استأجره لقوته وأمانته، فقد مدحته أمام أبيها ((وإنَّ مثل هذا المدح من المرأة للرجل أجمل من المدح الخاص وأبقى للحشمة، وخصوصاً إذا كانت قد فهمت أن غرض أبيها أن يزوجها منه، ومعرفتها قوته (عليه السلام) لما رأت من دفعهِ الناس عن الماء وحده حتى سقى لهما،

---

[1] ينظر: البحر المحيط 33/8.

[2] ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية: الدكتور منير محمود المسيري: 435.

ومعرفتها أمانته من عدم تعرضه لها بقبيح على الرغم من كونها وحيدة وضعيفة، وروي أنها لما قالت ما قالت قال لها أبوها: ما أعلمك بقوته؟ فذكرت له أنه (عليه السلام) نقل صخرة على البئر لا ينقلها إلا عشرة رجال، والنقل في عدد من ينقلها مضطرب فأقل ما قالوا فيه سبعة وأكثره مائة، وذكرت أنه نزع وحده بدلو لا ينزع بها إلا أربعون. وقال: ما أعلمك بأمانته؟ فذكرت ما كان من أمره إياها بالمشي وراءه وأنه صوب رأسه حتى بلغته الرسالة، وقدمت وصف القوة مع أن أمانة الأجير لحفظ المال أهم في نظر المستأجر لتقدم علمها بقوته (عليه السلام) على علمها بأمانته، أو ليكون ذكر وصف الأمانة بعده من باب الترقي من المهم إلى الأهم))[1].

ومنه قولهِ تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37].

فقد جاء التقديم في قولهِ: (كلما دخل عليها زكريا المحراب)، إذ قدّم الظرف على الفاعل وذلك للدلالة على إظهار كمال العناية بأمرها.

2 _ الدلالة على التّشريف:

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: 43].

فقد ورد التقديم في هذهِ الآية في قولهِ: (اسجدي واركعي) واختلفت أقوال المفسِّرين حول تقديم لفظ السجود على الركوع في الآية المباركة منها: أنَّ السجود كان مقدماً في شريعتهم وإن كان مؤخراً عندنا؛ إذ كان تقديم السجود على الركوع في

[1] روح المعاني 275/10.

شرع زكريا وغيره، ومنها أنَّ الواو تفيد الاشراك ولا توجب الترتيب، فاستوى حكم التقديم في اللفظ وتأخيره، ومنها أَنَّ غايةَ قُرْب الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ سَاجِدًا قَالَ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ إِذَا سَجَدَ))[1] فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ مُخْتَصًّا بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الرُّتْبَةِ وَالْفَضِيلَةِ لَا جَرَمَ أَنَّه قَدَّمَهُ عَلَى سَائِرِ الطَّاعَاتِ، ومنها أنَّ في السجود إشارة إلى الأمر بالصلاة، فكأنّه تعالى يأمرها بالمواظبة على السجود في أكثر الأوقات، وأمّا الصلاة فإنّها تأتي بها في أوقاتها المعينة لها، أو أنَّ الصلاة تسمّى سجوداً كما قيل في قوله تعالى: (وإدبار السجود) ، واشرف أجزاء الصلاة السجود وتسمية الشيء باسم أشرف أجزائه نوع مشهورٌ من المجاز، فإذا ثبت هذا فالمعنى: يا مريم قومي (اقنتي)، وقوله: (واسجدي) أي: صلّي، فكان المراد من هذا السجود الصلاة، وقولهِ: (واركعي مع الراكعين) إمّا أن يكون أمراً لها بالصلاة في الجماعة، فيكون قوله: (واسجدي) أمراً بالصلاة حال الانفراد، وقولهِ: (واركعي) أمراً بالصلاة في الجماعة، أو يكون المراد من الركوع التواضع، ويكون قوله: (واسجدي) أمراً ظاهراً بالصلاة، وقوله: (واركعي مع الراكعين) أمراً بالخضوع والخشوع بالقلب[2]، وقد دلَّ هذا التقديم على التشريف وذلك لأن السجود أفضل من الركوع ويسند ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وآله) ولهذا قدّمه لقصد الشرف والفضيلة.

3 _ الدلالة على المرتبة أو الرتبة:

ومنه قولهِ تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53].

---

[1] صحيح مسلم 350/1.

[2] ينظر: النكت والعيون 392/1، المحرر الوجيز 434/1، مفاتيح الغيب 218/8، 219.

فقد ورد التقديم في قولهِ: (إنَّ ربي غفور رحيم)، فقدمت الغفور على الرحيم لأنَّها اعترفت بذنبها، وأنَّ الله يغفر للمستغفر ذنبه والمعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه ممّا ارتكبه[1]، ومن جمالية هذا التقديم أنّها آثرت ذكر الغفور لضمانِ سلامتها ولترقق قلب زوجها العزيز عليها ليغفر لها ما فعلته ثم ذكرت الرحيم للحصول على غنيمتها بأن يرحمها ولا يعذبها بعد أن اعترفت على نفسها.

4 _ الدلالة على الاختصاص:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: 26].

فقد قدّم الجار والمجرور (للرحمن) للدلالة على الاختصاص، فإن الصوم الذي نذرته خالصاً لوجههِ الكريم ومختصاً بهِ سبحانه وتعالى، وليس عن هوى أو رياء، وفيه إيحاء بتعظيم هذا الصوم، لكونه خالصاً للرحمن وبأمر منه[2].

ومنه قولهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

فقد ورد التقديم في قولهِ: (وإني أعيذها بك وذريتها)، فقد قدّمت أم مريم المعاذ بهِ وهو الله سبحانه وتعالى في قولها (بك) على المعطوف في قولها (وذريتها) وإنَّ مردُّ ذلك إلى تعظيمها لله بتقديم الضمير، كما يدلّ ذلك على قوة إيمانها وشدة تعلق

---

[1] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 167/3.

[2] ينظر: دراسة أسلوبيّة في سورة مريم: معين رفيق أحمد صالح: 155.

قلبها بحبائل التوحيد المتينة، إذ إنَّ استعاذتها لم تكن إلّا لله وحده، ولهذا قدمته في الذكر، وكأنها تقول: إني أعيذها وذريتها بك وحدك ليس بأحدٍ سواك[1].

5 _ التقديم لدلالة السّياق:

ومنه قولهِ تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

فقد ورد التقديم في قولهِ: (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ)، فقدّم ذكر الأم على الابن لأن السّياق في ذكر مريم (عليها السلام)[2]، فبعد أن انتهى الله سبحانه وتعالى من ذكر الأنبياء أعقب كلامه بذكر مريم (عليها السلام) ولذلك قدّمها على ابنها لأنَّ السّياق في موضع التحدّث عنها.

ومنه قولهِ تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: 10_ 12].

تقدّم ذكر المرأتين الكافرتين وهما امرأة نوح وامرأة لوط على المرأتين المؤمنتين وهما امرأة فرعون ومريم بنت عمران، لأنَّ السّياق اقتضى ذلك، وإنَّ تقديم المرأتين

---

[1] ينظر: دراسة أسلوبية في سورة مريم: 259، 260.

[2] ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم: 143.

الكافرتين يعود إلى أنَّ ذكرهما معاً قد جاء مجملاً في آية واحدة وقعت بعد أمر الله نبيه محمد (صلى الله عليهِ وآلهِ) بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وبيان سوء مصيرهم فكان هذا أنسب لمناسبة السّياق من جهة التلاحم والتناسب، ولمّا ضرب المثل للمؤمنين بذكر امرأة خصّها تعالى بآية كاملة فصّل فيها حسن عاقبة تلك المرأة وثباتها على الرغم من تعرضها لظلم فرعون ولجوئها إلى الله تعالى تطلب منه الهدى والسداد والنجاة، وكذلك فعل تعالى مع مريم بنت عمران التي أحصنت فرجها وصدقت بكلمات ربها وكتبه، وكانت من القانتين فكان ذكرها خاتمة حسنة للسورة تبهج النفس وتشحذ العزيمة، ولتكون ألصق بالذهن، وقد روعي الترتيب الزمني مع مَثل الكافرين، ومَثل المؤمنين فقد تقدم ذكر امرأة نوح على امرأة لوط، وفي مثل المؤمنين تقدم ذكر امرأة فرعون على مريم مع كون مريم أفضل منها ولكن امرأة فرعون هي التي طلبت من ربها القرب من رحمته وكان ذلك أهم عندها فقدمت الظرف وهو (عندك) ثم بينت مكان القرب فقالت في الجنة، وقد ورد تقديم آخر في الآية وهو تقديم النجاة من فرعون على النجاة من القوم الظالمين، فبدأت بطلب النجاة من الذي ظلمه واقع بها على مالم يقع بعد أو بدأت بطلب النجاة من الأشد ظلماً إذ لم يعلم من هو أشد منه ظلماً في عصرهِ[1].

6_ الدلالة على السبب:

منه قولهِ تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: 18].

فقد قدّمت الاستعاذة بـ(الرحمن) على (منك) فكان سبب استعاذتها بالرحمن هو أنَّها كانت منشغلة بالعبادة، وعندما تمثل الملك على هيأة بشر فأول ما استعاذت به

[1] ينظر: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم: 658.

هو الله، وإن التقي إذا وعظ بالله عز وجل اتعظ وخاف، والفاسق يخوف بالسلطان، والمنافق يخوف بالناس، فالتقيّ يخوف بالله، ويقال: في الآية مضمر ومعناه احذر إن كنت تقياً[1].

وترى الباحثة أنَّ الآيات الّتي وردت فيها دلالات التقديم والتأخير تحمل أكثر من معنى، وذلك بحسب فهم القارئ للنص فهي غير ملتزمة بدلالة معينة، بل إنَّ التنوع في الدلالات كان موجوداً في سياق الآيات، فالتقديم والتأخير قد حقق غايتهما في بيان قيمته الفنية والجمالية، فقد وردت بعض الكلمات التي وجب تقديمها ولا يجوز تأخيرها كتقديم المفعول بهِ على الفاعل وتقديم الظرف على الفاعل، ووردت كلمات أخرى لزم تأخيرها، ولا يمكن تقديمها وعلى هذا نرى أنَّ هذا الفن ليس مجرد حلية زخرفية ترتديها جملة ولا مجرد رغبة تتم بغير هدف بل هو غاية وقيمة جمالية.

وخلصت الباحثة إلى أنَّ أسلوب التقديم والتأخير كان بارزاً في الخِطاب النِّسوي ويكمن أثره في إظهار العناية بالمقدّم لجذب انتباه القارئ إليه، وقد أفاد دلالات متنوعة ومهمة كالاختصاص، والعناية، والاهتمام، وتقديم الأشرف، والتعظيم، والرتبة، ومراعاة السياق.

4 _ العدول:

يُعرِّف عباس حسن العدول بقولهِ: ((إنه تحويل الاسم من حالة لفظية إلى أخرى مع بقاء المعنى الأصلي بشرط ألا يكون التحويل لقلبٍ، أو لتخفيفٍ، أو لإلحاقٍ، أو لزيادة معنى))[2].

---

[1] ينظر: بحر العلوم: السمرقندي 371/2.

[2] النحو الوافي: عباس حسن: 212.

وحدَّه تمام حسان بقولهِ: ((الأسلوب العدولي هو خروجٌ عن أصلٍ أو مخالفة قاعدة))[1].

ويربط الدكتور أحمد ويس تعريف العدول بمصطلح الانزياح فيرى أنَّه: ((استعمال المبدع للغة، مفردات وتراكيب وصوراً استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتاد ومألوف، بحيث يؤدي ما ينبغي أن يتصف بهِ من تفرد وإبداع، وقوة جذب وأسر))[2].

ويعدُّ العدول من أكثر الصيغ تعبيراً عن القيم الجمالية الموجودة في لغة القرآن الكريم؛ لأنَّه يعمل على خلقِ دلالات فريدة جديدة أبهرت العرب قديماً وهم أهل الفصاحة والبيان.

ومن شواهد العدول الواردة في الخِطابِ النِّسوي في القرآن الكريم الصور الآتية:

أ _ العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: 12].

جاء العدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية في قولهِ تعالى: (وهم له ناصحون)، وذلك ((لقصد تأكيد أنَّ النُّصح من سجاياهم وممّا ثبت لهم فلذلك لم يقل: وينصحون له كما قيل (يكفلونه لكم) لأنَّ الكفالة أمر سهل بخلاف النّصح والعناية))[3].

---

[1] البيان في روائع القرآن: تمام حسان 77/2.

[2] الانزياح من منظور الدراسات الاسلوبية: 7.

[3] التحرير والتنوير 84/20.

((وتعليق (له) بـ(ناصحون) ليس على معنى التقييد بل لأنَّه حكاية الواقع، فالمعنى أنَّ النّصح من صفاتهم فهو حاصل له كما يحصل لأمثاله حسب سجيتهم، والنّصح العمل الخالص الخلي من التقصير والفساد))[1].

ب _ العدول عن الماضي إلى المستقبل:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 34].

يمثّل أسلوب العدول في هذهِ الآية نموذجاً مهماً من نماذج الظاهرة العدولية، إذ يشير إلى ذكاء المرأة في القرآن الكريم.

فهذه الآية تتكلّم على بلقيس ملكة سبأ وكيف أنَّها أخبرت أهل مشورتها بفعل الملوك وعاداتهم عند دخولهم القرى وكيف يتغلبون على أهلِها، وكان سبب اخبارها هو أنَّها كانت تعيش في بيت الملك القديم فسمعت بعادات الملوك وأفعالهم ثُمَّ ذكرت ذلك لأهلِ مشورتها[2].

((وافتتاح جملة (إنَّ الملوك) بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر وتحقيقه، فقولها إذا دخلوا قرية أفسدوها استدلال بشواهد التاريخ الماضي، ولهذا تكون (إذا) ظرفا للماضي بقرينة المقام))[3].

قال الزمخشري: ((أرادت بقولها (وَكَذلِكَ يَفْعَلُونَ) أي هذه عادتهم المستمرة الثابتة الّتي لا تتغير))[1].

---

[1] المصدر نفسه 84/20.

[2] ينظر: الكشاف 365/3.

[3] التحرير والتنوير 266/19.

وقال ابن عاشور: ((هو استدلال على المستقبل بحكم الماضي على طريقة الاستصحاب، وهو كالنتيجة للدليل الذي في قوله: (إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)، والإشارة إلى المذكور من الإفساد وجعل الأعزة أذلة، أي فكيف نلقي بأيدينا إلى من لا يألوا إفسادا في حالِنا))[2].

إذ جاء العدول في عبارة (وكذلك يفعلون)، فقد عَدَلَت عن الفعل الماضي (فعلوا)؛ وذلك لأنَّه يَدلُّ على أنَّ فعلهم قد انقطع بجعلِ أعزّة أهلها أذلّة عند دخولهم القرى، وجاءت بصيغة المضارع (يفعلون)، فالفعل المضارع هنا يدلُّ على الاستمرارية إذ أشعرتهم بأنَّهم مازالوا مستمرين في الإفسادِ وهذهِ عادتهم ثابتة لا تتغير.

ج ـ العدول عن مصدر الفعل الرباعي إلى مصدر الفعل الثلاثي:

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا...﴾ [آل عمران: 37].

جاءت هذه الآية المباركة لتبيّن قبول النذر، وذلك بعد أن نذرت امرأة عمران ما في بطنها بأن يكون عبداً خالصاً لله، فجاء خطاب الله سبحانه وتعالى لها بأنَّه تقبَّلَ هذا النذر بقبولٍ حسنٍ.

فقد ورد العدول في هذهِ الآية في قوله: (وأنبتها نباتاً حسنا)، إذ عدل عن مصدر الفعل الرباعي (إنباتاً) إلى مصدر الفعل الثلاثي (نباتاً)؛ وذلك لأنَّ الله تعالى أنبتها كما يشاء ويريد، فطاوعت أمر ربها وقبلت، ولو قال: (وأنبتها إنباتاً حسناً) لكان إنباتها كُلّه لله وحده وليس لمريم أي فضل، فأراد سبحانه وتعالى أن يجمع بين

---

[1] الكشاف 365/3.

[2] التحرير والتنوير 266/19.

الأمرين أنَّه تعالى أنبتها كما يشاء وأراد فطاوعت أمر ربها وقبلت فجعل الله سبحانه وتعالى لها فضلاً في هذا، فقال: (وأنبتها نباتاً حسناً)[1].

وسر جماليّة العدول في الآية الكريمة هنا هو أنَّ الله سبحانه وتعالى جمع لها بين التربية الجسدية والتّربية الرّوحية.

د _ العدول عن الإظهار إلى الإضمار:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

جاء العدول في قوله تعالى: (والّتي أحصنت فرجها)، إذ عَدَلَ التّعبير القرآني عن الإظهار وهو اسم (مريم) إلى الإضمار في قوله (الّتي)؛ وذلك لأنَّ المقام هنا خاص بذكر الأنبياء، إذ المذكورون كلهم أنبياء وهي ليست من الأنبياء ولذلك لم يذكر اسمها وعَبَّر عنها بالإضمار[2]، فإن قيل: لماذا ذُكرت إذن؟ فيكون الجواب إنَّما ذَكرها مع الأنبياء، وإن لم تكن منهم، لأجلِ ذكر عيسى (عليه السلام) والسورة مخصصة لذكر الأنبياء فكان عيسى (عليه السلام) من الأنبياء فَذُكرت أمّه معه[3]، وقد عبَّر عنها بالموصولية وذلك تفخيماً لشأنها وتنزيهها عمّا زعموه في حقها[4]، ((وفي

---

[1] ينظر: العدول وأثره الصرفي في البيان القرآني: أ.م.د خليل محمد سعيد مخلف (بحث منشور): 6.

[2] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب 949/9.

[3] ينظر: فتح القدير 502/3.

[4] ينظر: إرشاد العقل السليم 83/6.

ذلك دلالة على أنَّها قد اشتهرت بمضمون الصِّلة كما هو طريق الموصولية غالباً))[1].

هـ _ العدول عن جمع المؤنث السالم إلى جمع المذكر السالم:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: 12].

وَرَدَ العدول في قولهِ تعالى: (وكانت من القانتين)، إذ عَدَلَ التعبير القرآني عن جمع المؤنث السّالم (القانتات) إلى جمع المذكر السّالم (القانتين)؛ وذلك يعود إلى أمرين: أولهما: أنَّ الله سبحانه وتعالى غلَّبَ الذّكورية على التأنيث، والقانتين شامِلٌ للذكورِ والإناث، وثانيهما: أنَّ (مِنْ) قد يراد منها التبعيض، وقد يراد بها ابتداء الغاية، والمعنى أنَّها ولِدت من القانتين، لأنَّها من أعقابِ هارون أخي موسى صلوات الله وسلامه عليه[2].

وقد تباينت أقوال المفسِّرين في معنى القانتين، فقيل: المراد بهِ من المصلين، وقيل: من المطيعين، وقيل: يجوز أن يريد بالقانتين أهل بيتها وعشيرتها فإنّهم كانوا أهل صلاحٍ مُطيعين لله[3].

وترى الباحثة أنَّ مريم (عليها السلام) إنَّما ذُكرت من ضمن القانتين؛ وذلك لأنَّها لم تكن ترى ما تراه النِّساء من الحيض، فهي انفردت بهذا الشيء دون غيرها من النِّساء ويُثبت ذلك قوله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى

---

[1] التحرير والتنوير 137/17.

[2] ينظر: البحر المحيط 217/10.

[3] ينظر: معالم التنزيل 172/8، مفاتيح الغيب 575/30، الجامع لأحكام القرآن 204/18.

﴿نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]، وبهذا ذُكرت في عداد القانتين لله أي إنَّ أوقاتها كانت كُلّها للعبادة، فلم يكن لها عذرٌ بأن تترك الصلاة والصوم في أيامٍ معدودات كبقية النِّساء، وعلى هذا تكون (من) لابتداء الغاية والله أعلم.

و ـ العدول عن الإضمار إلى الإظهار:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53].

هذا الكلام وَرَدَ على لسانِ امرأة العزيز، فقد عدلَ التعبير القرآني عن الإضمار في قوله: (إنَّه غفورٌ رحيم) إلى الإظهار في قوله: (إنَّ رَبِّي غفورٌ رحيم)، وإنَّ إيثار ذلك أي الإظهار في مقام الإضمار مع التعرّض لعنوان الربوبية هو لتربية الناس على مبادئ المغفرة والرَّحمة[1]، وإنَّ قولها (رَبِّي) فيها دلالة على الاختصاص أي إنَّه الوحيد القادر على غفران الذنوب والمعاصي، ورحيمٌ بقبولِ التوبة من عبادهِ، ولو جاءت بالإضمار لفهم من الكلامِ بأنَّ المقصود هو زوجها العزيز أو يوسف ولهذا عَدلَت إلى الإظهار وقالت (رَبِّي) وأكدت كلامها بـ (إنَّ) أي إنَّ الله عظيم المغفرة فيغفر ما يعتري النفوس بمقتضى طباعها[2].

---

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم 286/4، روح المعاني 5/7.

[2] ينظر: روح المعاني 5/7.

الخاتمة

1_ إنَّ تنوع الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم ساهم في تحقيق أهدافهِ، إذ تضمّن وضع حقوق للمرأة، كما تضمّن وضع الأحكام الشرعية الخاصة بها كوضع الحجاب وغض البصر وحفظ الفرج وغير ذلك من الأحكام؛ وذلك للحفاظ عليهنَّ وتكريمهن.

2_ إنَّ خطاب التكليف في القرآن الكريم جاء موجهاً إلى الرجل والمرأة على حدٍ سواء، ولقد روعي اختلاف الجنس في التكليف ممّا يحقق التكامل والمصلحة لكلا الطرفين.

3_ كان للتنغيم أثرٌ واضحٌ في إبرازِ جمالية الخِطاب النِّسوي، إذ جاء متلوناً بتنغيماتٍ مختلفة تتراوح ما بين الهابطة والمتوسطة والعالية، وقد كان لها أثر كبير في إظهار المعاني المختلفة بما تحويها من دلالات إبداعية وجمالية، فقد اختلفت نبرة المتكلم فدلّت نغمته الهابطة على العتب والرحمة والتوبة والتمني والتهكم وإظهار الحزن، ودلّت نغمته المتوسطة على الإخبار والتقرير والتذكير والنصح والإرشاد، أمّا نغمته العالية فقد دلّت على إظهار أسلوب التعجب والأمر والتحذير والترغيب.

4_ أفاد أسلوب التكرار في الخِطاب النِّسوي أكثر من دلالة، منها ما يختص بالجانب المعنوي إذ يأتي التكرار لإبراز معانٍ جديدة، ومنها ما يختص بالجانب الصوتي إذ يضفي نغمة موسيقية تُصوّر الحالة أو المشهد.

5_ إنَّ لاستعمال النداء في الخِطاب النِّسوي أهمية خاصة، فقد أفاد في طلب حضور الذهن لوعي وإدراك الكلام الذي سيأتي بعده، وهو أدعى لامتثال الأمر الوارد بعده، وممّا يمكن ملاحظته أنَّ النداء قد يتكرر في موضع الخِطاب الواحد أكثر من مرة؛ وذلك للدلالة على شدةِ الحرص بالمنادى، وإعادة تنشيطه، وفرط النصح.

6_ إنَّ اختلاف الخطاب المباشر متأتٍ من اختلاف رتبة المخاطبين، ومن اختلاف سياق حالهم، فخطاب الله سبحانه وتعالى للنِّساء يختلف عن خطاب الملائكة لهن، وخطاب النِّساء فيما بينهن يتباين عن خطاب الرجال لهن، فخطاب الله سبحانه وتعالى جاء لقصد النصح والإرشاد، وأمّا خطاب الملائكة فقد جاء لقصد ابلاغ خبر معين أو فرض أمر معين.

7_ إنَّ التقديم والتأخير هو فنٌ جميل جاء بخصوصية متميزة في الخِطاب النِّسوي إذ دلَّ على العديد من الدلالات منها الدلالة على الاهتمام، والسبب، والرتبة ..الخ التي جاءت عن النحويين والبلاغيين.

8_ تعدُّ الدلالة المعجمية الدلالة الأصلية للألفاظ سواءٌ أكانت حقيقية في أصل الوضع أم مجازية منقولةً عن معنى حقيقي مفرداً كان أو مركباً وقد أطلق عليها المحدثون تسميات عديدة منها الدلالة المركزية والدلالة الأساسية فهي تقوم على التعدد، وإنَّ هذهِ الدلالة تحمل أكثر من معنى للكلمة لذلك لا تُعين على تحديد البعد الدلالي للكلمة.

9_ كان للسياق اللغوي أهمية في تحديد دلالة الألفاظ على وفق السياق الذي ترد فيه، إذ نلاحظ تعدد دلالات اللفظ واختلاف معانيه من سياق لآخر، وتختلف آراء المفسرين وتأويلاتهم من موضعٍ لآخر فأدى هذا إلى تعدد المعاني السياقية وهذا ما وجدناه في الخِطاب النِّسوي في القرآن الكريم.

10_ إنَّ لعناصر سياق الحال أهمية في توجيهِ الدلالة، فقد شملت هذهِ العناصر المتكلم والسامع والمكان والحضور، وقد اختلفت أنماط المتكلمين وشخصياتهم والأحداث التي وقعت من قصة لأخرى فقد تضمنت قصة أم موسى الخوف على ابنها وانتهت بإرجاع وليدها وقصة ملكة سبأ تضمنت حكمة هذهِ المرأة ورجاحة عقلها

وانتهت بإسلامها لله سبحانه وتعالى أمّا قصة امرأة العزيز فتضمنت المراودة والترغيب، ومن ثمَّ التهديد وانتهت بالاعتراف بالمراودة والتوبة.

روافد البحث

أولاً: المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم.

_ الإتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ _ 1974م.

_ أحكام القرآن: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص (ت 370هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1415هـ _ 1994م.

_ الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن علي بن محمد الآمدي (ت 631هـ)، علّق عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي، ط1، المكتب الإسلامي، لبنان _ بيروت، 1424هـ _ 2003م.

_ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت 951هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).

_ أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1419هـ _ 1998م.

_ استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي _ ليبيا، 2004م.

_ أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (ت 577هـ)، ط1، دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1420هـ _ 1999م.

_ أسس النقد الجمالي في تاريخ الفلسفة (دراسة لوجهات نظر بعض الفلاسفة في النقد الجمالي): عبد الكريم هلال خالد، جامعة قاريونس، 2003.

_ الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: محمد بن علي الجرجاني (ت 729هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، 1982م.

_ الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت 660هـ)، تحقيق: رمزي سعد الدين، ط1، دار البشائر الإسلامية، 1408هـ _ 1978.

_ أصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين: سعد عبد الله العربي، مكتبة الطالب الجامعي، 1986م.

_ الأصوات اللغوية: الدكتور إبراهيم أنيس، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975.

_ أصول السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت 490هـ)، حقق أصوله: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر أباد _ الهند، (د.ت).

_ الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان _ بيروت، (د.ت).

_ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت _ لبنان، 1415هـ _ 1995م.

_ الإعجاز الفني في القرآن: عمر السلامي، تونس، 1980م.

_ إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين بن أحمد بن مصطفى الدرويش (ت 1403هـ)، ط4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، دار اليمامة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1415هـ.

_ الاقتصاد فيما يجب على العباد: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460هـ)، تحقيق: السيد محمد كاظم الموسوي، ط1، 1430.

_ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط1، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، 1426هـ _ 2005م.

_ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.

_ الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ت 739هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط5، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

_ البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

_ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (ت 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.

_ البديع في البديع: أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز (ت 296هـ)، ط1، دار الجيل، 1410هـ _ 1990م.

_ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن أحمد بن أبي عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1376هـ _ 1957م.

_ البسيط في شرح جُمل الزجاجي: أبو الربيع عبيد الله بن أحمد الأشبيلي (ت 688هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور عيّاد بن عيد الثبيتي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت _ لبنان، 1407هـ _ 1986م.

_ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

_ البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، 1413هـ _ 1993م.

_ التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت 460هـ)، المحقق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، قم _ إيران، 1409هـ.

_ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة _ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية _ لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د.ت).

_ التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

_ تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم: الدكتور محمود عكاشة، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2013م.

_ التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية: الدكتور محمود عكاشة، ط2، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2011م.

_ الترادف في اللغة: حاكم مالك الزيادي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1400هـ _ 1980م.

_ التربيع والتدوير: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب المعروف بالجاحظ (ت 255هـ)، عُنيَ بنشرهِ وتحقيقه: شارل بلاّت، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، 1955م.

_ التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط4، دار عمّار، الأردن، 1427هـ _ 2006م.

_ التعبير القرآني والدلالة النفسية: الدكتور عبد الله محمد الجيوسي، ط1، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، 1426هـ _ 2006م.

_ التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1403هـ _ 1983م.

_ التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ط1، دار الكتب العلمية، 1424هـ _ 2003م.

_ تفسير السمرقندي المسمّى (بحر العلوم): أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت 375هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1413هـ _ 2002م.

_ تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط1، دار الوطن، الرياض _ السعودية، 1418هـ _ 1987م.

_ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

_ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 1419هـ.

_ تفسير القرآن الكريم المعروف بـ (تفسير ابن القيم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ط1، دار ومكتبة هلال، بيروت، 1410هـ.

_ التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (ت 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).

_ تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1365هـ _ 1946م.

_ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 701هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ _ 1998م.

_ التفسير الوسيط للقرآن الكريم: الدكتور محمد سيد طنطاوي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1406هـ _ 1986م.

_ تكريم المرأة في الإسلام: محمد بن جميل زينو، دار القاسم، (د.ت).

_ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

_ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت 749هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط1، دار الفكر العربي، 1428هـ _ 2008م.

_ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ _ 2000م.

_ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله، والدكتور محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، (د.ت).

_ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير بن خالد الطبري (ت 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ _ 2000م.

_ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671هـ)، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ _ 1964م.

_ جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف: الدكتور عويض بن حمود العطوي، المملكة العربية السعودية، 1431هـ _ 2010م.

_ جماليّة الخطاب في النص القرآني (قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين): الدكتور لطفي فكري محمد الجودي، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1435هـ _ 2014م.

_ الجملة العربية تأليفها وأقسامها: الدكتور فاضل صالح السامرائي، ط2، دار الفكر، 1427هـ _ 2007م.

_ جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان، 1987م.

_ الحدود في النحو (ضمن رسالتان في اللغة): أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق وتعليق وتقديم: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1984م.

_ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت).

_ الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق: الدكتورة خلود العموش، ط1، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، عمان _ الأردن، 1429هـ _ 2008م.

_ دراسات في فقه اللغة: الدكتور صبحي إبراهيم الصالح (ت 1407هـ)، ط1، دار العلم للملايين، 1379هـ _ 1960م.

_ دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ _ 2001م.

_ دراسة الصوت اللغوي: الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ _ 1997م.

_ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، المحقق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت).

_ دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية: الدكتور منير محمود المسيري، ط1، مكتبة وهبة، 1426هـ _ 2005م.

_ دلالة الألفاظ: الدكتور إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م.

_ الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: حامد كاظم عباس، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004م.

_ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي (ت 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

_ زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت 1394هـ)، دار الفكر العربي، (د.ت).

_ سواطع الالهام في تفسير كلام الملك العلام: أبو الفيض بن مبارك فيضي، دار المنار، إيران _ قم، 1417هـ.

_ شرح المفصل للزمخشري: أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت 643هـ)، قدّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1422هـ _ 2001م.

_ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت 395هـ)، ط1، محمد علي بيضون، 1418هـ _ 1997م.

_ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ _ 1987م.

_ الصوتيات والفنولوجيا: مصطفى حركات، المكتبة العصرية، القاهرة، 1998م.

_ الصورة الفنية في المثل القرآني: الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر، 1981م.

_ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت 749هـ)، دار الكتب الخديوية، مصر، 1332هـ _ 1914م.

_ الظاهرة الجماليّة في القرآن الكريم: نذير حمدان، ط1، دار المنايرة، جدّة _ السعودية، 1412هـ _ 1991م.

_ العربية وعلم اللغة الحديث: محمد محمّد داود، دار غريب، القاهرة، 2001م.

_ عظمة القرآن الكريم: محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، دار ابن الجوزي، (د.ت).

_ علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

_ علم الدلالة: الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، (د.ت).

_ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

_ علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي: الدكتور هادي نهر، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1427هـ _ 2007م.

_ علم اللسانيات الحديثة: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2001م.

_ علم اللغة العام: توفيق محمد شاهين، ط1، مكتبة وهبة، 1980م.

_ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: الدكتور محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

_ العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت175هـ)، المحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د.ت).

_ فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني (ت 1250هـ)، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، 1414هـ.

_ الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة _ مصر، (د.ت).

_ فقه اللغة العربية وخصائصها: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان، 1982م.

_ فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد: محمد المبارك، ط5، دار الفكر، بيروت، 1972م.

_ في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، 1968م.

_ القاموس المحيط: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت _ لبنان، 1426هـ _ 2005م.

_ القرائن بين اللغويين والأصوليين: نادية رمضان النجار، دار الكتب العلمية، 2015م.

_ القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف: محمّد محمّد المدني، صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 1415هـ _ 1994م.

_ الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت 180هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ _ 1988م.

_ الكتاب والقرآن: الدكتور محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا _ دمشق، (د.ت).

_ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم، علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان، 1996م.

_ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.

_ الكلمة دراسة لغوية معجمية: حلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980م.

_ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).

_ اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1419هـ _ 1998م.

_ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت 711هـ)، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

_ مباحث في علوم القرآن: منّاع القطان، مكتبة وهبة، (د.ت).

_ مبادئ اللسانيات: الدكتور أحمد محمد قدور، ط3، دار الفكر، دمشق، 1429هـ _ 2008م.

_ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة _ القاهرة، (د.ت).

_ مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي أمين الدين الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1379هـ.

_ المحرر الوجيز من كتاب الله العزيز (تفسير ابن عطية): أبو محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت 452هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

_ المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ _ 2000م.

_ مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت _ صيدا، 1420هـ _ 1999م.

_ المرأة بين الميثولوجيا والحداثة: خديجة صبار، افريقيا الشرق، بيروت _ لبنان، 1999م.

_ المرأة في القرآن: محمد متولي الشعراوي، مكتبة الشعراوي الإسلامية، (د.ت).

_ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ _ 1998م.

_ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت 770 هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

_ المطول على التلخيص: سعد الدين التفتازاني، مطبعة سنده، 1310هـ.

_ معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت 516هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

_ معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت).

_ معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ _ 1988م.

_ المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار العلم للملايين، (د.ت).

_ معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم: محمّد محمّد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

_ معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: الدكتور محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار فضيلة، (د.ت).

_ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1364هـ.

_ معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد إبراهيم عبادة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة _ مصر، 1424هـ _ 2004م.

_ معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ _ 1979م.

_ معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003 _ 2008م.

_ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري (ت 761هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط6، دار الفكر، دمشق، 1985م.

_ مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن المعروف بالفخر الرازي (ت 606هـ)، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

_ مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي (ت 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1407هـ _ 1987م.

_ المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية _ دمشق، بيروت، 1412هـ.

_ المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.

_ مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ _ 1979م.

_ مناهج البحث اللغوي: تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1979م.

_ منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: الدكتور علي زوين، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م.

_ الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، (د.ت).

_ النحو الوافي: عباس حسن (ت 1398هـ)، ط15، دار المعارف، (د.ت).

_ النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت 450هـ)، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، (د.ت).

_ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت 468هـ)، المحقق: صفوان عدنان داوودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية _ دمشق، بيروت، 1415هـ.

_ الوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي، ط3، دار الشرق العربي، بيروت _ لبنان، (د.ت).

ثانياً: الرسائل الجامعية

_ الأثر الدلالي لحذف الاسم في القرآن الكريم: محمد جعفر (رسالة ماجستير)، جامعة الكوفة، كلية الآداب، 1997.

_ الإجمال والتفصيل في التعبير القرآني (دراسة في الدلالة القرآنية): سيروان عبد الزهرة الجنابي (أطروحة دكتوراه)، جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1427هـ _ 2006م.

_ البناءات الجمالية في النص القرآني: رائد مصباح الداية، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، غزة، 1432هـ _ 2011م.

_ التحليل الفيزيائي لصفات أصوات العربية دراسة مخبرية: خضير ديلمي (أطروحة دكتوراه)، جامعة باتنة، الجزائر، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، 2017_ 2018.

_ التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني دراسة بلاغية: جنان منصور كاظم الجبوري (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد قسم اللغة العربية، 1426هـ _ 2005م.

_ التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية (قراءة نافع أنموذجا): فضيلة مسعودي (رسالة ماجستير)، جامعة أبي بكر بلقايد _ تلمسان، الجزائر.

_ جماليات الخطاب القرآني وإعجازه البياني دراسة بلاغية لآيات الأسماء الحسنى: محمد بوهند (أطروحة دكتوراه)، جامعة أبي بكر بلقايد _ تلمسان، 2016_ 2017.

_ الخطاب التربوي للمرأة في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم الجامعي: رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي (أطروحة دكتوراه)، جامعة أم القرى، كلية التربية، 1430_ 1431هـ.

_ الخطاب النفسي في القرآن الكريم دراسة دلالية أسلوبية: كريم حسين ناصح الخالدي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.

_ دراسة أُسلوبية في سورة مريم: معين رفيق أحمد صالح (رسالة ماجستير)، جامعة النّجاح الوطنية، نابلس _ فلسطين، 2003م.

_ دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: محمد ياس خضر الدوري (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، 1426هـ _ 2005م.

_ الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية: صفية مطهري (أطروحة دكتوراه)، جامعة وهران، الجزائر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.

_ الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: نافع علوان بهلول الجبوري (أطروحة دكتوراه)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، قسم اللغة العربية، 1421هـ _ 2000م.

_ الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم: محمد جعفر محيسن العارضي (أطروحة دكتوراه)، جامعة القادسية، كلية الآداب، 1423هـ _ 2002م.

_ مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي: آمنة بنت مالك (رسالة ماجستير)، معهد اللغة والأدب العربي، الجزائر، 1987م.

ثالثاً: البحوث والمقالات

_ الاتساق الصوتي في سورة التحريم التنغيم أنموذجاً: محمد عباس معن (بحث منشور)، مجلة العميد، مج 5، العدد 18، 1437هـ.

_ أنماط الشرط عند طه حسين (دراسة نحوية نصية): د. أشرف ماهر محمود (بحث منشور)، مجلة علوم اللغة، مج2، العدد 4، 1999هـ.

_ البحث الدلالي عند الأصوليين: خالد عبود حمودي وزينة جليل عبد (بحث منشور)، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2009.

_ البنية النفسية_ الاجتماعية في الخطاب القرآني العام: د. خضر محمود عباس (بحث منشور)، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، مج 19، العدد الأول، 2011م.

_ التحليل التداولي الأفق النظري والإجراء التطبيقي في الجهود التعريفية العربية: هاجر مدقن (بحث منشور)، مجلة الأثر.

_ التقديم والتأخير في سورة البقرة: د. أحمد قاسم كسار، (بحث منشور على الانترنت).

_ التقديم والتأخير في القرآن: قسطاس إبراهيم النعيمي، (مقال منشور على الانترنت).

_ التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية: الدكتورة سناء حميد البياتي (بحث منشور)، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي العراق، جامعة كامبرج، مركز الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية، 2007.

_ التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق: سهل ليلى (بحث منشور)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر_ بسكرة، العدد 7، 2010م.

_ التنغيم وأثره في التعبير عن المعاني النفسية: فرهاد عزيز محيي الدين (بحث منشور)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج 10، العدد 1، 2015م.

_ التنغيم والقوانين النحوية: د. عمار ربيح (بحث منشور)، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 21، 2017م.

_ خصائص الدلالة الشرعية للنصوص (مقال منشور على الانترنت)، node almoslim net.

_ الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني: خالق داد ملك (بحث منشور)، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور_ باكستان، العدد الثاني والعشرون، 2015م.

_ الدلالة الإيحائية لطائفة من ألفاظ الزمان في القرآن الكريم: كاصد ياسر الزيدي (بحث منشور)، مجلة الدراسات اللغوية، مج 2، العدد 1، 1421هـ _ 2000م.

_ الدلالة السياقية عند اللغويين: عواطف كنوش المصطفى، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط1، 2007م.

_ الدلالة النفسية في سورة مريم: عقيل عكموش عبد (بحث منشور)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج6، العددان (3_4)، 2007م.

_ الدلالة النفسية في القرآن الكريم مقاربة في سيمياء التواصل: د. حيدر فاضل عباس (بحث منشور)، جامعة بغداد، كلية الآداب.

_ الدلالة النفسية لخطاب المرأة في النص القرآني: إيمان صاحب الموسوي (بحث منشور)، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 13.

_ الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم: إعداد أ.د عبد الباقي دفع الله أحمد، د. عائدة عبد الرحمن الأنصاري (بحث منشور)، الخرطوم، 2013م.

_ سياق المقام في القرآن الكريم قصة ملكة سبأ انموذجاً: أ.م.د. رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي (بحث منشور)، حولية المنتدى، العدد (39)، 2019.

_ ظاهرة التقابل في علم الدلالة: د. أحمد نصيف الجنابي (بحث منشور) ضمن مجلة آداب المستنصرية، العدد 10، لسنة 1984م.

_ قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ الدروس والعبر: دفع الله (بحث منشور)، مجلة جامعة شندي، 2015.

_ المشترك اللفظي وترجمة معاني القرآن الكريم (دراسة وتمهيد لمعجم عربي _ انجليزي): الدكتور المولودي بن إسماعيل عزيز (بحث منشور على الانترنت).

_ مفهوم الخطاب القرآني للمؤمنين في ضوء سورة النور: الدكتور عصام العبد زهد (بحث منشور)، الجامعة الإسلامية، غزة، (د.ت).

ABSTRACT

The discourse in the Koran is wide, comprehensive, and diverse, not limited to sex without another, it is not limited to men without women or women without men, and research has addressed the feminist discourse in the Koran without other types of speech; because their speech was distinct and more influential in Recipient and because he has received the luck of the speech of the Koran, to honor and uphold their affairs and raise their rank because they are the basis of society, and its nuclei, as they are: (mother, sister, wife, girl) The Koran has dedicated a complete surah called Surah (women) as well as Surat (Maryam) Which he called in the name of a woman.

The nature of the subject is divided into three chapters preceded by a prelude and followed by a conclusion with the most prominent results.

The preamble included analysis in language and terminology, as well as discourse in language and terminology.Therefore, the study dealt with the characteristics of Qur'anic discourse in general and the features of feminist discourse in particular. And legislative discourse in its two parts (transactions and worship), direct speech, and formative speech. Chapter II: I introduced the significance of the feminist

discourse in the Holy Quran, introducing it to the meaning of language and terminology, and then touched upon the types of significance in the feminist discourse, including: suggestive significance, lexical significance, contextual significance, legitimacy, psychological significance, linguistic significance, which included the verbal common, and the convergence Semantic, language differences, semantics, and kindness. The third chapter examines the aesthetics of feminist discourse in the Qur'an and includes an introduction to the definition of beauty and aesthetic language and terminology. These chapters are followed by a conclusion with the main findings of the research.

Researcher

Ministry of Higher Education

and Scientific Research

University of Karbala

Faculty of Islamic Sciences

Department of Quran Language and Literature

Analysis of feminist discourse and its aesthetics in the Qur'an (Semantic study)

A letter submitted by the student

Heba Nabil Ajeel Al-Waeli

To the Council of the Faculty of Islamic Sciences at the University of Karbala It is part of the requirements for obtaining a master's degree in the language and literature of the Koran

Supervised by

Prof.Dr.

Rafah Abdul Hussein Mahdi al-Fatlawi

1440 H.D **2019 A.D**